مختصر

المواهب اللدنِّية

في المنح المحمدية

للقسطلاني

تهذيب واختصار

الدكتور: عمر عبد الله كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر كتاب المواهب اللدنية

المجلد الأول

المقصد الأول

سبق نبوته

أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله عزوجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين سنة، وكان عرشه على الماء)[1]

وعن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(إني عند الله لخاتم النبين وإن آدم لمنجدل في طينته)[2]

وقوله: لمنجدل يعني :طريحاً ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه .

وعن ميسرةالضبي قال : قلت: يا رسول الله ،متى كنت نبياً؟ قال:(وآدم بين الروح والجسد)[3]

الوصف بالنبوة قبل الوجود

فإن قلت :إن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله ؟

وقال الشيخ تقي الدين السبكي :(فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة حاصل من ذلك الوقت وإنما يتأخر البعث والتبليغ)

وعن الشعبي : قال رجل يا رسول الله ،متى استنبئت ؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد حين أخذ الميثاق مني)[4] أي في عالم الأرواح.

[1] أخرجه مسلم في القدر برقم (٢٦٥٣)
[2] رواه أحمد في مسنده(١٢٧/٤)
[3] رواه الإمام أحمد في المسند ٥٩/٥
[4] كشف الخفاء ١٧٠/٢ برقم (٢٠٠٧)

أخذ العهد على الأنبياء

إن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به فقالوا : يا ربنا من غشينا نوره ؟ فقال الله تعالى : هذا نور محمد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى :أشهد عليكم ؟ قالوا : نعم فذلك قوله تعالى :(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) إلى قوله (وأنا معكم من الشاهدين)[٥]

قال الشيخ تقي الدين السبكي :(في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيه :أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم فتكون رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته. ثم قال :(فإذا عرف هذا فالنبي ﷺ نبي الأنبياء . ولهذا ظهر في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم)[٦]

طينته :

قيل: لما خاطب الله تعالى السماء والأرض بقوله: "ائتيا طوعاً أوكرها قالتا أتينا طائعين"[٧] أجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاذيها . وقد قال ابن عباس :أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة فقال بعض العلماء : هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض إلا درة المصطفى محمد ﷺ ومن موضع الكعبة دحيت الأرض.

وروى الحاكم في صحيحه أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد مكتوباً على العرش وأن الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك .

فإن قلت إن مذهب الأشاعرة : أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض فكيف تكون خلقة محمد علة في خلق آدم صلى الله عليهما وسلم ؟

أجيب : بأن الظاهر من الأدلة تعليل بعض الأفعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لأفعاله تعالى لا بواعث على أقدامه لأن ذلك محال في حقه تعالى والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[٨]

---

[٥] آل عمران (٨١)
[٦] فتاوى السبكي ٣٨/١
[٧] سورة فصلت (١١)

خلق آدم والسجود له

قال جعفربن محمد : مكثت الروح في رأس آدم مئة عام وفي صدره مئة عام وفي ساقيه وقدميه مئة عام ثم علمه الله أسماء جميع المخلوقات ثم أمر الملائكة بالسجود له وكان السجود لآدم تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود أخوة يوسف له فالمسجودله في الحقيقةهو الله تعالى

وروي عن جعفر الصادق أنه قال : كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون .

وعن ابن عباس : كان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر .

خلق حواء

ثم خلق الله تعالى له حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لأنها خلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن إليها فقالت الملائكة مه ياآدم ، قال و لم وقد خلقها الله لي ؟ فقالوا حتى تؤدي مهرها ، قال وما مهرها ؟ قالوا تصلي على محمد ثلاث مرات .

الأكل من الشجرة

ثم إن الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل العنب وقيل التين فحسدهما إبليس فأتى إلى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة ثم أتى آدم وحواء فوقف وناح نياحة أحزنتهما ، فقالا : ما يبكيك ؟ قال : عليكما تموتان وتفتقدان النعيم ، ألا أدلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما أنه ناصح فأكلت حواء منها ثم زينت لآدم حتى أكل فقال الله تعالى : يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة ؟ قال : بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت أن أحداً لا يحلف بك كاذباً، قال الله : وعزتي وجلالي ، لأهبطنك إلى الأرض فأهبط من الجنة .

وقال وهب بن منبه : لما أهبط آدم إلى الأرض مكث يبكي ثلاثمائة سنة لا يرقأ له دمع .

وقال المسعودي : لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة .

---

[٨] سورة الذاريات (٥٦)

خطيئة آدم كبيرة أم صغيرة

فإن قلت :هذه الفعلة التي أهبط بها آدم من الجنة إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة .

أجاب الزمخشري: بأنها ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً للخطيئة وتفظيعاً لشأنها ليكون ذلك لطفاً له ولذريته في اجتناب الخطايا.

من حكمة نزول آدم

انظر كم لله من لطف وحكمة في إهباط آدم من الجنة إلى الأرض، لأن آدم إذا خرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد إلى الجنة على أكمل من الحال الأول.

وفيه إشارة كأنه تعالى يقول : لو غفرت في الجنة لما تبين كرمي بأني أغفر لنفسٍ واحدة بل أخرجه إلى الدنيا وآتي بألوف من العصاة حتى أغفر لهم ليتبين جودي وكرمي .

الجنة التي سكنها آدم

اختلف في الجنة التي سكنها آدم فقيل : هي جنة الخلد . وقيل غيرها ، جعلها الله دار ابتلاء، لأن جنة الخلد إنما يدخل إليها يوم القيامة . واحتج القائلون بأنها جنة الخلد بأن الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة وقد دخلها نبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء.

استشفاع آدم به صلى الله عليه وسلم

وروي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقروناً باسم الله تعالى فقال : يا رب هذا محمد من هو ؟ فقال الله : هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك . فقال : يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد ، فنودي يا آدم ، لو تشفعت إلينا في أهل السماوات والأرض لشفعناك .

حبيب الله

وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال : هبط جبريل على النبي صلىالله عليه وسلم فقال: إن ربك يقول : إن كنت اتخذت ابراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً ، وما خلقت

خلقاً أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومترلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا.

النسب الشريـــف

طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم من السفاح

لما خلق الله تعالى حواء لتسكن إلى آدم ويسكن إليها فاضت بركاته عليها فولدت له أربعين ولداً في عشرين بطناً ووضعت شيثاً وحده فلما توفي آدم كان شيث وصياً على ولده ثم أوصى شيث ولده بوصية آدم : أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء و لم تزل هذه الوصية جارية إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله سبحانه هذا الشريف من سفاح الجاهلية .

وعن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خرجت من نكاح و لم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من نكاح أهل الجاهلية شيء)[٩]

وعن أنس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)[١٠] وقال:(أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح)[١١]

وعن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال : (قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد و لم أر بني أب أفضل من بني هاشم)[١٢]

خير القرون وخير البيوت

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ (بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنت من القرن الذي كنت منه.)[١٣]

وعن واثلة بن الأسقع قال ﷺ :(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[١٤]

---

[٩] رواه الطبراني في المعجم الأوسط
[١٠] سورة التوبة (١٢٨)
[١١] رواه ابن مردويه
[١٢] رواه الطبراني في الأوسط
[١٣] البخاري كتاب المناقب برقم ٣٥٥٧فتح ٥٦٦/٦
[١٤] رواه الترمذي في المناقب برقم (٣٦٨٤) وهو عند مسلم برقم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل

وعن ابن عمر قال ﷺ : (إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختاربي من العرب فلم أزل خياراً من خيار،ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)[١٥]

وحيد والديه

اعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي

الأمي الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها في النسب .

سلسلة النسب الشريف

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه (شيبة الحمد)وكنيته أبو الحارث ابن هاشم واسمه (عمرو) ابن عبد مناف واسمه (المغيرة) ابن قصي ابن كلاب ابن مرة ابن كعب ابن لؤي ابن غالب ابن فهر واسمه (قريش) وإليه تنسب قريش ابن مالك ابن النضر ابن كنانة ابن خزيمة ابن مدركة ابن إلياس وهو أول من أهدى البدن للبيت الحرام ابن مضر ابن نزار وقيل أنه لما ولد ونظر أبوه إلى نور محمد ﷺ بين عينيه فرح فرحاً شديداً وأطعم وقال إن هذا كله نزر أي قليل فسمي نزاراً لذلك ابن معد ابن عدنان .

الوقوف بالنسب عند عدنان

أجمع العلماء على أن رسول الله ﷺ انتسب إلى عدنان و لم يتجاوزه وعن ابن عباس أنه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول :كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً.

قصة الفيل

ولما قدم أبرهة ملك اليمن لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال : يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه ثم جاء أبرهة فاستاق إبل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة ثم أرسل أبرهة رجلاً من قومه ليهزم

[١٥] رواه الطبراني وقيل فيه حماد بن واقد وهو ضعيف

الجيش فلما دخل مكة ونظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشياً عليه فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب وقال : أشهد أنك سيد قريش حقاً .

دخول أبرهة لهدم الكعبة

ولما دخل جيش أبرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة برك الفيل فضربوه في رأسه ضرباً شديداً ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام ثم أرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كأمثال العدس لا تصيب أحداً منهم إلا أهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون ، وأصيب أبرهة في جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه .

ذكرالحادثة في القرآن

أشار إلى هذه القصة سبحانه وتعالى بقوله لنبيه ﷺ :(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) .والمراد من الرؤية هنا العلم والتذكر .

الحادثة من إرهاصات النبوة

كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتأسيساً لنبوته وإرهاصا لها وإعزازا لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب .

قال: الرازي ومذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيساً ،

قال : ولذلك قالوا:كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام يعني قبل بعثته .

حفر زمزم وقصة الذبيح

رؤيا عبد المطلب

ولما فرج الله عن عبد المطلب ورجع أبرهة خائباً فبينما هو نائماً في الحجر إذا رأى مناماً عظيماً فانتبه فزعاً مرعوباً وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة: إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السماوات والأرض وليكونن في الناس علماً مبيناً فتزوج فاطمة وحملت بعبد الله الذبيح .

سبب قصة الذبح

وكان سببها حفر عبد المطلب زمزم لأن عمرو بن الحارث الجرهمي أحدث قومه بحرم الله الحوادث فقيض الله لهم من أخرجهم من مكة فعمد عمرو بن الحارث إلى نفائس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رفعت عنها الحجب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها فمنعته قريش من ذلك ثم آذاه السفهاء و لم يكن معه سوى ولده الحارث فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعواناً ليذبحن أحدهم لله قرباناً ثم حفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخراً وعزاً .

الوفاء بالنذر

فلما تكامل بنوه عشرة وهم : الحارث و الزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة و أبو طالب وعبد الله وقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلاً يقول: يا عبد المطلب : أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعاً مرعوباً وأمر بذبح كبش وأطعمه للمساكين ثم نام فرأى: أن قرب ما هو أكبر من ذلك ، فاستيقظ من نومه وقرب ثوراً ، ثم نام فرأى : أن قرب ما هو أكبر من ذلك ، فانتبه وقرب جملاً وأطعمه للمساكين، ثم نام فنودي : أن قرب ما هو أكبر من ذلك ، فقال ما أكبر من ذلك فقال : قرب أحد أولادك الذي نذرته .

ابن الذبيحين

روى الزمخشري في الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال : أنا ابن الذبيحين .

ويعني بالذبيحين : عبد الله وإسماعيل بن إبراهيم .

الذبيح إسماعيل أم إسحاق

وفي حديث معاوية قال معاوية : إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الأمر بها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الأول وإسماعيل الثاني قال ابن القيم :(ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل أنه لا ريب أن الذبح كان بمكة ولذلك جعل القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً بشأن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه) .

وروي أن عمر بن عبد العزيز سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود : أي بني إبراهيم أمر بذبحه فقال : والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون أنه إسماعيل وكلهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون إسحاق أبوهم .

زواج عبد الله وآمنة

قصة العارضة نفسها

ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة ويقال رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت إلى وجهه وكان أحسن رجل رؤي في قريش :لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها : أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه .

زواج عبد الله آمنة

ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف وهو سيد بني زهرة نسباً وشرفاً فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذٍ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً .

توطئة للكلام عن الحمل

ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجائب ووجد لإيجاده غرائب .

وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي : لما أراد الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس وينادي منادٍ في السماوات والأرض : ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة أن يستقر في بطن أمه الذي فيه يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً .

خفة الحمل وثقله

وفي حديث ابن اسحاق : أن آمنة كانت تحدث : أنها أتيت حين حملت به ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وقالت : ما شعرت بأني حملت به ولا وجدت له ثقلاً

ولا وحماً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال : هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال لي: قولي :أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً .

وعن شداد بن أوس أن رجلاً من بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حقيقة أمرك ؟ قال: (بدو شأني أني دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى وأني كنت بكر أبي وأمي وأنها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي إلى صواحبها ثقل ما تجد ثم إن أمي رأت في منامها أن الذي في بطنها نور) .

وجمع أبو نعيم الحافظ بينهما : بأن الثقل كان في ابتداء غلومتها والخفة عند استمرار الحمل به فيكون على الحالين خارجاً عن المألوف .

مدة حمله

يقي ﷺ في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكو وجعاً ولا مغصاً ولا ريحاً

ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء وكانت تقول : والله ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه .

وفاة عبد الله

ولما تم لها من حملها شهران توفي عبد الله وكان قد رجع ضعيفاً مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب فتخلف عند أخواله بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضاً شهراً فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا : خلفناه مريضاً فبعث إليه أخاه الحارث فوجده قد توفي ويذكر عن ابن عباس أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة إلهنا وسيدنا بقي نبيك يتيماً فقال الله تعالى :أنا له حافظ ونصير .

أحاديث في المولد

عن ابن عباس : لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في أذنه رضوان خازن الجنان : أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته فأنت أكثرهم علماً وأشجعهم قلباً .

وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس :أن آمنة بنت وهب قالت: لما فصل مني "تعني النبي ﷺ" خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء .
وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت : لقد رأيت ليلة وضعت نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها .
قال في اللطائف[١٦]: وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزال به ظلمة الشرك قال تعالى : (قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى بإذنه)[١٧]

من عجائب ولادته

وعن عائشة قالت : كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر قريش : هل ولد فيكم في هذه الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلم، قال انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة ، بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام ، فذهب اليهودي معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشياً عليه وقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، يا معشر قريش: ما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب.[١٨]
ومن عجائب ولادته أيضاً ما روي من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد.
ومن ذلك أيضاً : ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع .

[١٦] كتاب اللطائف للحافظ عبد الرحمن بن رجب
[١٧] سورة المائدة (١٥) (١٦)
[١٨] رواه يعقوب بن سفيان بإسناد حسن

ختانه

القول بأنه ولد مختوناً

روى الطبراني في الأوسط عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً و لم ير سوأتي أحد)[١٩]

الخلاصة في ختانه

وقد حصل من الاختلاف في ختانه ثلاثة أقوال :

أحدها أنه ولد مختوناً، والثاني أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمداً، والثالث أنه ختن عند حليمة .

زمن الولادة ووقتها

العام الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم

وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم :

فالأكثر ون على أنه عام الفيل ، والمشهور أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوماً.

والمشهور : أنه ولد بعد الفيل لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته .

الشهر الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم

اختلف أيضاً في الشهر الذي ولد فيه والمشهور : أنه ولد في شهر ربيع الأول وهو قول جمهور العلماء.

اليوم الذي ولد فيه

المشهور أنه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وإنما كان في شهر ربيع الأول على الصحيح و لم يكن في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان ولا غيرها من الأشهر من الأشهر ذوات الشرف لأنه عليه السلام لا يتشرف بالزمان وإنما الزمان يتشرف به كالأماكن .

يوم الاثنين (يوم مولده صلى الله عليه وسلم) من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة (المخلوق فيه آدم) من الجمعة والخطبة وغير ذلك إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن أمته بسبب عناية وجوده قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٢٠]

---

[١٩] صححه الضياء وقيل تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم

[٢٠] سورة الأنبياء (١٠٧)

الوقت الذي ولد فيه

وفي المسند عن ابن عباس قال:(ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين)[٢١]

وقد روي أنه ولد يوم الاثنين عند طلوع الفجر وقيل ولد ليلاً .

قال الشيخ الزركشي : والصحيح أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت نهاراً قال : وأما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه أن الولادة ليلاً .

ليلة القدر وليلة المولد

فإن قلت : إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلاً فأيهما أفضل : ليلة القدر أو ليلة مولده صلى الله عليه وسلم .

أجيب بأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من ثلاثة وجوه :

أحدها : أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه .

الثاني :أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر .

الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فكانت ليلة المولد أعم نفعاً فكانت أفضل.

رضاعه عند الولادة

وأرضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة ، عتيقة أبي لهب ، أعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك ؟ فقال في النار إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين إصبعي هاتين ماء وأشار برأس إصبعه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له .

---

[٢١] المسند ١/ ٢٧٧

الاحتفال بالمولد

ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرآت ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم .

ومما جرب من خواصه أنه أمان في ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام.

ذكر رضاعه

حديث حليمة

قالت حليمة : قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر ، نلتمس الرضعاء في سنة شهباء ، فقدمت على أتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا ، والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ،لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه . فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها يتيم ، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري فلما لم أجد غيره قلت لزوجي :والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلق إلى ذلك اليتيم فلآخذه فذهبت فإذا به مدرج في ثوب أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقداً على قفاه يغط فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويداً فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً وفتح عينيه لينظر إلي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته إلى الأيسر فأبى وكانت تلك حاله بعد فروي وروي أخوه . ثم أخذته فما هو إلا أن جئت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي فقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبي : يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيراً.[٢٢]

[٢٢] رواه ابن إسحاق وابن راهويه والطبراني والبيهقي

قالت حليمة: ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعاً لبناً فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولايجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم: اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعاً وتروح أغنامي شباعاً لبناً.

فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت و لم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة .

التكلم في المهد وخصائص أخرى

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال : كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع كان يخرج إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم .

حادثة شق الصدر

قالت حليمة : فلما فصلته قدمنا على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا : لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فإنا نخشى عليه وباء مكة و لم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به . فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاء رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه أبوه وقال : أي بني ، ما شأنك فقال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان. فرجعنا به معنا فقال أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي به نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف .

قالت حليمة : فاحتملناه حتى قدمنا به مكة إلى أمه ، فقالت ما ردكما به، فقد كنتما حريصين عليه ؟ قلنا نخشى عليه الإتلاف والأحداث فقالت : ما ذاك بكما فاصدقاني ما شأنكما ؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره قالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما.

فإن قلت : هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به أو فعل بغيره من الأنبياء عليهم السلام ؟ أجيب بأنه ورد أنه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الأنبياء فإن قلت: ما الحكمة في ختم قلبه المقدس ؟ أجيب بأنه إشارة إلى ختم الرسالة به.

شق الصدر وقع أكثر من مرة

وقد وقع شق صدره الشريف واستخراج قلبه مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ومرة أخرى عند الإسراء به .

خاتم النبوة

روي أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ينم مسكاً وأنه مثل زر الحجلة ، والحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها . وفي مسلم : جمع عليه خيلان : والجمع أي كجمع الكف والخيلان: جمع خال وهو الشامة على الجسد . عند نغض كتفه ويروى : غضروف كتفه اليسرى وفي رواية : الأيمن . وفي مسلم أيضاً : أي كبيضة الحمام ، وفي صحيح الحاكم : شعر مجتمع .

وفي الشمائل : بضعة ناشرة أي قطعة لحم مرتفعة على جسده .

الجمع بين الروايات

وقال بعض العلماء : اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له ، وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو : قطعة لحم ومن قال : شعر ، فلأن الشعر حوله متراكم عليه كما في الرواية الأخرى .

هل كان الخاتم عند الولادة

اختلف هل ولد به ؟ أو وضع بعد ولادته ؟ على قولين.

وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم في حديث أبي ذر قال : قلت يا رسول الله : كيف علمت أنك نبي حتى استيقنت ؟ قال : أتاني آتيان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، ثم قال لصاحبه : شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء اغسل قلبه غسل الملاء ،ثم قال

أحدهما لصاحبه:خط بطنه ،فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكأني أرى الأمر معاينة.

وروي أنه لما ولد ﷺ ذكرت أمه أن الملك غمسه في الماء ثلاث غمسات ثم أخرج سرقة من حرير أبيض فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وقيل ولد به والله أعلم

علامات نبوة الأنبياء

واخرج الحاكم عن وهب بن منبه قال : لم يبعث الله نبياً إلا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى إلا نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه .

ذكر وفاة آمنة

لما بلغ ﷺ أربع سنين وقيل تسعاً ماتت أمه بالأبواء .

عن ابن عباس وعن عاصم بن عمرو بن قتادة قالوا : لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن فنزلت به دار التابعة فأقامت عندهم شهراً فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك ونظر إلى الدار فقال : هاهنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلي . قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك من كلامهم ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما كانت بالأبواء توفيت .

قضية نجاة والديه

وقد جزم بعض العلماء : أن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان من النار وتعقبه عالم آخر : بأنه لم ير أحداً صرح الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فإن ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل .

من أدلة القائلين بنجاتهما

(١) **موتهما زمن الفترة :**

وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضاً أنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب قبلهما لقوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)[٢٣]

(٢) آباء الأنبياء مؤمنون

قال الإمام فخر الدين الرازي : إن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى: " الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين " [٢٤]

مناقشة الأدلة السابقة

وهو متعقب بأنه لا دلالة في قوله : "وتقلبك في الساجدين " على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي أن معنى الآية : وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها دندنتهم بذكر الله تعالى .

أدلة القائلين بعدم النجاة ومناقشتها

روى ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت ، قال : إني استأذنت في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ، فما رؤي باكياً أكثر من يومئذ . وفي مسلم :(استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة)[٢٥]

تعقيب الأبي على كلام النووي

وقد تعقب العلامة أبو عبد الله الأبي من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي بما معناه : تأمل ما في كلامه من التنافي فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة لأن أهل الفترة هم : الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ .

---

[٢٣] سورة الإسراء (١٥)
[٢٤] سورة الشعراء (٢١٩)
[٢٥] رواه مسلم برقم (١٠٨)

والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنهم يعنون التي بعد عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر البخاري أنها كانت ستمائة سنة .

ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين فإن قلت قد صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كحديث (رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار)[٢٦] وحديث:(رأيت صاحب المحجن في النار ، وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فإذا بصر به قال : إنما تعلق بمحجني)[٢٧]

أجيب بأجوبة : أحدها : أنها أخبار آحاد فلا تعارض القطع .

الثاني : قصر التعذيب على هؤلاء والله أعلم بالسبب .

الثالث : قصر التعذيب المذكور في الأحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع . فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام :

الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة ، كقس بن ساعدة .

الثاني : وهم من بدل وغير فأشرك و لم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الأكثر كعمرو بن

لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام .

الثالث : وهم من لم يشرك و لم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي عمره على غفلة من هذا كله .

وعلى هذا فيحتمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا من الخبائث . والقسم الثالث : هم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين . وأما أهل القسم الأول : كقس وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام في كل منهما : (أنه يبعث أمة واحدة) .

---

[٢٦] رواه البخاري برقم ٣٥٢١ومسلم برقم ٩٠٤

[٢٧] رواه مسلم وأحمد في المسند ١٥٩/٢

حياته قبل البعثة صلى الله عليه وسلم

كفالة جده ثم عمه

وقد كانت أم أيمن بركة دايته وحاضنته بعد موت أمه وكان عليه السلام يقول لها : أنت أمي بعد أمي ، ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله .

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش: يا أبا طالب : أقحط الوادي وأجدب العيال ، فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي .

السفر إلى الشام وقصة بحيرى

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى ، فرآه بحيرى الراهب ، واسمه جرجيس ، فعرفه بصفته فقال وهو آخذه بيده : هذا سيد العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقيل له: وما علمك بذلك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم به من العقبة ، لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ، ولا يسجد إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وأنا نجده في كتبنا وسأل أبو طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود .

وفي حديث عن البيهقي : أن بحيرى رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها . وفيه أن بحيرى قام فاحتضنه وأنه جعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأموره ويخبره رسول الله ﷺ فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

زواجه من خديجة صلى الله عليه وسلم

وتزوج ﷺ بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت أبي هالة بن زراره التميمي . وكان لها حين تزوجها النبي ﷺ من العمر أربعين سنة وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لأعمامه.

فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها عليه السلام وأصدقها عشرين بكرة وزوجها إياه خويلد .

بناء الكعبة

ولما بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة ، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول فأمروا " باقوم " النجار النبطي مولى سعيد بن العاصي وصانع المنبر الشريف بأن يبني الكعبة المعظمة .

وحضر ﷺ وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون آزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة . وروى الشيخان عن جابر قال :لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة فقال: فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال : إزاري ، إزاري فشد عليه إزاره فما رؤي بعد ذلك عرياناً .

الخصومة في وضع الحجر

وروى ابن راهويه في حديث عن علي : فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود واختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم : أن يجعله في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل .

مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر وقت المبعث

قال ابن عبد البر: يوم الاثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل بعثه الله رحمة للعالمين ورسولاً إلى كافة الثقلين أجمعين . ويشهد لبعثته يوم الاثنين ما رواه مسلم عن أبي قتادة أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين فقال:(فيه ولدت وفيه أنزل علي) . وقال ابن القيم (واحتج القائلون بأنه كان في رمضان لقوله تعالى :(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)[٢٨]

قالوا أول ما أكرمه الله بنبوته أنزل عليه القرآن، وقال الآخرون: إنما نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة ثم نزل نجوماً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، وقيل : كان ابتداء المبعث في رجب .

حديث بدء الوحي

وروى البخاري من حديث عائشة :(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ (ما لم يعلم) .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال : يا خديجة ،ما لي وأخبرها الخبر ،ثم قال : قد خشيت على نفسي : فقالت له : كلا أبش فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن

[٢٨] سورة البقرة (١٨٥)

عم خديجة وكان امرأً تنصر في الجاهلية فقالت له خديجة : أي ابن عم ، اسمع ابن أخيك فقال له ورقة: ماذا ترى ؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يد ركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.[٢٩]

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ،فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك.

بيان بعض معاني الحديث

والحكمة من الغط ثلاثاً ، شغله عن الالتفات لشيء آخر وإظهاراً للشدة والجد في الأمر ، تنبيهاً على ثقل القول الذي سيلقى عليه .

وقيل إبعاداً لظن التخيل والوسوسة . فإن قلت : من أين عرف صلى الله عليه وسلم أن جبريل ملك من عند الله وليس من الجن ؟ فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن الله تعالى أظهر على يدي جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها .

وثانيهما : إن الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علماً ضرورياً بأن جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان . كما أن الله تعالى خلق في جبريل علماً ضرورياً بأن المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له ربه تعالى لاغير .

سلام الشجر والحجر

أخرج البيهقي عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة : السلام عليك يا رسول الله .

[٢٩] رواه البخاري في كتاب التعبير الباب الأول برقم ٦٩٨٢

رجفته صلى الله عليه وسلم كانت اغتباطاً

و لم تكن الرجفة المذكورة خوفاً من جبريل عليه السلام فإنه ﷺ أجل من ذلك وأثبت جناناً ، وإنما رجف غبطة بحاله وإقباله على الله عز وجل ، فخشي أن يشغل بغير الله عن الله وقيل : خاف من ثقل أعباء النبوة .

أول ما نزل من القرآن

الصحيح أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن (اقرأ) كما صح ذلك عن عائشة وروي ذلك عن أبي موسى الأشعري . قال النووي : وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف .

اختيار حراء دون غيره

فإن قلت لم اختص صلى الله عليه وسلم بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع .الجواب : أن هذا الغار له فضل زائد على غيره : من جهة أنه مترو ٍ ومجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر إلى البيت عبادة فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات : الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت .

مراتب الوحي

كمل الله تعالى له عليه السلام من الوحي مراتب عديدة :

أحدهما : الرؤية الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

والثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال ﷺ : (إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفسي حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب)

الثالثة : كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له ، فقد كان يأتيه في صورة دحية الكلبي قلت : وكان جميلاً وسيماً إذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه .

الرابعة : كان يأتيه مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه .وروىالطبراني عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سري عنه . وكنت أكتب وهو يملي علي فما أفرغ حتى تكاد رجلي تكسر من ثقل الوحي ، حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً.

الخامسة : أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع مرتين كما في سورة النجم .

السادسة : ما أوحاه الله إليه وهو فوق السماوات من فرض الصلوات وغيرها .

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى .

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب .

تتمة مراتب الوحي

ويزاد أيضاً : كلامه تعالى في المنام كما في حديث الزهري (آتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ..)[٣٠]

ثم مرتبة أخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام لأنه اتفق على أنه صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد أصاب قطعاً، وكان معصوماً من الخطأ ، وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه .

ومرتبة أخرى: وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية لأن دحية كان معروفاً عندهم.

أول أمر بالصلاة

وقد روي : أن جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أنت رسولي إلى الجن والإنس فادعهم إلى قول لا إله إلا الله ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج إلى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله ، حتى أتى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم إن الله أقرها في السفر كذلك وأتمها في الحضر . وقال مقاتل : كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، لقوله تعالى :(وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار)[٣١]

[٣٠] المسند ١/ ٣٦٨

[٣١] سورة غافر الآية (٥٥)

قال النووي : أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة .

فترة الوحي

ثم فتر الوحي فترة شق عليه وأحزانه

وفترة الوحي : عبارة عن تأخره مدة من الزمن وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع وليحصل له التشوق إلى العود . وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين .

النبوة والرسالة :

فقد تبين أن نبوته صلى الله عليه وسلم كانت متقدمة على إرساله ، فكان في نزول سورة (اقرأ) نبوته وفي نزول سورة المدثر إرساله بالنذارة والبشارة والتشريع .

ذكر أول من آمن

إسلام خديجة

وكان أول من آمن بالله وصدق صديقة النساء خديجة ، فقامت بأعباء الصديقية .

إسلام أبي بكر

وكان أول ذكر آمن من بعدها صديق الأمة وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر فآزره في النصر

إسلام علي

وقيل: إن علي بن أبي طالب أسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا يكون أول من أسلم من الرجال أبو بكر ويكون علي أول صبي أسلم لأنه كان صبياً لم يدرك ، وكان سن علي إذ ذاك عشر سنين .

أقوال في أول من أسلم

اتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً .

وقيل: أول رجل أسلم ،ورقة بن نوفل .ومن يمنع يدعى أنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته وحكى العراقي : كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء .

قال ابن الصلاح : والأروع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر .

ومن الصبيان أو الأحداث علي . ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد ، ومن العبيد بلال . قال: وهذا متفق عليه لا خلاف فيه ،وعليه يمل قول من قال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، أي الرجال البالغين الأحرار.

الرعيل الأول

ثم أسلم بعد زيد بن حارثة ،عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، بدعاء أبي بكر الصديق فجاء بهم إلى رسول الله حين استجابوا له، فأسلموا وصلحوا . ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وأبو سلمة والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب . ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء .

الجهر بالدعوة

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يصدع بما جاء به أي يواجه المشركين به.

تفسير (فاصدع بما تؤمر)

وقال مجاهد : هو الجهر بالقرآن في الصلاة .

وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فجهر هو وأصحابه .

مدة الدعوة سراً

وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة ، وهي المدة التي أخفى فيها رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره .

موقف قريش

فبادى قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله تعالى . ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، وكان ذلك سنة أربع ، فأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام . وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه .

فاشتد الأمر ، وتضارب القوم ، وأظهر بعضهم لبعض العداوة ، وتذامرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .

المستهزؤن

وقد كفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المستهزئين كما قال تعالى: (وأعرض عن المشركين) أي لا تلتفت إلى ما يقولون: (إنا كفيناك المستهزئين)[٣٢] وقد قيل : إنهم كانوا خمسة من أشراف قريش : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، والأسود بن المطلب .

ما لقيه صلى الله عليه وسلم من أذى قومه

وكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول :يا أيها الناس ، إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأبو لهب وراءه يقول : يا أيها الناس : إن هذا يأمركم وأن تتركوا دين آبائكم .[٣٣]

وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون . ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه . وقال ابن عمرو كما في البخاري: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ.[٣٤] ثم قال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)[٣٥] وقد ذكر العلماء أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل من مؤمن آل فرعون لأن ذاك اقتصر حيث انتصرعلى اللسان وأما أبو بكر فأتبع اللسان يداً ونصر بالقول والفعل محمداً ﷺ وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال أبو جهل : هل يعف محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيده، فقيل له: مالك ؟ قال : إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً وأنزل الله (إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة.[٣٦]

---

[٣٢] الحجر الآية (٩٥)
[٣٣] المسند ٣/٤٩١و٤/٣٤١
[٣٤] رواه البخاري برقم ٣٨٥٦
[٣٥] سورة غافر (٢٨)
[٣٦] رواه مسلم برقم ٢٧٩٧وفي المسند ٢/٣٧٠

الدعاء على رؤوس الكفر

وفي رواية أيضاً : (كان صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جذور آل فلان ،فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها ، فيجئ به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم ، فلما سجد ﷺ وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي ﷺ ساجداً فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك. فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: اللهم عليك بقريش ،ثم سمى فقال: اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد. قال عبد الله :فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله ﷺ: وأتبع أصحاب القليب لعنة)[٣٧]

إسلام حمزة

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وسبب إسلامه (كما عند ابن اسحاق) أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره . ومولاة لعبد الله بن جدعان تسمع ذلك فأخبرته وكان عائداً من قنص له فاحتمل حمزة الغضب وخرج يسعى حتى لقي أبا جهل في ناد من قريش عند الكعبة فضربه على رأسه بقوسه فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد علي ذلك إن استطعت. وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة وكان إسلامه سنة ست فعزَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلاً .

مفاوضة

وسألوه "يعني النبي صلى الله عليه وسلم " إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه.

[٣٧] رواه البخاري برقم /٥٢٠

فقال لهم عليه السلام : ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

استعانة قريش باليهود

ثم إن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ذهبا إلى أحبار اليهود فسألاهم عنه صلى الله عليه وسلم فقالوا لهما: سلاه عن ثلاثة فإن أخبركما بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فهو متقول . سلاه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وعن رجل طواف وعن الروح ماهو؟

فقال لهم عليه السلام : أخبركم غداً و لم يقل إن شاء الله تعالى فلبث الوحي أياماً ثم نزل قوله تعالى :(ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله)[٣٨]

وأنزل الله ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سألوه عن الروح (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)[٣٩]

آية الروح

وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال: (بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح قالوا: ما رابكم إليه وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا : سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)[٤٠]

قال الحافظ ابن كثير : وهذا يقتضي أن هذه آية مدنية وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية .

وقد يجاب عن هذا: بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك.

ومما يدل على نزولها بمكة ما رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه فنزلت.[٤١]

---

[٣٨] سورة الكهف (٢٣)
[٣٩] سورة الإسراء (٨٥)
[٤٠] رواه البخاري برقم ١٢٥
[٤١] المسند ٢٥٥/١

الاختلاف في الروح

وقد اختلف في المراد بالروح : فقيل : روح الإنسان ، وقيل : جبريل ، وقيل : عيسى ، وقيل : غير ذلك .

وقال القرطبي : الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ، ولا تجهل أن جبريل ملك ، وأن الملائكة أرواح .

وقال ابن بطال : معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر .

قال : والحكمة في إبهامه : اختبار الخلق ، ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه .

وقال القرطبي : الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء ، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده ، كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى .

الاضطهاد والفتنة

ولما كثر المسلمون ، وظهر الإيمان ، أقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم . حتى إنه مر عدو الله ، أبو جهل، بسمية أم عمار بن ياسر ، وهي تعذب فطعنها بحربة فرجها فقتلها .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه ، منهم بلال وعامر بن فهيرة .

أول من أظهر الإسلام

وعن أبي ذر : كان أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد . فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبو طالب ، وأبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس ، وإن بلالاً هانت عليه نفسه في الله عز وجل ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أحد أحد.[٤٢]

[٤٢] رواه أحمد في المسند ٤٠٤/١

عتقاء أبي بكر

أخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة ، منهم : الزنيرة ، فذهب بصرها ، وكانت ممن تعذب في الله فتأبى إلا الإسلام ، فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها .

الهجرة الأولى إلى الحبشة

ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة ، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة . فهاجر إليها ناس ذوو عدد ، منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة . وأميرهم عثمان بن مظعون ، وخرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار .

وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال : أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما ، فقدمت امرأة فقالت : قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار ، فقال :

إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط .

فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصي وعبد الله بن ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي ليردهم إلى قومهم فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما .

إسلام عمر بن الخطاب

وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام بدعوته صلى الله عليه وسلم: (اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)[٤٣]

وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة .

سبب إسلامه

وكان سبب إسلامه " فيما ذكره أسامة بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر" أنه قال: بلغني إسلام أختي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك أنك صبوت ثم ضربتها

[٤٣] رواه الترمذي عن ابن عباس ورواه أحمد والترمذي ـ وقال حسن صحيح ـ

فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت. قال: فدخلت وأنا مغضب فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت إليها فإذا فيها (سبح لله ما في السموات والأرض) حتى بلغت (آمنوا بالله ورسوله)[٤٤]

فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوا مني فجئت إلى رسول الله في بيت في أسفل الصفا فدخلت وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي ﷺ .

فقال أرسلوه فأرسلوني فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني إليه ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة.

وكان الرجل إذا أسلم استخفى ثم خرجت إلى رجل لم يكن يكتم السر فقلت له إني صبوت قال فرفع صوته بأعلاه : ألا إن ابن الخطاب قد صبأ فما زال الناس يضربوني وأضربهم فقال خالي[٤٥]: ما هذا ؟ قالوا: ابن الخطاب فقام على الحجر وأشار بكمه فقال: ألا إني قد أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني قال: فما زلت أضرب حتى أعز الله الإسلام.[٤٦]

وقال ابن عباس : لما أسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : " يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر "[٤٧]

دخول الشعب وخبر الصحيفة

ولما رأت قريش عزة النبي ﷺ بمن معه وإسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فأجابوه حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية .

---

[٤٤] سورة الحديد

[٤٥] يحتمل أنه أبو جهل أو أخوه الحارث بن هشام

[٤٦] رواه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي

[٤٧] رواه ابن ماجه ورواه أيضاً الحاكم وصححه .

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب : أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل .

وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، هلال المحرم سنة سبع من النبوة .

فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه ، إلا أبا لهب فكان مع قريش . فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً.

الهجرة الثانية إلى الحبشة

عدد المهاجرين

ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة . وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وثماني عشرة امرأة .وكان معهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية . وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة سنة سبع من الهجرة إلى المدينة وهي بالحبشة .

خروج أبي بكر مهاجراً

وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً إلى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع في جوار مالك بن الدغنة يعبد ربه في داره ابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن. وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة : إنا قد خشينا أن فتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك .

فقال أبو بكر لابن الدغنة : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله .[٤٨]

[٤٨] رواه البخاري/٢٢٦٧/

نقض الصحيفة

ثم قام رجل في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه ﷺ على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله تعالى فقط ، فلما أنزلت لتمزق وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم .وذلك في السنة العاشرة .

عام الحزن

وفاة أبي طالب

ولما أتت عليه صلى الله تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة.

دعوته إلى الإسلام

وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة .

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ قال له : والله يا ابن أخي لولا مخافة قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها . فقال صلى الله عليه وسلم : لم أسمعه كذا رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت .

موت أبي طالب كافراً

مع أن الصحيح من الحديث قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب . حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.

وفاة خديجة

ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح ماتت خديجة رضي الله عنها .

وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن . وكانت مدة إقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة على الصحيح .
ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة .

الخروج إلى الطائف

ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة. لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب . وكان معه زيد بن حارثة. فأقام به شهراً يدعو أشراف ثقيف إلى الله فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه. ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجاً .
وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد، قال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت" وأنا مهموم"على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنامللك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشين . قال صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.[٤٩]
وأفاد ابن سعد : أن مدة إقامته ﷺ بالطائف كانت عشرة أيام .

إسلام عداس

ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما رأيا ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني

[٤٩] رواه البخاري /٣٢٣١ومسلم /١٧٩٥

"غلامهما " قطف عنب فلما وضع ﷺ يده في القطف قال : بسم الله ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ﷺ : **من أي البلاد أنت . وما دينك ؟ قال نصراني من نينوى . فقال ﷺ** من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال: وما يدريك ؟ قال: ذاك أخي وهو نبي مثلي . فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلهما وأسلم. رواه ابن إسحاق وغيره

ذكر الجن

ولما نزل نخلة " وهو موضع على ليلة من مكة " صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين "مدينة بالشام" وكان صلى الله عليه وسلم قد قام في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن.

وقال الحافظ ابن كثير وقد ذكر ابن إسحاق خروجه عليه السلام إلى أهل الطائف ودعاءه إياهم وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين .

قال:وهذا صحيح لكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال: كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً فيكون ما سمعوه حقاً وما زاده باطلاً وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث فبعث جنوده فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.[٥٠]

دعاء

وفي طريقه عليه السلام دعا بالدعاء المشهور :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين إلى من تكلني إلى عدوٍ بعيدٍ يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور

---

[٥٠] المسند ٢٧٤/١ ورواه الشيخان بنحوه .

وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يتزل بي غضبك أو يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك).

العودة إلى مكة

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي .

وقت الإسراء

ملخص قصة الإسراء

ولما كان في شهر ربيع الأول أسري بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سماوات ورأى ربه، وأوحى الله إليه ما أوحى وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف في ليلته إلى مكة .

فأخبر بذلك فصدقه الصديق وكل من آمن بالله .

وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر إليه ويصفه .

وقت الإسراء

قال الزهري : وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين واحتج : بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو بخمس ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء .

وقيل : كان في رجب . وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين . وقيل : وكان ليلة السابع والعشرين من رجب .

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

اللقاء الأول مع الأنصار

ولما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم : من أنتم ؟

قالوا: نفر من الخزرج قال: أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا: بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه . فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت فقال بعضهم لبعض : لا تسبقنا اليهود إليه . فأجابوه إلى ما دعاهم وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام فأسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج. فقال لهم النبي ﷺ : تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي .

وانصرفوا إلى المدينة. و لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ .

بيعة العقبة الأولى

فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلاً فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء أي وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي: أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم . قال ﷺ : فإن وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه و لم يفرض يومئذٍ القتال . أخرجه الشيخان ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام .

وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم .

مصعب بن عمير

وكتبت الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ : ابعث إلينا من يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير.

فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء و لم يبق منهم أحد إلا أسلم ، و لم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم .

بيعة العقبة الثانية

ثم قدم على النبي ﷺ في العام المقبل في ذي الحجة منهم سبعون رجلاً فكان أول من ضرب على يده الشريفة عليه السلام البراء بن معرور على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود .

وكانت أول آية نزلت في الإذن بالقتال (أذن للذين يقاتلون ...)[٥١]

ونقب عليهم اثني عشر نقيباً . وفي حديث جابر عند أحمد بإسناد حسن : مكث ﷺ عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول : من يؤويني ؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ؟ حتى بعثنا الله إليه من يثرب .

وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقاً لرسول الله ﷺ ومؤكداً على أهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه (ظاهرا).

الهجرة إلى المدينة

الإذن بالهجرة للصحابة

ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانت سراً عن كفار قريش أمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة .

فخرجوا أرسالاً وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج فكان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة فآذاه أهلها وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار فخرج إليهم .

ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم المسلمون أرسالاً ثم عمر بن الخطاب وأخوه زيد وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكباً فقدموا المدينة فنزلوا في العوالي.

ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه ﷺ إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر . وكان الصديق كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكون هو.

[٥١] سورة الحج (٣٩)

شورى قريش

ثم اجتمع قريش ومعهم إبليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه السلام فاجتمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك .

علي في الفراش

ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر صلى الله عليه و سلم علياً فنام مكانه وغطى ببرد أخضر فكان أول من شرى نفسه في الله ووقى بها رسول الله ﷺ .

المشركون حول بيته صلى الله عليه وسلم

ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده وهو يتلو قوله تعالى: (يس) إلى قوله (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ثم انصرف عليه السلام حيث أراد .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا: محمداً قال: قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب .

وفي رواية أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس : فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً .

وفي هذه نزل قوله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك)[٥٢]

الحكمة من هجرته صلى الله عليه وسلم

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة .

فإن قلت ما الحكمة في هجرته ﷺ إلى المدينة وإقامته بها إلى أن انتقل إلى ربه عز وجل ؟

أجيب : بأن حكمة الله تعالى قد اقتضت أنه عليه السلام تتشرف به الأشياء لا أنه يتشرف بها. فلو بقي عليه السلام في مكة إلى انتقاله إلى ربه لكان يتوهم أنه قد تشرف

[٥٢] سورة الأنفال (٣٠)

بمكة إذ أن شرفها قد سبق بالخليل وإسماعيل ، فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام فأمره بالهجرة إلى المدينة فلما هاجر إليها تشرفت به حتى وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة .

تحديد يوم الهجرة

وذكر الحاكم أن خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها .

وجزم ابن إسحاق: بأنه خرج أول يوم من ربيع الأول . فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوماً .

وقال الحاكم : تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس . ويجمع بينهما : بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، وخرج أثناء ليلة الاثنين .

في بيت أبي بكر

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر . وأخبر عليه السلام علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس .

قالت عائشة : فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها . قال أبو بكر : فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل ، فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله .

وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه ﷺ قبل ذلك .

فقال ﷺ : إنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله . فقال ﷺ : نعم . فقال أبو بكر : فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسول الله ﷺ : بل بالثمن.

الراحلة بالثمن

فإن قلت : لم لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل؟ أجيب : بأنه إنما فعل ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة إلى الله.

ذات النطاقين

قالت عائشة : فجهزناهما أحسن الجهاز أحسن الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين.

وداع مكة

قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور (جبل بأسفل مكة) .

وكان من قوله ﷺ حين خرج من مكة ونظر إلى البيت فقال: والله إنك لأحب أرض الله إلي وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت.

إلى الغار

و لم يعلم بخروجه عليه السلام إلا علي وآل أبي بكر .ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه . وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده .

عند باب الغار

وذكر قاسم بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة . قال قاسم: وهي شجرة معروفة .

وفي مسند البراز : أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين .

ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له: مالك ؟ قال:

رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس به أحد. وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف: ما أربكم من الغار؟ إن فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد.

وقد روي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا : لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت.

وروي أنه ﷺ قال: اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار .

في الغار

وفي الصحيح عن أنس قال أبو بكر : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظنك باثنين الله ثالثهما.[٥٣]

وروي أن أبا بكر قال: نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ في الغار وقد تفطرتا دماً فاستبكيت وعلمت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفا والجوفة .

وروي أيضاً أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وأنه رأى جحراً فيه فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ فجعلت الحيات والأفاعي تضربنه وتلسعنه فجعلت دموعه تنحدر . وفي رواية : فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجر أبي بكر فنام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر و لم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:ما لك يا أبا بكر ؟ فقال: لدغت فداك أبي وأمي فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده.

مدة المكث في الغار وما حصل فيها

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاث ليال .

وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام .

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر عبد الله بن أريقط دليلاً وهو على دين كفار قريش و لم يعرف له الإسلام فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال.

---

[٥٣] أخرجه البخاري/٣٩٢٢ومسلم/ ٢٣٨

إلى خيمة أم معبد

فأتاهما براحلتين صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية .

وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبناً ولحماً يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله ﷺ هل بها من لبن ؟ فقالت لهي أجهد من ذلك فقال: أتأذنين لي أن أحلبها ؟

فقالت بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا بإناء يربض الرهط " أي يشبع الجماعة حتى يربضوا " فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا . فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعتزاً عجافاً. فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. فقال: صفيه يا أم معبد .

فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق وسيم قسيم في عينيه دعج و وفي صوته صحل أحور أكحل شديد سواد الشعر إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء حلو المنطق فصل لا نزر ولاهذر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إذا أمر تبادروا إلى أمره .فقال: هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته .

شرح كلمات حديث أم معبد

وقوله مرملين : أي نفذت أزوادهم . ومسنتين : أي مجدبين . وتفاجت : فتحت ما بين رجليها والثج : السيلان . والوضاءة الحسن . والوسيم : الحسن . وفي عينيه دعج : أي سواد . وصوته صحل : وهو كالبحة . وأحور : والحور أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها. والكحل : سواد في أجفان العين خلقة . وإذا تكلم سما وعلاه البهاء : أي ارتفع على جلسائه .

شاة أم معبد

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم : حدثني حزام ابن هشام عن أبه عن أم معبد قالت : بقيت الشاة التي لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير .

قصة سراقة

ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جشعم المدلجي فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله أتينا قال: كلا ودعا رسول الله ﷺ بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الأمان فقال : أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما. قال: فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما أخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني .

قصة العبد الراعي

روى البيهقي عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقا حملت عام أول فما بقي بها لبن فقال: ادع بها فاعتقلها ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي : بالله من أنت فو الله ما رأيت مثلك .فقال: أو تراك تكتم علي حتى أخبرك ؟ قال نعم قال نعم قال: فإني رسول الله فقال أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال: إنهم ليقولون ذلك قال: أشهد أنك نبي وأن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا .

الوصول إلى قباء

ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه

يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم " أي حظكم ومطلوبكم " قد أقبل فخرج إليه بنو قيلة " وهم الأوس والخزرج " سراعاً بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف. [٥٤]

وصول علي إلى قباء

وأقام علي بمكة بعد مخرج النبي ﷺ ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين سابع وقيل: ثامن عشر ربيع وكانت مدة مقامه مع النبي ﷺ ليلة أو ليلتين .

التأريخ بالهجرة

وأمر ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة .

وقيل : إن عمر أول من أرخ وجعله من المحرم .

الإقامة في قباء

وأقام صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة . وأسس مسجد قباء الذي أسس على التقوى وهو أول مسجد بني في الإسلام وأول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهراً وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة .

من قباء إلى المدينة

ثم خرج ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في بطن وادي رانوناء .

ولذا سمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك إلى مسجد قباء .

وروى أنس بن مالك أنه ﷺ أقبل إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك قال: فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير.[٥٥]

---

[٥٤] رواه البخاري /٣٩٠٦

[٥٥] رواه البخاري /٣٩١١

وإنما كان أبو بكر معروفاً لأهل المدينة لأنه كان يمر عليهم في سفره للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم لم يشب وكان صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر.

خلوا سبيلها فإنها مأمورة

وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم : يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة فيقول : خلوا سبيلها "يعني ناقته " فإنها مأمورة . وقد أرخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يميناً وشمالاً حتى إذا أتت دار مالك ابن النجار بركت على باب المسجد ثم ثارت وهو عليه السلام عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول ونزل عنها عليه السلام وقال: هذا المنزل إن شاء الله .

في منزل أبي أيوب

واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله في بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده عليه السلام .

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري عند أبي يوسف يعقوب في كتاب الذكر والدعاء له قال: نزل علي رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت إلى أم أيوب قلت لها : رسول الله ﷺ أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب فلما أصبحت قلت : يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال: لم يا أبا أيوب ؟ قلت : كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي لا والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً. رواه الحاكم

الفرح يعم المدينة

وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور إلى القلوب قال أنس بن مالك : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير عند قدومه يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فرح الجواري والغلمان

أخرج البيهقي عن أنس: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ : أتحببني قلن نعم يا رسول الله . وفي رواية الطبراني في الصغير فقال ﷺ: الله يعلم أن قلبي يحبكم.

قال الطبراني : وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله.

وباء المدينة

ووعك أبو بكر وبلال وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول : اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة .

مدة الإقامة في بيت أبي أيوب وأقام ﷺ عند أبي أيوب سبعة أشهر .

بناء المسجد النبوي

وكان يصلي حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا: لا نطلب ثمنه إلا الله فأبى ذلك عليه السلام وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر رضي الله عنه وكان خرج من مكة بماله كله .

قال أنس: وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار بن ياسر ينقل لبنتين لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ﷺ : للناس أجر ولك أجران آخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية.[٥٦]

[٥٦] رواه البخاري /٤٢٨و٤٤٧و٣٩٣٢ومسلم /٥٢٤

وصف المسجد

وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه . وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه . وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع وبنى بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعاً إلى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان .

ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها.

وكان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه إلى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه .

الصفة

وكان في المسجد موضع مظلل تأوي إليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون : أهل الصفة وكان ﷺ يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام .

وفي البخاري من حديث أبي هريرة : لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد رابطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .[٥٧]

المنبر

وكان ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائماً فقال: إن القيام قد شق علي فصنع له المنبر . وكان عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة من الهجرة .

وعن بعض أهل السير: أنه ﷺ كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذي من خشب وعورض: بأن الأحاديث الصحيحة أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب.

[٥٧] رواه البخاري /٤٤٢

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

ولما كان بعد قدومه بخمسة أشهر آخى عليه السلام بين المهاجرين والأنصار وكانوا تسعين رجلاً من كل طائفة خمسة وأربعون على الحق والمواساة والتوارث .

البناء بعائشة

وبنى بعائشة على رأس تسعة أشهر في شوال .

خبر الآذان وزيادة الصلاة

الاجتماع للصلاة قبل الأذان

وكان الناس إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحين مواقيتها من غير دعوة .

وأخرج ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب : أن بلالاً كان ينادي للصلاة بقوله الصلاة جامعة . وشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة وكان ذلك فيما قبل السنة الثانية فقال بعضهم : ناقوس كناقوس النصارى وقال آخرون : بوق كبوق اليهود وقال بعضهم : بل نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد

فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلاً فعلمه الأذان والإقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى وفي رواية معاذ بن جبل عند الإمام أحمد قال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم رأيت شخصاً عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر ، الله أكبر مثنى ، مثنى حتى فرغ من الأذان . الحديث فقال صلى الله عليه وسلم : إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتاً منك قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه ويؤذن . قال: فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه يقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى .

رواية ابن إسحاق

عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن إسحاق وذلك أنه قال: (طاف بي " وأنا نائم " رجل يحمل ناقوساً في يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟ قال: وماتصنع به ؟ قلت ندعو

به إلى الصلاة قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك ؟ فقلت : بلى قال: تقول الله أكبر الله أكبر، وذكر بقية كلمات الأذان . قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال : إذا قمت إلى الصلاة فقل: الله أكبر الله أكبر إلى آخر ألفاظ الإقامة) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

زيادة صلاة الحضر

ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه السلام لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لأنها وتر النهار وأقرت صلاة السفر .

وفي البخاري عن عائشة (فرضت الصلاة ركعتين (ركعتين) ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ففرضت أربعاً وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لأنها وتر النهار وأقرت صلاة السفر . وقيل إنما فرضت أربعاً ثم خفف عن المسافر . ويدل له حديث :(إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة)[٥٨]

ظهور عداوة اليهود والمنافقين

قال ابن إسحاق :

ونصبت أحبار يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغياً وحسداً وسحره لبيد بن الأعصم وهو من يهود بني زريق فكان يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهولا يفعله وجعل سحره في مشط ودفنه في بئر ذي أروان كما ثبت في الصحيح.[٥٩]

وليس هذا بقادح في النبوة فإن الأنبياء عليهم السلام يبتلون في أبدانهم بالجراحات والسموم والقتل وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم .

وانضاف إلى اليهود جماعة الأوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث إلا أنهم قهروا بظهور الإسلام (فأظهروه) ونافقوا في السر منهم عبد الله بن أبي سلول وكان رأس المنافقين .

---

[٥٨] رواه أبو داود/٢٤٠٨ وأحمد المسند ٣٤٧/٤ وكذلك عند النسائي وابن ماجه.

[٥٩] ذكره البخاري /٣١٧٥ ومسلم /٢١٨٩

المغازي

الإذن بالقتال

وأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال .

قال الزهري : أول آية نزلت في الإذن بالقتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[٦٠] أخرجه النسائي بإسناد صحيح .

وقال غيره : وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر المسلمون "وهم قليلون " بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار إسلام ومعقلاً يلجؤون إليه شرع الله تعالى جهاد الأعداء فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً .

عدد الغزوات والسرايا

وكان عدد مغازيه صلى الله عليه وسلم التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين . قاتل في تسع منها بنفسه الشريفة : بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف . وكانت سراياه التي بعث فيها سبعاً وأربعين سرية .

معنى سرية ومصطلحات أخرى

السرية هي التي تخرج بالليل . وقيل سميت بذلك لأنه يخفى ذهابها، وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه من مائة إلى خمسمائة.

سرية حمزة

وكان أول بعوثه ﷺ على رأس سبعة أشهر في شهر رمضان وقيل في ربيع الأول سنة اثنتين . بعث عمه حمزة وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين .

فخرجوا يعترضون عيراً لقريش فيها أبو جهل اللعين فلقيه في ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمروالجهني وكان عليه السلام قد عقد لواء أبيض .

---

[٦٠] سورة الحج (٣٩)

اللواء والراية

واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمقدم المعسكر .

وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن روى أحمد والترمذي عن ابن عباس : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض .

سرية عبيدة بن الحارث

ثم سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر في ستين رجلاً وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة يلقى أبا سفيان بن حرب وكان على المشركين في مائتين و لم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمي في الإسلام . وقال ابن إسحاق : وكانت راية عبيدة أول راية عقدت في الإسلام وبعض الناس يقول: راية حمزة قال: وإنما أشكل أمرهما لأنه عليه السلام بعثهما معاً فاشتبه ذلك على الناس.

سرية سعد بن أبي وقاص

ثم سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار" وهو واد يصب بالحجاز في الجحفة " على رأس تسعة أشهر وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلاً يعترض عيراً لقريش فخرجوا على أقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس .

أول الغزوات : ودان

ثم غزوة ودان وهي الأبواء وهي أول مغازيه . خرج عليه السلام في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة يريد قريشاً في ستين رجلاً وحمل اللواء حمزة فكانت الموادعة على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون جمعاً ولا يعينون عليه عدواً .

واستعمل على المدينة سعد بن عبادة.

غزوة بواط

ثم غزوة بواط وهي الثانية غزاها عليه السلام في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش

فيهم أمية بن خلف واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون فرجع و لم يلق حرباً.

غزوة العشيرة

ثم غزوة العشيرة ونسبت هذه إلى المكان الذي وصلوا إليه وهو موضع لبني مدلج بينبع . وخرج إليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة في خمسين ومائة رجل وحمل اللواء حمزة يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة فخرج إليها ليغنمها فوجدها قد مضت .

غزوة بدر الأولى

ثم غزوة بدر الأولى . ولما رجع عليه السلام من غزوة العشيرة لم يقم إلا ليالي حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان (موضع من ناحية بدر) ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الأولى .
واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

سرية عبد الله بن جحش

ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً وكان معه ثمانية من المهاجرين إلى نخلة على ليلة من مكة في رجب يترصد قريشاً فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً من الطائف فيها عمرو بن الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب فإن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فأجمعوا على قتلهم فقتلوا عمراً واستأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير وكانت أول غنيمة في الإسلام فقسمها ابن جحش ويقال: بل قدموا بالغنيمة كلها فقال النبي عليه السلام : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فأخر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها . وتكلمت قريش : أن محمداً سفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام فأنزل تعالى:(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه)[٦١]

[٦١] سورة البقرة (٢١٧)

وبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الأسيرين ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً .

تحويل القبلة

ثم حولت القبلة إلى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر شهراً.[٦٢]

وظاهر حديث البراء في البخاري: أنها كانت صلاة العصر ووقع عند النسائي من رواية سعيد بن المعلى : أنها الظهر .

وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى عليه وسلم قد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.[٦٣]

وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما هاجر عليه السلام إلى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهراً وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت الآية .

موقف اليهود والمنافقين

ولما حول الله تعالى القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فأنزل الله جوابهم : في قوله:(قل لله المشرق والمغرب) أي الحكم والتصرف والأمر لله .

ولله تعالى بنبينا عليه السلام وبأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة خليله قال عليه السلام فيما رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها : إن اليهود لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام: آمين.

---

[٦٢] رواه مسلم /٥٢٥ وكذا النسائي

[٦٣] رواه البخاري /٤٠٣ ومسلم /٥٢٦

أجوبة قرآنية

وقال بعض المؤمنين : فكيف صلاتنا التي صليناها نحو بيت المقدس ؟ وكيف من مات من إخواننا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم)[٦٤]

وقيل قال اليهود : اشتاق إلى بلد أبيه وهو يريد أن يرضي قومه فأنزل الله تعالى :(وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) [٦٥]

فرض رمضان وزكاة الفطر

ثم فرض صيام شهر رمضان بعدما حولت القبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه صلى الله عليه وسلم .

وزكاة الفطر قبل العيد بيومين : أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاع من تمر أو صاع من زبيب أو صاع من شعير أو صاع من بر.

غزوة بدر الكبرى

ثم غزوة بدر الكبرى وهي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن يخلد وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت لاستدارتها أو لصفائها ورؤية البدر فيها .

فضل غزوة بدر

وقال ابن كثير : وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فأعز الله تعالى رسوله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى :(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)[٦٦]

معلومات عامة

وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان واستخلف أبا لبابة الأنصاري وخرج معه الأنصار وكان عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة . وكان معهم ثلاثة أفراس وكان معهم سبعون بعيراً وكان المشركون ألفاً معهم مائة فرس وسبعمائة بعير .

وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان .

---

[٦٤] سورة البقرة (١٤٣)
[٦٥] سورة البقرة (١٤٤)
[٦٦] آل عمران (١٢٣)

سبب الغزوة

وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولاميعاد كما قال الله تعالى :(ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)[٦٧]

وإنما قصد ﷺ والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك أن أبا سفيان كان بالشام في ثلاثين راكباً منهم عمرو بن العاصي فأقبلوا في قافلة عظيمة فيها أموال قريش حتى إذا كانوا قريباً من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال: هذه عير لقريش فيها أموال فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها.

فلما سمع أبو سفيان بسيره عليه السلام استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أن يأتي قريشاً بمكة فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه .

فنهضوا في قريب من ألف و لم يتخلف أحد من أشراف قريش إلا أبا لهب وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة .

الشورى

وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ الروحاء فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبي عليه السلام الناس في طلب العير أو حرب النفير وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير وإما قريش. وكانت العير أحب إليهم .

فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد " يعني مدينة الحبشة " لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له ﷺ : خيراً ودعا له بخير ثم قال صلى الله عليه وسلم : أيها الناس أشيروا علي وإنما يريد الأنصار . فلما قال ذلك عليه السلام :قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: أجل . قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق

[٦٧] سورة الأنفال (٤٢)

وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله تعالى.

فسر عليه السلام بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال: سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم .

على أرض المعركة

ثم ارتحل ﷺ قريباً من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم .

وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون إلى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله . وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا .

فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية وأطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام . وزالت وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى :(ويترل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) أي من الأحداث و الجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته (وليربط على قلوبكم) بالصبر (ويثبت به الأقدام)[٦٨] حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الأرض .

وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه .

المبارزة قبل المعركة

ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج فتية من الأنصار وهم : عوف ومعاذ ابنا الحارث وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم ؟ فقالوا: رهط من الأنصار فقالوا ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج لنا

[٦٨] سورة الأنفال (١١)

أكفاءنا من قومنا . فقال صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم ؟ فتسموا لهم فقالوا: نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز ا علي الوليد بن عتبة .

فقتل علي الوليد وقتل حمزة شيبة واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال علي وحمزة على الذي بارزه عبيدة فأعاناه على قتله .

وقد روع الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك .

استغاثة ودعاء

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض . ورسول الله ﷺ في العريش ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه السلام يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم فلا تعبد في الأرض أبداً وأبو بكر يقول : يا رسول الله خل بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك .

وفي الصحيح : أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق

أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ثم استيقظ متبسماً فقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو (سيهزم الجمع ويولون الدبر)

أبو بكر والدعاء

فإن قلت: كيف جعل أبو بكر يأمره عليه السلام بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام الرسول ﷺ هو المقام الأحمد ويقينه فوق يقين كل أحد ؟

أجاب السهيلي بأن الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجاء والنبي عليه السلام في مقام الخوف لأن لله تعالى أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد الله في الأرض فخوفه ذلك عبادة .

وقال الخطابي : لا يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحالة بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة فلما قال له

أبو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة فلهذا عقبه بقوله : سيهزم الجمع ويولون الدبر .

شهود الملائكة غزوة بدر

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً دخل العريش فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني ...فما زال يهتف بربه مادًا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم) مرسل إليكم مدداً لكم (بألف من الملائكة مردفين)[٦٩] أي متتابعين بعضهم في إثر بعض .

وفي الآية الأخرى (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)[٧٠] فقيل معناه: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف. فكان الأكثر مدداً للأقل .

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين : لا غالب اليوم من الناس وإني جار لكم فلما أقبل جبريل والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه فقال الرجل : يا سراقة أتزعم أنك جار ؟ فقال إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب .

وقال ابن عباس : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين: عمائم خضر.

مشاركة الملائكة في القتال

قيل: و لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الأيام وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً .

ثم روى عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر .

---

[٦٩] رواه مسلم برقم /١٧٦٣

[٧٠] آل عمران (١٢٤)

وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد " يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام " يقاتلان كأشد القتال.[٧١]

قال النووي : فيه بيان إكرامه صلى الله عليه وسلم بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن قتالهم لم يختص بيوم بدر . قال : وهذا الصواب .

قتلى الملائكة

قال ابن الأنباري : وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله : (فاضربوا فوق الأعناق) أي الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن عطية: كل مفصل.

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.[٧٢]

الحكمة في قتال الملائكة

قال الشيخ تقي الدين السبكي : سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه .

فقلت : ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي عليه السلام وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصور الأسباب وسنتها .

ولكن الله رمى

ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من الحصباء فرمى به في وجوههم وقال: شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أشرافهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)[٧٣] قال: هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال : شاهت الوجوه فانهزموا .

---

[٧١] رواه مسلم برقم ٤٧

[٧٢] رواه الحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم

[٧٣] سورة الأنفال (١٧)

وقد اعتقد جماعة : أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عنه وإضافته إلى الرب تعالى وجعلوا ذلك أصلاً في الخبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده !! وهذا غلط منهم في فهم القرآن .

ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته وهو الإيصال فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته .

معجزتان

قال ابن إسحاق : وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلاً من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده .

وجاءه عليه السلام يومئذ معاذ بن عمرو يحمل يده ، ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليها عليه السلام فلصقت . قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان

أمام القليب

وعن عروة بن الزبير عن عائشة : لما أمر صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه فطرحوا فيه .

وإنما ألقوا في القليب و لم يدفنوا لأنه عليه السلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم إلى القليب أيسر عليهم .

وفي الطبراني عن أنس بن مالك قال : أنشأ " عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس من بدر " يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله قال عمر : فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدها ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟! فإني وجدت ما وعدني الله حقاً .

فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا روح فيها فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً .

خبر وقصة

وحكى العلامة ابن مرزوق أن ابن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر فإذا رجل يعذب ويئن، فلما اجتاز به ناداه: يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما : فلا أدري أعرف اسمي أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت إليه فقال : اسقني فأردت أن أفعل فقال الأسود الموكل بتعذيبه : لا تفعل يا عبد الله فإن هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر . ورواه الطبراني في الأوسط .

أمر الأسرى

وفي حديث أنس عند الإمام أحمد :استشار صلى الله عليه وسلم الناس في الأسرى يوم بدر فقال :إن الله قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال :يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه عليه السلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال :يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه عليه السلام فعل ذلك ثلاثا فقام أبو بكر فقال :يا رسول الله أرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا وقبل منهم الفداء .

قال: وأنزل الله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) .

وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال :يا عباس افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو . قال إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني. قال: الله تعالى أعلم بما تقول إن يكن ما تقول حقا فإن الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا .

وذكر موسى بن عقبة أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهبا . فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم)[٧٤]

فقال العباس : وددت لو أخذ مني أضعافها لقوله تعالى : (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) .

[٧٤] سورة الأنفال (٧٠)

شهداء المسلمين

وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ستة من الخزرج واثنان من الأوس .

قتلى المشركين وأسراهم

وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكل أسلم .

إسلام العباس

وكان العباس رضي الله عنه قد أسلم قديما وكان يكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع إلى مكة .

وقيل أنه أسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالأبواء وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة .

وقيل إن سبب إسلامه أنه خرج لبدر بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتني أتكفف قريشا فقال له صلى الله عليه وسلم : فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس : وما يدريك ؟ فقال : أخبرني ربي فقال أشهد أنك صادق فإن هذا لم يطلع عليه أحد إلا الله وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله .

بشارة النصر ودفن رقية

ولما فرغ ﷺ من بدر في آخر رمضان وأول يوم من شوال بعث زيد بن حارثة بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية وكان عثمان قد تخلف لأجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره.

في الطريق إلى المدينة

ثم أقبل عليه السلام قافلا إلى المدينة ومعه الأسرى من المشركين واحتمل النفل الذي أصيب منهم وجعل عليه عبد الله بن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين على السواء . ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسرى بيوم فلما تقدموا فرقهم بين أصحابه وقال : استوصوا بهم خيرا

الحكم الفقهي في الأسرى

وقد استقر الحكم في الأسرى عند الجمهور من العلماء : أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ﷺ ببني قريظة وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر وإن شاء استرق من أسر .

خبر النصر في مكة

ولما قدم أبو سفيان بن الحارث من بدر لمكة سأله أبو لهب عن خبر قريش فقال :والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم يقتلوننا كيفما شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا .

قال أبو رافع " مولى رسول الله ﷺ وكان الإسلام قد دخلنا فقلت : والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به في رأس أبي لهب وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده .

قال: فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله . وقال ابن عقبة: أقام النوح على قتلى قريش شهرا.

الأحداث بين بدر وأحد

قتل عمير عصماء

ثم سرية عمير بن عدي الخطمي وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة إلى عصماء بنت مروان[٧٥] وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله ﷺ فجاءها ليلاً وكان أعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها

[٧٥] امرأة يهودية

ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأخبره بذلك فقال: لا ينتطح فيها عنزان أي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فإنها هدر .

صلاة عيد الفطر

وفي أول شوال صلى صلاة الفطر .

غزوة بني سليم بالكدر

وفي أول شوال أيضاً خرج صلى الله عليه وسلم يريد بني سليم . فبلغ ماء يقال له الكدر وتعرف بغزوة قرقرة وهي أرض ملساء . فأقام بها عليه السلام ثلاثاً وقيل عشراً فلم يلق أحداً . وكانت غيبته عليه السلام خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة

وحمل اللواء علي بن أبي طالب .

غزوة بني قينقاع

وكانت يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة .

وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام :

ـــ قسم وادعهم صلى الله عليه وسلم على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة : قريظة والنضير وبنو قينقاع .

ـــ وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش .

ـــ وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كخزاعة .

وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم صلى الله عليه وسلم في شوال بعد بدر . وكان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي فرادوها على كشف وجهها فأبت فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشددت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين قينقاع .

فسار إليهم النبي ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر .

فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لهم أموالهم وأن لهم النساء والذرية .

وكلم عبد الله بن أبي بن سلول رسول الله ﷺ أن يجلوا وتركهم من القتل .

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت فتبرأ عبادة من حلفهم فقال: يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم . ففيه وفي عبد الله أنزل :(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) إلى قوله:(فإن حزب الله هم الغالبون)[٧٦]

غزوة السويق

ثم السويق في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة .

وسميت : غزوة السويق لأنه كان أكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون .

وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة نذر أن لا يمس النساء

والدهن حتى يغزو محمداً عليه السلام فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى أتوا العريض فحرقوا نخلاً وقتلوا رجلاً من الأنصار فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه فانصرف

بقومه راجعين .و خرج صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق يتخففون للهرب فيأخذها المسلمون و لم يلحقهم عليه السلام فرجع إلى المدينة . وكانت غيبته خمسة أيام .

من أحداث السنة الثانية

وفي ذي الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وأمر بالأضحية .

زواج علي من فاطمة

وفي هذه السنة تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما . وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر و لم يتزوج عليها حتى ماتت .

[٧٦] سورة المائدة (٥٦)

أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك . فجاءت أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وأنا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هاهنا أخي فقالت أم أيمن : أخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال: نعم . ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتني بماء فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذها ومج فيه ثم قال لها: تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها، وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها . ثم فعل مثل ذلك بعلي .ثم قال ادخل بأهلك بسم الله والبركة .

وأخرج الدولابي عن أسماء قالت: لقد أولم علي على فاطمة فما كان وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته ، رهن درعه عند يهودي بشطر شعير وكانت وليمته آصعاً من شعير وتمر وحيس " التمر والأقط " .

وأخرج أحمد في المناقب عن علي:كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف .

قتل كعب بن الأشرف

ثم سرية محمد بن مسلمة و أربعة معه إلى كعب بن الأشرف اليهودي لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة .

روى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه : أن كعب بن الأشرف كان شاعراً وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها أخلاط فأراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر . فلما أبى كعب بن الأشرف أن يترع عن أذاه أمر رسول الله عليه السلام سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه . فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة وعبادة بن بشر والحارث بن أوس بن معاذ وأبوعبس بن جبر وهؤلاء الخمسة من الأوس .

وفي رواية ابن سعد: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه ثم انتهوا إليه فقال:أفلحت الوجوه قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله ، فحمد الله على قتله .

غزوة غطفان

وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمس وعشرين شهراً من الهجرة .

وسببها: أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي . فندب ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً واستخلف على المدينة عثمان بن عفان . فلم سمعوا بمهبطه ﷺ عليهم هربوا في رؤوس الجبال فأصابوا رجلاً منهم يقال له: حبان من بني ثعلبة فأدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال .

وأصاب النبي ﷺ مطر فترع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه عليه السلام فقال: من يمنعك مني اليوم فقال:عليه السلام الله . فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني فقال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام وأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم)[٧٧]

غزوة بحران

وسببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كبيراً من بني سليم فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع و لم يلق كيداً .

وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم كما قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وسببها: كما قال ابن إسحاق أن قريشاً خافوا من طرقهم التي يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة . وعند ابن سعد: بعثه صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى

[٧٧] سورة المائدة (١١)

الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة في مائة راكب يعترض عيراً لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة . فأصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم.

غزوة أحد

أحد

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها . وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك .وهو الذي قال فيه عليه السلام:(أحد جبل يحبنا ونحبه)[٧٨]

وقيل : وفيه قبر هارون أخي موسى عليهما السلام .

تاريخ الغزوة

وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه .

سببها

إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة وقد أصيب أصحاب القليب ورجع أبو سفيان بعيره قال عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل في جماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه "يعنون عي أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة " لعلنا أن ندرك به ثأرنا . فأجابوا لذلك فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار .

وفيهم أنزل الله (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون)[٧٩]

خروج قريش

واجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ . وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة .

---

[٧٨] متفق عليه

[٧٩] سورة الأنفال (٣٦)

رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم

وأري ﷺ ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قال: إني والله قد رأيت خيراً رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي أريت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل .

وفي رواية قال عليه السلام : وأولت الدرع الحصينة بالمدينة فامكثوا فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت .

رغبة بعض الصحابة في الخروج

فقال أولئك القوم: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم . فصلى عليه السلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك . ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي ثم دخل عليه السلام بيته ومعه صاحباه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه وألبساه .

وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام فقال سعد لمعاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الأمر إليه فخرج عليه السلام وقد لبس لأمته وتقلد سيفه فندموا جميعاً على ما صنعوا فقالوا : ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه .

عقد الألوية والمسير إلى أحد

وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية :

ـــ لواء بيد أسيد بن حضير .

ـــ ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير .

ـــولواء للخزرج بيد الحباب بن منذر وقيل بيد سعد بن عبادة.

وفي المسلمين مائة درع . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة . وكان المسلمون ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دراع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة . ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من قومه من أهل النفاق .

وصف المعسكرين

ثم صف المسلمون بأصل أحد وصف المشركون بالسبخة .

قال ابن عقبة: وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل . وجعل ﷺ على الرماة " وهم خمسون رجلاً " عبد الله بن جبير وقال: إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم .

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم : أنه ﷺ أقامه في موضع ثم قال: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا .

أبو دجانة

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة فقال: وماحقه يا رسول الله ؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله فأعطاه إياه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب فلما رآه عليه السلام يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن . قال الزبير بن العوام: فقلت والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة . فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتله .

انتصار المسلمين

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف .

والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فقال صلى الله عليه وسلم :إن حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا امرأته فقالت : خرج وهو جنب فقال عليه السلام لذلك غسلته الملائكة . وقتل علي طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه . ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولى الكفار لا يلوون على شيء وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيها من الغنائم .

نزول الرماة وتغير الموقف

وفي البخاري: قال البراء: فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنظرون فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين.

وفي رواية ابن سعد : ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير .

وفي البخاري: أنهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كأمس الدابر وكان وحشي كامناً تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر العهد به .

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة إن محمداً قتل .

قال موسى بن عقبة: ولما فقد عليه السلام قال رجل منهم :إن كان رسول الله ﷺ قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عزوجل شهداء .

وثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنه وثبت معه من أصحابه أربعة عشرة رجلاً سبعة من المهاجرين وفيهم أبو بكر وسبعة من الأنصار .

وفي البخاري: لم يبق معه عليه السلام إلا اثنا عشر رجلاً .فأصابوا منا سبعين وكان عليه السلام وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً .

جراح النبي صلى الله عليه وسلم

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي عليه السلام أن يجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وبقي لك ما يسوؤك .

وروى ابن إسحاق عن أنس قال: كسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه

نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى :(ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)[٨٠] رواه أحمد والترمذي والنسائي .

قتال دون النبي صلى الله عليه وسلم

وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فخرجت أول النهار حتى انتهت إلى رسول الله قالت: فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة إلي أصابني ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول:

دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا قالت فاعترضت له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان .

وتترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ماله نصل يقول : ارم به .

معجزات

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها إلى رسول الله ﷺ فأخذها رسول الله بيده وردها إلى موضعها وقال: اللهم اكسه جمالاً ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً.

ورمي أبو رهم كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه ﷺ فبرئ . وانقطع سيف عبد الله بن جحش ، فأعطاه ﷺ سيفاً .

الصعود إلى الشعب وقتل أبي

واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم ، يقطعون الآذان والأنوف ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ وأشراف أصحابه .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك ، قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، هذا رسول الله ﷺ ، فلما نهضوا ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين، فلما أسند

[٨٠] سورة آل عمران (١٢٨)

رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين محمد لا نجوت إن نجا فقالوا : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: دعوه فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه عليه السلام انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله عليه السلام فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه و لم يخرج له دم فكسر ضلعاً من أضلاعه . فلما رجع إلى قريش قال: قتلني والله محمد أليس قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني. رواه البيهقي وأبو نعيم .

بعد المعركة

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب درقته من المهراس فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من رمى وجه نبيه .

وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً . ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر أجبه فقل الله أعلا وأجل .

فقال أبو سفيان: أنعمت فعال أي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وأنعمت أي أجابت بنعم.

فقال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . فقال: إن لنا عزى ولا عزى لكم .

فقال صلى الله عليه وسلم قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى : إن موعدكم بدر العام القابل فقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينكم موعد .

نزول (وإن عاقبتم)

وقتل أبو جابر فما عرف إلا ببنانه. وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فنظر عليه السلام إلى شيء لم ينظر إلى شيء أوجع لقلبه منه فقال: رحمة الله عليك لقد كنت فعولاً للخير وصولاً للرحم أما والله

لأمثلن بسبعين منهم مكانك . قال: فنزلت عليه خواتيم سورة النحل (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) .

فصبر وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد . وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة ودفن مع حمزة في قبر واحد.

نزول (ولا تحسبن)

ولما أشرف ﷺ على القتلى قال أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك .

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال تعالى: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)[٨١] رواه أحمد .

قال بعض من تكلم على هذا الحديث : قوله : ثم تأوي إلى قناديل يصدقه قوله تعالى (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)[٨٢]

وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً وتسرح نهاراً، وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تأوي إلى تلك القناديل وإنما ذلك في البرزخ .

وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها .

وقد رد هذا القول ويشهد له ما وقع في مسند ابن أبي شيبة وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الشهداء بنهر أو على نهر يقال له بارق عند باب الجنة في قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشياً .

عدد الشهداء والقتلى

وقد استشهد يوم أحد من المسلمين سبعون وقيل خمسة وستون أربعة من المهاجرين .

وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً وقتل عليه السلام بيده أبي بن خلف .

---

[٨١] سورة آل عمران (١٦٩)

[٨٢] سورة الحديد (١٩)

حضور الملائكة

وحضرت الملائكة يومئذ ففي حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم في صحيحه: أنه رأى عن يمين رسول الله عليه السلام وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كأشد القتال . وفيه أن قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه.

المنافقون واليهود

ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود .

الحكمة من أحد

وقد كان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة :

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا منه .

ومنها: أن عادة الرسل أن تبتلى ثم تكون لهم العافية والحكمة .

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون .

ومنها: أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها. ومنها : أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء .

غزوة حمراء الأسد

وهي على ثمانية أميال من المدينة . وكانت صبيحة يوم الأحد لست عشرة أو لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة لطلب عدوهم بالأمس ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس أي من شهد أحداً .

وإنما خرج عليه السلام مرهباً للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . وأقام صلى الله عليه وسلم بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء

ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً . وظفر صلى الله عليه وسلم في مخرجه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص فأمر بضرب عنقه .

تحريم الخمر

وحرمت الخمر في شوال ويقال في سنة أربع . قال أبو هريرة فيما رواه أحمد حرمت الخمر ثلاث مرات : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس)[٨٣] فقال الناس : ما حرم علينا إنما قال: فيهما إثم كبير .

وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب خلط في قراءته فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)[٨٤] وكان الناس يشربون ثم نزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) إلى قوله : (لعلكم تفلحون)[٨٥] قال : انتهينا ربنا .[٨٦]

سرية أبي سلمة

ثم سرية عبد الله بن عبد الأسد هلال المحرم على رأس خمس وثلاثين شهراً من الهجرة إلى قطن " جبل بناحية فيد " ومعه مائة وخمسون رجلاً من الأنصار والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجد إبلاً وشاء فأغار عليهما و لم يلق كيداً .

سرية عبد الله بن أنيس

ثم سرية عبد الله بن أنيس وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة لأنه بلغه عليه السلام أنه جمع الجموع لحربه . فلما وصل إليه قال له ممن الرجل ؟ قال: من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك : قال: أجل . فمشى معه ساعة ثم اغتره وقتله وأخذ رأسه فكان يسير الليل ويتوارى النهار حتى قدم المدينة فقال صلى الله عليه وسلم : أفلح الوجه قال: أفلح وجهك يا رسول الله ووضع رأسه بين يديه .

---

[٨٣] سورة البقرة (٢١٩)
[٨٤] سورة النساء (٤٣)
[٨٥] سورة المائدة (٩٠)
[٨٦] المسند ٣٥١/٢

وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من محرم .

يوم الرجيع

ثم سرية عاصم بن ثابت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى الرجيع " اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان " وكانت الوقعة بالقرب منه فسميت به.

روايات حادثة الرجيع

وإنما وقع ذلك عند ابن إسحاق فإنه بعد أن استوفى قصة أحد قال: ذكر يوم الرجيع : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من أصحابه وأمر صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي .

وفي الصحيح : وأمر عليهم عاصم بن ثابت . فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف وقد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم فأبوا فأما مرثد وخالد وعاصم فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا .

وفي رواية ابن سعد: (فلم يرى القوم إلا الرجال بأيدهم السيوف قد غشوهم) .

فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد " وهي الرابية المشرفة " فأحاط بهم القوم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم بن ثابت أيها القوم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسول الله خبرهم يوم أصيبوا . فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً ونزل إليهم على العهد والميثاق : خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق . فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل إليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال خبيب: ما كنت لأغدر .

قال قالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الرجل وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان إلا رزقاً رزقه الله .[٨٧]

ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين وعند موسى بن عقبة : أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال: اللهم أحصهم عدداً ولا تبق منهم أحداً واقتلهم بدداً فلم يحل الحول ومنهم أحد حي .

ركعتان قبل القتل

وكان خبيب أول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبراً . وإنما صار فعل خبيب سنة " والسنة هي أقوال الرسول وأفعاله وتقريره " لأنه فعله في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلاة خير ما ختم به عمل العبد .

تتمة خبر الرجيع

ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة : فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب "يعني خبيباً" نادوه وناشدوه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه .

ويقال: إن الذي قال ذلك زيد بن الدثنة ، قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر . فمنعهم منه الدبر "الزنابير " فلم يقدروا منه على شيء . وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً .

فكان عمر لما بلغه خبره يقول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته .

وإنما استجاب الله تعالى له في حماية لحمه من المشركين و لم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه .

[٨٧] رواه البخاري برقم /٣٩٨٩و٤٠٨٦

بئر معونة

الموقع والتاريخ

سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة "موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان" في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد .

بعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق .

تفصيل الواقعة

وهذه الواقعة تعرف بسرية القراء وكان من أمرها أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة على رسول صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فلم يسلم و لم يبعد عن الإسلام . وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال صلى الله عليه وسلم: إني أخشى أهل نجد عليهم .

قال أبو براء : أنا لهم جار فابعثهم . فبعث عليه السلام المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون وقيل ثلاثون .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري ومات كافراً فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم فأجابوه إلى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً . وأسر عمرو بن أمية الضمري فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم قال: هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً على ما صنع عامر بن الطفيل .

وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته الملائكة .

حزن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد عن أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة . وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً :(دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً .

غزوة بني النضير

تاريخ الغزوة

ثم غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة أربع على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد .

سبب الغزوة

وقد تقدم أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة أمه فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو من أنتما ؟ فذكرا له أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر ببعض ثأر أصحابه فأخبر رسول الله بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما . قال ابن إسحاق وغيره: ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان صلى الله عليه وسلم قد عقده لهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف .

فلما أتاهم يستعينهم قالوا : يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال وكان عليه السلام جنب جدار من بيوتهم . وقالوا : من رجل يعلو هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة وهو صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه .

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام صلى الله عليه وسلم مظهراً أنه يقضي حاجته وترك أصحابه ورجع مسرعاً إلى المدينة .

واستبطأ النبي عليه السلام أصحابه فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما أرادت يهود من الغدر به .قال ابن عقبة : ونزل في ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم)[٨٨]

حصار بني النضير

قال ابن إسحاق: فأمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم .

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها وخرب فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها .

ووقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى أنزل الله (ما قطعتم من لينة) إلى قوله (وليخزي الفاسقين)[٨٩] ففي هذه الآية أنه عليه السلام لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس .

وعند ابن سعد : أنهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم وأعلمه الله بذلك بعث إليهم محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشراً فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه . فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون فأرسل إليهم عبد الله بن أبي : لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قاله ابن أبي فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

فأظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار إليهم في أصحابه فصلى العصر بفناء بني النضير وعلي يحمل رايته فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن أبي و لم يمنعهم وكذا حلفاؤهم من غطفان، فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم:

---

[٨٨] سورة المائدة (١١)
[٨٩] سورة الحشر (٥)

اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة "الدرع" فنزلت يهود على ذلك فحاصرهم خمسة عشر يوماً فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم .
ثم أجلاهم عن المدينة وولي إخراجهم محمد بن مسلمة فلحقوا بخيبر .

الغنائم

وقبض صلى الله عليه وسلم الأموال ووجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً . وكانت بنو النضير صفياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها عليه السلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما .

غزوة ذات الرقاع

القول في تاريخها

واختلف فيها متى كانت:
فعند ابن إسحاق: بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى .
وعند ابن سعد وابن حبان: في المحرم سنة خمس . وجزم أبو معشر: بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس فتكون الرقاع في آخر السنة الخامسة وأول التي تليها .
قال في فتح الباري: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر . والذي جزم به ابن عقبة تقدمها لكن تردد في وقتها فقال: لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها ؟ أو قبل أحد أو بعدها .
قال الحافظ ابن حجر: والذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة .

سبب تسميتها

وأما تسميتها بذات الرقاع : فلأنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع . وقيل: الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة . وقيل: إن خيلهم كان بها سواد وبياض . وقيل: سميت بجبل هناك فيه بقع .
وقيل:سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها .
قال السهيلي : وأصح من هذه الأقوال ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري قال:

(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظافري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا)[٩٠]

أحداث الغزوة

وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن إسحاق: أنه صلى الله عليه وسلم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان لأنه صلى الله عليه وسلم بلغه أنهم جمعوا الجموع .
فخرج في أربعمائة من أصحابه . وقيل: سبعمائة " واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل أبا ذر. حتى نزل نخلاً " موضعاً من نجد من أراضي غطفان .
وقال ابن إسحاق: فلقي جمعاً منهم فتقارب الناس و لم يكن بينهم حرب وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف الناس. وقال ابن سعد: وكان ذلك أول ما صلاها .وكانت غيبته عليه السلام خمس عشرة ليلة.

من يمنعك مني

وفي البخاري عن جابر قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي عليه السلام معلق بالشجرة فاخترطه . فقال تخافني قال: لا قال: فمن يمنعك مني ؟ قال: الله.[٩١]

وعند أبي عوانة: فسقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني ؟ قال: كن خير آخذ . قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال الأعرابي: أعاهدك أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . قال: فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.[٩٢] وفي رواية عند البخاري: و لم يعاقبه.[٩٣]
وإنما لم يؤاخذه صلى الله عليه وسلم بما صنع وعفا عنه لشدة رغبته عليه السلام في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام .

---

[٩٠] رواه البخاري برقم ٤١٢٨
[٩١] رواه البخاري برقم ٤١٣٦
[٩٢] ذكره في فتح الباري ٤٢٨/٧
[٩٣] رواه البخاري برقم ٤١٣٦

قصة جمل جابر

وفي انصرافه عليه السلام من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه صلى الله عليه وسلم فانطلق متقدماً بين يدي الركاب ثم قال: أتبيعنيه ؟ فابتاعه منه وقال: لك ظهره إلى المدينة فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح ووهب له الجمل.

غزوة بدر الآخرة

وهي الصغرى وتسمى : بدر الموعد . وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق :

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد لأبي سفيان . ويقال: كانت في هلال ذي القعدة . فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية الظهران ويقال: عسفان ثم بدا له الرجوع فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق ويقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام صلى الله عليه وسلم ببدر ثمانية أيام وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين، وأنزل الله في المؤمنين: (الذين استجابوا لله والرسول) إلى قوله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)[٩٤]

غزوة دومة الجندل

وسميت بذلك لأن دومي بن إسماعيل كان نزلها . وكانت في ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة . وكان سببها أنه بلغه عليه السلام أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم فخرج عليه السلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع في ألف من أصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة . فلما دنا منهم لم يجد

[٩٤] سورة آل عمران (١٧٢)

إلا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها أحداً فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرقها فرجعوا و لم يصب منهم أحد .ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر .

غزوة بني المصطلق

الموقع والتاريخ

تسمى غزوة المريسيع " وهو ماء لبني خزاعة " وتسمى غزوة المصطلق . وكانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وقيل ست وقيل أربع .

سبب الغزوة وما حدث فيها

وسببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه إليه .فبعث صلى الله عليه وسلم بريدة بن الخطيب الأسلمي يعلم علم ذلك فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وخرج عليه السلام مسرعاً في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها .
واستخلف على المدينة زيد بن حارثة . وقادوا الخيل وكانت ثلاثين فرساً وخرجت عائشة وأم سلمة .وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب .وبلغ عليه السلام المريسيع وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر أصحابه فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء و لم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد كذا ذكره ابن إسحاق .
والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم فأوقع بهم .

نزول آية التيمم

قيل وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم . وفي الصحيحين من حديث عائشة : أنها قالت: خرجنا مع رسول الله في بعض أسفاره فذكر حديث التيمم.[٩٥]

وفيها كانت قصة الإفك لعائشة :

وفي هذه الغزوة قال ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسمعه زيد ابن أرقم ذو الأذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل إلى ابن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فأنزل الله :(إذا جاءك المنافقون) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد صدقك يا زيد رواه البخاري .وكانت غيبته عليه السلام ثمانية وعشرين يوماً.

غزوة الخندق

سبب التسمية

وهي الأحزاب . فأما تسميتها بالخندق : فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم ، وكان الذي أشار بذلك سلمان .

وأما تسميتها بالأحزاب ، فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين ، وهم : قريش وغطفان واليهود ومن معهم .

تاريخها

قيل : كانت في شوال سنة أربع وقيل : كانت في شوال سنة خمس .

اليهود يجمعون الأحزاب

وكان من حديث هذه الغزوة : أن نفراً من يهود قدموا على قريش بمكة وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حربه عليه الصلاة والسلام ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم . فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في فزارة ، والحارث بن عوف المري في مرة .

[٩٥] رواه البخاري برقم ٣٣٤

عدد كل من الفريقين

وكان عدهم عشرة آلاف . والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك .

حفر الخندق

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحزاب ، وبما أجمعوا عليه من الأمر ، ضرب على المسلمين الخندق ، فعمل فيه صلى الله عليه وسلم ترغيباً ، وعمل معه المسلمون .

وفي البخاري: عن سهل بن سعد قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال رسول الله عليه وسلم: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار.[٩٦]

معجزات

وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم . منها ما في الصحيح عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة " القطعة الصلبة " فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم.[٩٧] والمعنى صار رملاً يسيل ولا يتماسك .

ومن أعلام نبوته ما ثبت في الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق.[٩٨]

مدة حفر الخندق

وقد وقع عند موسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريباً من عشرين ليلة .وقيل : أربعاً وعشرين . وقيل : خمسة وعشرين يوماً . وقيل : أقاموا شهراً .

وصف المعسكرين

ولما فرغ عليه السلام من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة . ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد . وخرج صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين

[٩٦] رواه البخاري برقم ٤٠٩٨
[٩٧] رواه البخاري برقم ٤١٠١
[٩٨] رواه البخاري برقم ٤١٠١

حتى جعلوا أظهرهم إلى سلع وكانوا ثلاثة آلاف رجل . فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم .

وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة . وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بني قريظة .

قريظة تنقض العهد

قال ابن إسحاق: وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له وقال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقاً . فقال: ويلك افتح و لم يزل به حتى فتح له فقال: ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه و لم يزل به حتى نقض عهده وبرىء مما كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم .

معسكر المسلمين بعد غدر قريظة

فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن . ونجم النفاق من بعض المنافقين وأنزل الله :(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً)[٩٩]

وقال رجال ممن معه (أي مع عبد الله بن أبي كبير المنافقين): يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا.

وقال أوس بن قيظي: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو فائذن لنا فنرجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة .

قال ابن إسحاق: وأقام عليه السلام والمسلمون وعدوهم يحاصرهم و لم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية

[٩٩] سورة الأحزاب (١٢)

ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي ورجعت بقية الخيول منهزمة .

ورمي سعد بن معاذ فقطع منه الأكحل " عرق في وسط الذراع " وكان قد رماه ابن عرقة فقال سعد : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه .

وأقام عليه السلام وأصحابه بضع عشرة ليلة. فمشى نعيم بن مسعود الأشجعي وهو مخفي إسلامه فثبط قوماً عن قوم وأوقع بينهم شراً لقوله صلى الله عليه وسلم :(الحرب خدعة) فاختلفت كلمتهم .

ليلة الأحزاب

وروى الحاكم عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب وأبو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا ريحاً منها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون بيوتنا عورة فمر بي النبي عليه السلام وأنا جاث على ركبتي و لم يبق معه إلا ثلاثمائة فقال: اذهب فائتني بخبر القوم ودعا لي فأذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم فإذا الريح فيه لا تجاوز شبراً فلما رجعت رأيت فوارس في طريقي فقالوا : أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم .

دعاء

وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم.[١٠٠]

وروى أحمد عن سعيد قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا . قال: فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح .

[١٠٠] رواه البخاري برقم ٢٩٣١

انشغال المسلمين عن الصلاة

وفي البخاري عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق: (ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)[١٠١]

ومقتضى ذلك أنه استمر بقتال المشركين حتى غابت الشمس .

وفي البخاري عن عمر بن الخطاب : أنه جاء يوم الخندق وجعل يسب كفار قريش قال: يا رسول الله ما كدت أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب فقال صلى الله عليه وسلم : والله ما صلينا فترلنا مع النبي عليه السلام بطحان فتوضأ وتوضأنا فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.[١٠٢]

انتهاء غزوة الخندق

وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوماً وقيل أربعة وعشرين يوماً .

وقال صلى الله عليه وسلم : (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا)[١٠٣]

غزوة بني قريظة

الخروج إلى بني قريظة

وفي رواية البخاري من حديث عائشة أنه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال له: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم. وأشار إلى بني قريظة.[١٠٤] وعند ابن إسحاق: إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة .

وعند ابن سعد : ثم سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

[١٠١] رواه البخاري برقم ٥٩٦
[١٠٢] رواه البخاري برقم ٤١١٠
[١٠٣] رواه البخاري برقم ٤١١٧
[١٠٤] رواه البخاري برقم ٤١١٩

الصلاة في بني قريظة

ونزل عليه السلام على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق به الناس فأتى رجال منهم بعد العشاء الآخرة و لم يصلوا العصر لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي البخاري عن ابن عمر: فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم .[١٠٥]

الحصار

قال ابن إسحاق: وحاصرهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار.

وقذف الله في قلوبهم الرعب . فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا فقال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني أعرض عليكم خلالاً فخذوا أيها شئتم.

قالوا: وما هي : قال: نتابع الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . فأبوا .

فقال: إذا أبيتم علي هذه فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا ما نخشى عليه . فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا .فقال: إن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ .

أبو لبابة

وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة " وهو رفاعة ابن عبد المنذر " نستشيره في أمرنا . فأرسله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء

[١٠٥] البخاري برقم (٩٠٤)

والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن نترل على حكم محمد ؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقة :إنه الذبح . قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو جاءني لاستغفرت له وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال: وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع . وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله من السحر وهو يضحك فقالت: قلت مما تضحك أضحك الله سنك قال: تيب على أبي لبابة قالت: قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال: بلى إن شئت قال: فقامت على باب حجرتها "وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب"فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مرعليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه . وفيه نزل قوله تعالى في سورة التوبة (وآخرون اعترفوا بذنوبهم)[١٠٦]

حكم سعد بن معاذ

ولما اشتد الحصار ببني قريظة أذعنوا أن يتزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ فلما حكمه أتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما انتهى سعد إلى النبي عليه السلام والمسلمون قال عليه السلام : قوموا إلى سيدكم . فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء .

[١٠٦] سورة التوبة (١٠٢)

فقال صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سماوات).

تنفيذ الحكم

وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة .

وأمر صلى الله عليه وسلم ببني قريظة فأدخلوا المدينة وحفر لهم أخدود في السوق وجلس عليه السلام ومعه أصحابه وأخرجوا إليه فضربت أعناقهم وكانوا بين ستمائة إلى سبعمائة.

وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل.

موت سعد بن معاذ

وانفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيداً .

وفي البخاري أنه دعا: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه . اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها،فانفجرت من لبته فلم يرعهم إلا الدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها.[١٠٧]

وحضر جنازته سبعون ألف ملك واهتز لموته عرش الرحمن. رواه الشيخان

والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول .

وقيل المراد باهتزاز العرش حملة العرش وصحح الترمذي من حديث أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخف جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة كانت تحمله .[١٠٨]

وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري قال: كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرناه.[١٠٩]

بين قريظة والحديبية

سرية محمد بن مسلمة

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة . بعثه في ثلاثين راكباً فلما أغار عليهم هرب سائرهم .

---

[١٠٧] رواه البخاري برقم ٤١٢٢

[١٠٨] سنن الترمذي برقم (٣٨٤٩)

[١٠٩] الطبقات الكبرى: ٤٣١/٣

غزوة بني لحيان

ثم غزوة بني لحيان في ربيع الأول سنة ست من الهجرة . قالوا: وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً فأظهر أنه يريد الشام وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً . واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .

ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة فترحم عليهم ودعا لهم . فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية . ثم رجعوا و لم يلقوا أحداً .

وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة و لم يلق كيداً وهو يقول: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون . وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة .

غزوة الغابة

وتعرف بذي قرد "وهو ماء على بريد من المدينة" في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية .

وسببها :أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة " وهي ذات اللبن القريبة العهد بالولادة " ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر .

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة وقيل: سبعمائة واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة .وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك . فأدرك أخريات العدو .

وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله فرسه وسلاحه . وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو . وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة . وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل. ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء.

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام يوماً وليلة ورجع .

وقد غاب خمس ليال وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها .

قتل أبي رافع

ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع وهو الذي حزب الأحزاب يوم الخندق . وكانت في شهر رمضان سنة ست . فذهبوا إلى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل جاؤوا إلى مترله فصعدوا درجة له وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه فعلوه بأسيافهم .

بعث عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان بن حرب بمكة لأنه أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم من يقتله غدراً فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي عليه السلام قال: إن هذا يريد غدرا.ً فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر فسقط في يده فقال صلى الله عليه وسلم:أصدقني من أنت ؟ قال: وأنا آمن ؟ قال: نعم فأخبره بخبره فخلى عنه عليه السلام.

صلح الحديبية

ثم الحديبية وهي بئر سمي المكان بها وقيل شجرة وقال المحب الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم وهي على تسعة أميال من مكة .

عدد أصحاب الحديبية

خرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة وأخرج معه زوجته أم سلمة في ألف وأربعمائة . ويقال ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلاثمائة .

في الطريق إلى مكة

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم و لم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب . وفي البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي، وأشعر وأحرم منها وبعث عيناً له من خزاعة . وسار النبي عليه السلام حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش

وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال: أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت .

وفيه: قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: امضوا على اسم الله.[١١٠]

(وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقالوا: خلأت القصواء فقال النبي عليه السلام ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل) ، (ثم قال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم، ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء " حفرة فيها ماء قليل " يتربضه الناس تربضاً " أي يأخذونه قليلاً قليلاً " فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه .

مع بديل بن ورقاء

(فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخز اعي في نفر من قومه من خزاعة . فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت) "والعوذ هي الناقة ذات اللبن والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها " . يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه .

(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس إن شاؤوا فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فعلوا وإلا فقد جموا "استراحوا " وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي "صفحة العنق ، كنا بذلك عن القتل " ولينفذن الله أمره)[١١١]

---

[١١٠] رواه البخاري برقم ٤١٧٨

[١١١] البخاري برقم (٢٥٨١)

(فقال بديل: سأبلغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول . قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم) .

مع عروة بن مسعود

(فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألستم بالوالد ؟ قالوا: بلى قال: أولست بالولد ؟ قالوا:بلى قال: فهل تتهمونني ؟ قالوا لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي " أي تمنعوا عن الإجابة " جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آته قالوا ائته) .

(فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي نحواً من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك) . قال: (فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر و كسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها).

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت) .

سهيل وعقد الصلح

(فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته . فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم) (فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبر أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم) .

وفي رواية ابن إسحاق: فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت: اذهب إلى هذا الرجل فصالحه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى إلى النبي عليه السلام جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضاً وأن يرجع عنهم عامهم هذا .

(وقال معمر قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي عليه السلام اكتب باسمك اللهم ثم قال: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني)[١١٢]

وفي رواية للبخاري ولمسلم : فقال عليه السلام لعلي: امحه فقال ما أنا بالذي أمحاه.[١١٣]

ثم قال صلى الله عليه وسلم أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها وكتب: ابن عبد الله .

الحكمة من موافقة سهيل

وأما قوله : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم ..الخ

[١١٢] البخاري برقم ٢٧٣١
[١١٣] رواه البخاري برقم ٢٦٩٨

فقال العلماء: وافقهم عليه السلام في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب : باسمك اللهم، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح .

كتابة الشروط

(قال في رواية البخاري: فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فقال صلى الله عليه وسلم : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة " الضيق والإكراه والشدة " ولكن ذلك في العام المقبل فكتب .

فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل إلا رددته إلينا .

قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟)[١١٤]

حكمة الموافقة على الشروط

فإن قلت : ما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلاً على أنه لا يأتيه منهم رجل وإن كان على دين الإسلام إلا ويرده إلى المشركين .

فالجواب : إن المصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

قصة أبي جندل

قال في رواية البخاري :(فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين .فقال سهيل: ما هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي . فقال عليه السلام: إنا لم نقض الكتاب بعد . قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً . قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي قال: ما أنا بمجيز ذلك . قال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً)[١١٥]

[١١٤] من رواية البخاري برقم ٢٧٣١
[١١٥] من رواية البخاري برقم ٢٧٣١

زاد ابن إسحاق: فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإنا لا نغدر وإن الله جاعل لك فرجا ومخرجا . ووثب عمر يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر إنما هم المشركون وإن دم أحدهم كدم كلب .

موقف عمر يوم الحديبية

قال في رواية البخاري:(فقال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال: بلى قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قلت: لا قال: فإنك آتيه ومطوف به .

قال فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً ؟قال: بلى قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: ؟ أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت لا قال: فإنك آتيه ومطوف به)[١١٦]

قال العلماء : لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين .

وأما جواب أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في ذلك على غيره .

مدة الصلح وشروطه

وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في السير وأخرجه أبو داود من حديث ابن عمر .

وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يأمن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض .

[١١٦] رواه البخاري برقم ٢٧٣

وأن لا يدخل البيت إلا العام القابل ثلاثة أيام . ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح"السيف والقوس"

بيعة الرضوان

وقال مكي بن أبي طالب القيرواني في تفسيره : وبعث عليه السلام بالكتاب إليهم مع عثمان بن عفان وأمسك سهيل بن عمرو عنده فأمسك المشركون عثمان فغضب المسلمون. فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل فدعا الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على أن لا يفروا .

ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال: هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى. ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين .

وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى:(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)[١١٧]

وقوله تعالى :(لقد رضي الله عن المؤمنين)[١١٨]

التحلل والعودة

وحلق الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية . وأقام عليه السلام بالحديبية بضعة عشر يوماً وقيل عشرين يوماً ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فأنزل الله سورة الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه قال تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) .

قال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب : الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد أن كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً أي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم .

وأما قوله تعالى:(وأثابهم فتحاً قريباً)[١١٩] فالمراد فتح خيبر على الصحيح لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين .

وقد روى أحمد وأبو أيوب والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال :(شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً عند كراع الغيم وقد جمع الناس فقرأ عليهم :(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) فقال رجل : يا رسول الله أو فتح هو ؟ فقال :

---

[١١٧] سورة الفتح (١٠)
[١١٨] سورة الفتح (١٨)
[١١٩] سورة الفتح (١٨)

أي والذي نفسي بيده إنه لفتح) وأما قوله تعالى :(إذا جاء نصر الله والفتح) وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح) فالمراد فتح مكة باتفاق.[١٢٠]

غزوة خيبر

مكانها وتاريخها

وهي مدينة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام .
قال ابن إسحاق: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بقية شهر المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها .

عدد الصحابة فيها

وكان معه صلى الله عليه وسلم ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه أم سلمة زوجته .

على أبواب خيبر

وفي البخاري من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلاً " وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح " فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس " الجيش " فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.[١٢١]

عقد الرايات

وفرق صلى الله عليه وسلم الرايات و لم تكن الرايات إلا بخيبر وإنما كانت الألوية .
وفي البخاري: وكان علي قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمداً . فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: لأعطين الراية غداً رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه . فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: أرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله عليه السلام في عينيه ودعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية .

[١٢٠] المسند ٣/٤٢٠
[١٢١] رواه البخاري برقم ٤١٩٧

فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن تكون لك حمر النعم.[١٢٢]

استشهاد عامر بن الأكوع

ولما تصاف القوم كان سيف عامر قصيراً فتناول ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه . فلما قفلوا قال سلمة: يا رسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قال وإن له أجرين وجمع إصبعيه إنه لجاهد مجاهد.[١٢٣]

لا يدخل الجنة إلا مؤمن

عن أبي هريرة : شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن يدعي الإسلام: هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فنحر نفسه

فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه.

فقال: قم يا فلان فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.[١٢٤]

فتح خيبر

وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون . وفتحها الله حصناً حصناً .

هل حمل علي باب خيبر

وقلع علي باب خيبر و لم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد .

وفي رواية البيهقي : أن علياً لما انتهى إلى الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه .

---

[١٢٢] رواه البخاري برقم ٤٢٠٩ و ٤٢١٠

[١٢٣] رواه البخاري برقم ٦١٤٨

[١٢٤] رواه البخاري برقم ٤٢٠٣

صفية أم المؤمنين

وفي البخاري : وتزوج عليه السلام بصفية بنت حيي بن أخطب . وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وكانت عروساً فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهباء حلت له فبنى بها فصنع حيساً في نطع ثم قال لأنس: آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية قال: ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.[١٢٥]

تحريم لحوم الحمر الأهلية

وفي هذه الغزوة حرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الأهلية . كما في البخاري :(فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم " خيبر " أوقدوا نيراناً كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على أي شيء توقدون ؟ قالوا: على لحم قال على أي لحم ؟ قالوا: لحم الحمر الإنسية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهريقوها واكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها قال: أو ذاك.)[١٢٦]

قال العلماء وإنما أمر بإراقتها لأنها نجسة محرمة .

شاة مسمومة

وفي حديث جابر عند أبي داود : أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم وأرسل إلى اليهودية فقال : سممت هذه الشاة ؟ فقالت: من أخبرك ؟ قال: أخبرتني هذه في يدي للذراع قالت نعم قلت: إن كان نبياً فلن يضره وإن لم يكن نبياً استرحنا منه . فعفا عنها عليه السلام و لم يعاقبها وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة.[١٢٧]

---

[١٢٥] رواه البخاري برقم ٤٢١١
[١٢٦] رواه البخاري ٤٧٠/٧
[١٢٧] رواه أبو داود برقم ٤٥١٠

وناموا عن صلاة الفجر

وفي هذه الغزوة أيضاً: نام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر لما وكل به بلالاً كما في حديث أبي هريرة عند مسلم (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلته حتى أدركه الكرى عرس[١٢٨] وقال لبلال: إكلأ لنا الليل " ارقبه " فصلى بلال ما قدر له ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما قارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلال عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من الصحابة حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً فقال أي بلال ! فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ" بأبي أنت وأمي يا رسول الله " بنفسك قال: اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بلال فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال: من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال :(أقم الصلاة لذكري)[١٢٩]

قدوم جعفر

وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة . واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحاً ؟ وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحاً . قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحاً بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لتحقن دماؤهما وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال .

فتح وادي القرى

ثم فتح وادي القرى في جمادى الآخرة بعدما أقام أربعاً يحاصرهم ويقال: أكثر من ذلك .

[١٢٨] الكرى : النعاس والتعريس : نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة
[١٢٩] رواه مسلم برقم ٦٨٠

سرايا بعد خيبر

سرية عمر

ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلاً فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فآتى الخبر إلى هوزان فهربوا وجاء عمر بن الخطاب فلم يلق منهم أحداً .

سرية أبي بكر

ثم سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد سنة سبع ويقال إلى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين .

ثم كانت سرية بشير بن سعد إلى بني مرة . وكذلك سرية غالب الليثي إلى الميفعة بناحية نجد ثم سرية بشي بن سعد إلى يمن وجبار .

عمرة القضاء

سبب التسمية

ثم عمرة القضية وتسمى عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشاً لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها . بل كانت عمرة تامة ولهذا عدوا عمر النبي أربعاً . وقال آخرون : بل كانت قضاء عن العمرة الأولى وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الأجر فيها لا لأنها كملت .

قصة العمرة

قال الحاكم في الإكليل : تواترت الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا .

وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألفان واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدرع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد . وأحرم صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه

ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران فوجد بها نفراً من قريش فسألوه فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى . فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن يأجج موضع بمكة حيث ينظر إلى أنصاب الحرم وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل . وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال . وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي أمامه فحبس بذي طوى وخرج رسول الله على راحلته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته . ولم يزل رسول الله يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم .

الرمل بالطواف

وفي البخاري عن ابن عباس (... قال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم)[١٣٠]

السعي والتحلل

ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه قال: هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر .

فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً .

ميمونة أم المؤمنين

قال ابن عباس:(وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها هو حلال)[١٣١]

بين العمرة ومؤتة

ثم كانت سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم . ثم سرية غالب الليثي إلى بني الملوح .

---

[١٣٠] رواه البخاري برقم ٤٢٥٦

[١٣١] رواه البخاري برقم ٤٢٥٨

ثم سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر . ثم سرية كعب الغفاري إلى ذات أطلاح .
وقدم في هذا الشهر خالد بن الوليد وصاحبيه عثمان بن أبي طلحة وعمرو بن العاصي المدينة فأسلموا وكان ذلك سنة خمس وقيل سبع .

غزوة مؤتة

سبب الغزوة وتاريخها

ثم سرية مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره .
فأمر صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وقال: إن قتل فجعفر ابن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم .

مغادرة المدينة

وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين . فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه . وقد نزل المسلمون معان موضع من أرض الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وأن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة من المشركين . فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي فمضوا إلى مؤتة .

المعركة

والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح . ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فنزل عن فرس له شقراء وقاتل حتى قتل.

قال في رواية البخاري: ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية.[١٣٢]

ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل . فأخذ اللواء ابن أقرم العجلاني إلى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل المسلمين .

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة .

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة.

ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم .

ذو الجناحين

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه فرأيت جعفراً حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل خرجه البغوي في معجمه .

وقطعت في تلك الوقعة يداه جميعاً ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء خرجه أبو عمر .

المقصود بالأجنحة

قال السهيلي: له جناحان ليسا كما يسبق إلى الوهم كجناحي الطائر وريشه . فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر . وقد عبر القرآن عن العضد بالجناح توسعاً في قوله تعالى:(واضمم يدك إلى جناحك)[١٣٣]

---

[١٣٢] رواه البخاري برقم ٤٢٦١

[١٣٣] سورة طه (٢٢)

وصول خبرهم إلى المدينة

وذكر موسى بن عقبة في المغازي أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك قال: أخبرني فأخبره خبرهم فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره .

فتح مكة

سبب الفتح

خرج له صلى الله عله وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية . فإنه كان قد وقع الشرط: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل . فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير . فأصاب رجلاً منهم يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم و لم يتركوا القتال .

وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه . فقام وهو يجر رداءه وهو يقول: لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر منه نفسي .

أبو سفيان في المدينة

وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه فانصرف إلى مكة .

رسالة حاطب إلى قريش

فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إعلام أحد بذلك . فكتب حاطب كتاباً وأرسله إلى مكة يخبر بذلك فأطلع الله نبيه على ذلك . فقال عليه السلام لعلي والزبير والمقداد: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها . قال فانطلقنا... حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب قلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال: فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال: يا حاطب ما هذا ؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي و لم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صدقكم . فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى قوله:(فقد ضل سواء السبيل)[١٣٤] رواه البخاري[١٣٥]

مغادرة المدينة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق .

فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم الغفاري . وعند أحمد بإسناد صحيح عن أبي سعيد قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان.ولما بلغ عليه السلام الكديد الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر.[١٣٦]

---

[١٣٤] سورة الممتحنة (١)
[١٣٥] رواه البخاري برقم ٤٢٧٤و٤٨٩٠
[١٣٦] رررواه البخاري برقم ٤٢٧٥

لقاءات في الطريق

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً ، فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة ، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض . وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث ، ابن عمه ، وأخوه من رضاع حليمة السعدية ، و معه ولده جعفر بن أبي سفيان . وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه . وكان لقاؤهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخول مكة .

دخول مكة

قالوا : ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل.

ثم نزل مر الظهران عشاء ، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، و لم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب وقالوا : إن لقيت محمداً فخذلنا منه أمانا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر أفزعهم .

وفي البخاري : (فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة ، فقال بديل بن ورقاء : نيران بني عمرو ، فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان . فلما سار قال للعباس : احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم : تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان . فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : هذه غفار ؟ قال : مالي ولغفار ؟ ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال: من هذه ؟ قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة

معه الراية ، فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فقال أبو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذمار)"الهلاك" [١٣٧]

أخذ الراية من سعد

وقال ابن إسحاق : زعم بعض أهل العلم أن سعداً قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله ،ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة . فقال لعلي : أدركه فخذ الراية.[١٣٨]

وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس . والذي يظهر أن علياً أرسل ليترعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير.

تتمة الحديث عن دخول مكة

قال في رواية البخاري (.. ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير فقال ﷺ: هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسي فيه الكعبة . قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون .

روى ابن عمر : أنه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، وحديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة وغيرهما .

دخول مكة عند ابن عقبة

قال : وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقاً واضحاً فقال: وبعث صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه . وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت .وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن

[١٣٧] رواه البخاري برقم ٤٢٨٠

يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم . واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف ، وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش، فقاتلوا خالداً فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلاً ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور ، فارتفعت طائفة منهم على الجبال . وصاح أبو سفيان : من أغلق بابه وكف يده فهو آمن . قال: ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البارقة فقال: ما هذا ؟ وقد نهيت عن القتال .فقالوا نظن أن خالداً قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم .

رواية ابن إسحاق في دخول مكة

وعند ابن إسحاق : فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، رقت نفس العباس لأهل مكة فخرج ليلاً راكباً بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحداً فيعلم أهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فأردف أبا سفيان خلفه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة .

وروى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، دعني أضرب عنقه فقال العباس: يا رسول الله :إني قد أجرته . فقال صلى الله عليه وسلم : إذهب يا عباس به / إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به فذهب فلما أصبح غدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئاً . ثم قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء.

فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك . فأسلم وشهد شهادة الحق . فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان

رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال : نعم . وأمر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه : من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن إلا المستثنين .

هل كان الفتح صلحاً أم حرباً

وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على أحد المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحسر فقال لي يا أبا هريرة اهتف لي بالأنصار فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا به فقال لهم: أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بإحدى يديه على الأخرى: احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا قال أبو هريرة: فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله : أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم . فقال صلى الله عليه وسلم : من أغلق بابه فهو آمن . قال في فتح الباري: وقد تمسك بهذه القصة من قال إن مكة فتحت عنوة وهو قول الأكثر . وعن الشافعي وهو رواية أحمد : أنها فتحت صلحاً لما وقع من هذا التأمين ولإضافة الدور إلى أهلها ولأنها لم تقسم ولأن الغانمين لم يملكوا دورها . وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها . وحجة الأولين: ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه صلى الله عليه وسلم بأنها أحلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسي به في ذلك . وأجابوا عن ترك القسمة : بأنها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها ويترك لهم دورهم .

وأما قول النووي: واحتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة ففيه نظر لأن الذي أشار إليه إن كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وكذا من دخل المسجد فإن ذلك لا يسمى صلحاً إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك الكف عن القتال والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشاً لم يلتزموا ذلك لأنهم استعدوا للحرب .

تتمة رواية ابن إسحاق

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن خضير فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس : يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً فقال العباس : ويحك إنه ليس بملك ولكنها نبوة قال: نعم . وروى أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعاً لله لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن رأسه لتكاد تمس رحله شكراً وتواضعاً لعظمته أن أحل له بلده و لم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده .

قتل متعلق بأستار الكعبة

وفي البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر " وهو ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة " فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتله .

وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم : الحويرث وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح قال: فأما هلال بن خطل فقتله الزبير .

نجاة ابن أبي سرح

وفي رواية أبي داود من حديث مصعب : لما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر فذكرهم ثم قال: وأما ابن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للبيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ فقالوا : يا رسول الله ما ندري ما في نفسك ألا أومأت إلينا ؟ فقال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.[١٣٩]

[١٣٩] رواه أبو داود برقم ٢٦٨٣

هل يحرم لدخول مكة

قال مالك كما في رواية البخاري: و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى يومئذ محرماً. ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر : دخل صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام .

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن طاووس قال: لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة إلا محرماً إلا يوم الفتح .

منزله صلى الله عليه وسلم بمكة

وفي البخاري: عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله أين تنزل غداً قال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب و لم يرث جعفر ولا علي شيئاً لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين .

وفي رواية أخرى له : أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيت أم هانئ ثم صلى الضحى ثمان ركعات قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود .

أجرنا من أجرت

وأجارت أم هانئ حموين لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. والرجلان : الحارث بن هشام وزهير بن أمية بن المغيرة وقد كان أخوهما علي بن أبي طالب أراد أن يقتلهما فأغلقت عليهما باب بيتها وذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

اذهبوا فأنتم الطلقاء

ولما كان الغد من يوم الفتح قام صلى الله عليه وسلم خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا: إن الله أذن لرسوله و لم يأذن لكم وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب. ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء .

المحيا محياكم

ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الأنصار فيما بينهم: أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو على الصفا رافعاً يديه فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم ؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم: معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم .

محاولة قتل

وهم فضالة بن عمير أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة قال: نعم يا رسول الله قال: ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه .

إزالة الأصنام

وطاف صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فيقع الصنم لوجهه . رواه البيهقي .

وعن ابن عباس قال: لما قدم صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط . فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل.[١٤٠]

مفتاح الكعبة

وعن ابن عمر قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال: ائتني بالمفتاح

[١٤٠] هو في البخاري برقم ٤٢٨٨

فذهب إلى أمه فأبت أن تعطيه فقال: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي فأعطته إياه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه إليه ففتح الباب رواه مسلم .

وفي الطبقات لابن سعد: عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال: يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال: بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال فلما كان يوم الفتح قال: ياعثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلي وقال: خذوها خالدة تالدة لا يترعها منكم إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف قال: فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذي قلت لك؟! قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بي أضعه حيث شئت قلت: أشهد أنك رسول الله وفيه نزل قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) .

الصلاة في الكعبة

وفي رواية لمسلم: دخل صلى الله عليه وسلم هو أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجمي فأغلقوا عليهم الباب . قال ابن عمر فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:نعم بين العمودين اليمانيين وذهب عني أسأله: كم صلى .

مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة

وفي البخاري: أنه عليه السلام أقام خمس عشرة ليلة وفي رواية: تسع عشرة يقصر الصلاة.

سرايا بين الفتح وحنين

وقد وقع بين الفتح وحنين عدة سرايا منها سرية هدم العزى وهدم سواع وهدم مناة

غزوة حنين

أسبابها ومقدماتها

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وأسلم عامة أهلها مشت أشراف هوزان وثقيف بعضهم إلى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألفا من المسلمين . واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة عتاب بن أسيد . وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وكان صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع بأداتها فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال . فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب . ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم .

المعركة

وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن الربيع قال: رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ركب بغلته البيضاء ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوزان ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس . و لم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد في أناس من أهل بيته وأصحابه .

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه وجعل عليه السلام يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة " يعني شجرة بيعة الرضوان " التي بايعوه تحتها أن لا يفرو عنه . فجعل ينادي تارة يا أصحاب السمرة وتارة يا أصحاب سورة البقرة فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها .

فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس وتناول حصيات من الأرض ثم قال: شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تلك القبضة . وفي البخاري: عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوزان رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.[١٤١]

لم ينهزم صلى الله عليه وسلم

وهذا فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكأنه قال: أنا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم بل أنا متيقن أن الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار.

وأما ما في مسلم عن سلمة بن الأكوع من قوله :(فأرجع منهزماً) إلى قوله:(مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعاً) فقال العلماء: قوله منهزماً حال من ابن الأكوع لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح أولاً بانهزامه و لم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم: إنه عليه السلام ما انهزم و لم ينقل أحد قط أنه انهزم في موطن من المواطن . وقد نقلوا إجماع المسلمين على إنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن إسراع التقدم إلى العدو.[١٤٢]

البغال لا تركب للقتال عادة

قال بعضهم: وقد كان ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقاً لنبوته لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام النبوة وإلا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة إلا الخيل

[١٤١] رواه البخاري برقم ٤٣١٧و٤٣١٦
[١٤٢] الحديث رقم ١٧٧٧عند مسلم

فبين صلى الله عليه وسلم أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله

الذين ثبتوا يوم حنين

في شرح مسلم للنووي : أنه ثبت معه عليه السلام اثنا عشر رجلاً .

أبو طلحة

وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه وأفضى المسلمون في القتل إلى الذرية فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه . واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلاً .

من حكمة يوم حنين

وقال ابن القيم في الهدي النبوي: كان الله تعالى وعد رسوله أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمته أن أمسك قلوب هوزان ومن تبعها عن الإسلام وأن يجمعوا ويتألبوا لحربه عليه السلام ليظهر أمره تعالى وتمام إعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمه شكراناً لأهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها فاقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وقوة شوكتهم وليبين سبحانه لمن قال: لن نغلب اليوم من قلة أن النصر إنما هو من عنده تعالى وأنه من ينصره فلا غالب لهومن يخذله فلا ناصر له وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم فإنها لم تغن عنكم شيئاً فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها . قال: وبهاتين الغزوتين "حنين وبدر " قاتلت الملائكة بأنفسها مع المسلمين .

نهاية غزوة حنين

وأمر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم إلى الطائف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم إلى أوطاس واستشهد من المسلمين أربعة: منهم أيمن ابن أم أيمن وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً .

سرية أوطاس

ثم سرية أبي عامر الأشعري عم أبي موسى الأشعري بعثه عليه السلام حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوزان يوم حنين إلى أوطاس وكان معه سلمة بن الأكوع فانتهى إليهم فإذا هم ممتنعون فقتل منهم أبو عامر تسعة أخوة مبارزة بعد أن دعاهم للإسلام .
ورمى أبو عامر ابنا الحارث فقتلاه فخلفه أبو موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه .
وكان في السبي الشيماء أخته عليه السلام من الرضاعة . وقتل قاتل أبي عامر فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة .

غزوة الطائف

المسير إليها

وسار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيؤوا للقتال .
وسار عليه السلام فمر بطريقه بقبر أبي رغال وهو أبو ثقيف فاستخرج منه غصناً من ذهب. ونزل قريباً من الحصن وعسكر هناك . فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلاً منهم: عبد الله بن أبي أمية.
ورمي عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه .

حصارها

وارتفع صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله .
فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام فرمتهم ثقيف بالنبل وقتل منهم رجال فأمر عليه السلام بقطع أعنابهم وتحريقها .

فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم إني أدعها لله وللرحم .

عتقاء الله

ثم نادى مناديه عليه السلام : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر .

قال الدمياطي: فخرج منهم بضعة عشر رجلاً فيهم أبو بكرة .

وأعتق عليه السلام من نزل منهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة .

الأذان بالرجوع

و لم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف . وأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحل و لم يفتح علينا الطائف ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: فاغدوا على القتال فغدوا فأصاب المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم : إن قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك .

عين أبي سفيان

وفقئت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده: أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك قال: بل عين في الجنة ورمى بها .

دعاء وتوكل

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قولوا : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

فلما ارتحلوا قالوا: قولوا : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

توزيع غنائم حنين

مقدار الغنائم

وكان صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يجمع السبي والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله إلى الجعرانة فكان بها إلى أن انصرف عليه السلام من الطائف .

وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة .

انتظار قبل التوزيع

واستأنى صلى الله عليه وسلم بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة . ثم بدأ يقسم الأموال فقسمها .

وفي البخاري: وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل . فقال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! قال أنس: فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم ثم قال لهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟! فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا: يا رسول الله قد رضينا.[١٤٣]

عمرة من الجعرانة

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال .

والمعروف عند أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فأقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلاً فأحرم بعمرة ودخل مكة .

العودة إلى المدينة

قالوا : وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوماً .

غزوة تبوك

سببها وتاريخها

وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة .

[١٤٣] رواه البخاري برقم ٤٣٣١و٣١٤٧

وسببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل . فندب صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك .

ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم

وكان عثمان قد جهز عيرا إلى الشام فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال:فسمعته يقول : لا يضر عثمان ما عمل بعدها .

وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان بن عفان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا.

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: ما ضرعثمان ما عمل بعد اليوم. خرجه الترمذي وقال : حسن غريب.[١٤٤]

المنافقون

ولما تأهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى:(وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)[١٤٥]

البكاؤون

وأرسل عليه السلام إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم .

وجاء البكاؤون يستحملونه فقال عليه السلام : لا أجد ما أحملكم عليه وهم الذين قال فيهم الله : (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون)[١٤٦]

وفي البخاري عن أبي موسى قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم فقلت يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم فقال: والله لا أحملكم على شيء فرجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبي وجد في نفسه علي فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه

[١٤٤] ورواه الإمام أحمد والبيهقي
[١٤٥] سورة التوبة (٨١)
[١٤٦] سورة التوبة (٩٢)

وسلم فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي : أين عبد الله بن قيس فأجبته فقال: أجب رسول الله يدعوك .

فلما أتيته قال: خذ هاتين القرنيتين وهاتين القرنيتين لستة أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله أو إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن.[١٤٧]

المعذرون

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا .

وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جرأة على الله ورسوله وهو قوله تعالى: (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)[١٤٨]

واستخلف عليه السلام على المدينة محمد بن مسلمة و لم يتخلف عن المشاهد إلا تبوك لأن النبي خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

المخلفون

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وفيهم نزل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) .

عدد المسلمين وعدتهم

وأمر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفا وقيل سبعون وقيل أربعون وكانت الخيل عشرة آلاف فرس .

المرور بالحجر

ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر بديار ثمود قال: لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له ففعل الناس إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته فخنق على مذهبه وأما الذي خرج في طلبه بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء .

---

[١٤٧] رواه البخاري برقم ٤٤١٥

[١٤٨] سورة التوبة (٩٠)

فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألم أنهكم ؟ ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفي وأما الآخر فأهدته طيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

فقدان ناقته صلى الله عليه وسلم

ولما كان صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله: إن رجلا يقول وذكر مقالته وإني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها . فانطلقوا فجاؤوا بها . رواه البيهقي وأبو نعيم .

معجزة تكثير الماء

وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل : أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وأنهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شن ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس .[١٤٩]

الوصول إلى تبوك

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء فأعطوه الجزية وكتب لهم عليه السلام كتابا .

ووجد هرقل بحمص فأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما بدومة الجندل في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سرية وقال له عليه السلام : إنك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى إليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وقتل أخاه حسانا وهرب من كان معه فدخل الحصن ثم أجار خال أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح .

[١٤٩] هو عند مسلم في كتاب الفضائل رقم (١٠)

رسالة إلى هرقل [١٥٠]

وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا في تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فقارب الإجابة و لم يجب . رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أنس .

وفي مسند أحمد أن هرقل كتب من تبوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أني مسلم فقال صلى الله عليه وسلم : كذب هو على نصرانيته .[١٥١]

العودة إلى المدينة

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة و لم يلق كيدا . وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء . فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه . وذلك بعد أن أنزل الله فيه: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا)[١٥٢]

قال الواحدي: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير : الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا يضارون به مسجد قباء .

قال المفسرون : ولما بنوا ذلك لأغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك قالوا: يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة ونحن نحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام: إني على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلينا فيه . فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت هذه الآية .

وفي البخاري : لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال: (إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر.[١٥٣]

وجاء المتخلفون

وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وأرجأ أمر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى:(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين

---

[١٥١] المسند ٣/ ٤٤١ـ ٤٤٢

[١٥٢] سورة التوبة (١٠٧)

[١٥٣] رواه البخاري برقم ٤٤٢٣

والأنصار الذين اتبعوه .....إلى قوله إن الله هو التواب الرحيم)[١٥٤] والثلاثة هم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع .

حجة أبي بكر

ثم حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة وقال قوم في ذي الحجة . وكان مع أبي بكر ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة .

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة : أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .[١٥٥]

قال: فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك . فأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين :(يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)[١٥٦] وقد دلت هذه الآية على نجاسة المشرك وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات .

بين حجة الصديق وحجة الوداع

هلاك رأس المنافقين

وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي بن سلول فجاء ابنه إلى رسول الله فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله قال:(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)[١٥٧] وسأزيد على السبعين قال: إنه منافق . فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأنزل الله عز وجل :(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)[١٥٨] رواه الشيخان والنسائي [١٥٩]

---

[١٥٤] سورة التوبة (١١٧) و(١١٨)
[١٥٥] رواه البخاري برقم ٤٣٤٧
[١٥٦] سورة التوبة (٢٨)
[١٥٧] سورة التوبة (٨٠)
[١٥٨] سورة التوبة (٨٤)

إيلاؤه صلى الله عليه وسلم من نسائه

وفي هذه السنة آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهراً .

البعث إلى اليمن

ثم بعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن قبل حجة الوداع .ثم قال : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[١٦٠] وقال لمعاذ: إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة) فإن هم أطاعوا لك بذلك فخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.[١٦١]

بعث خالد إلى نجران

ثم أرسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الأولى إلى بني عبد المدان بنجران فأسلموا .

بعث علي إلى اليمن

ثم أرسل علي بن أبي طالب إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده .

وأخرج أبو داود وأحمد والترمذي من حديث علي قال:(بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت يا رسول الله: تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده في صدري وقال: الله ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر الحديث .)

فخرج في ثلاثمائة ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبو . ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام (وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا

---

[١٦٠] البخاري برقم (٦٩)
[١٦١] البخاري برقم (١٤٢٥)

وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله) . ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر.

حجة الوداع

ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام وحجة البلاغ .وكان صلى الله عليه وسلم قد أقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان ذي القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج إلى الحج فتجهز وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن سعد: و لم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله تعالى .

فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بأن الخروج كان يوم الخميس وفيه نظر . لأن أول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت وتواتر وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين أول الشهر كان يوم الخميس فلا يصح أن يكون خروجه يوم الخميس بل هو ظاهر الخبر أن يكون يوم الجمعة .

لكن ثبت في الصحيحين عن أنس : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين . فدل على أن خروجهم لم يكن يوم الجمعة . ويحمل قول من قال : لخمس بقين أي إن كان الشهر ثلاثين فاتفق أن جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس أول ذي الحجة بعد مضي أربع ليال لا خمس وبها تتفق الأخبار .

وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر . وخرج معه عليه السلام تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفا .

آخر البعوث النبوية

ثم سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أبنى بالشراة وكانت يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة . وهي آخر سرية جهزها النبي وأول شيء جهزه أبو بكر لغزوا الروم مكان قتل أبيه . فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة الأسلمي وعسكر بالجرف . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب فيهم أبو بكر وعمر .

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون إلى العسكر بالجرف . فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي عليه السلام مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطأطأ أسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة قال أسامة: فعرفت أنه يدعو لي . ورجع أسامة إلى معسكره . ثم دخل يوم الاثنين وأصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا، فودعه أسامة وخرج إلى المعسكر فأمر بالرحيل فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاء يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت. فأقبل هو وعمر وأبو عبيدة. فتوفي صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

ولما توفي صلى الله عليه وسلم دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عند بابه فلما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه فمضى به إلى معسكرهم الأول وخرج أسامة هلال ربيع الآخر سنة إحدى عشرة إلى أهل أبنى فشن عليهم الغارة فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل أبيه في الغارة ثم رجع إلى المدينة و لم يصب أحد من المسلمين .

فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه نحو سبع وعشرين .

نهاية المجلد الأول

مختصر كتاب المواهب اللدنية

المجلد الثاني

الفصل الأول

في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة

أسماء وردت بها النصوص

وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية . ثم إن أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم :محمد وبه سماه جده عبد المطلب .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:(لما ولد النبي صلى الله عليه و سلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمداً فقيل له :يا أبا الحارث ما حملك على أن سميته محمداً و لم تسمه باسم آبائه ؟ قال :أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض)

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(أن لي أسماء :أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب)[١٦٢]

عدد أسمائه

وقد جاءت من ألقابه و سماته صلى الله عليه و سلم في القرآن عدة كثيرة تعرض جماعة لتعدادها و بلغوا بها عدداً مخصوصاً فمنهم من بلغ تسعة و تسعين موافقة لعدد أسماء الله الحسنى .قال القاضي عياض : و قد حضه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً و المراد الأوصاف :وكل الأسماء التي وردت أوصاف مدح و إذا كذلك فله صلى الله عليه و سلم من كل وصف أسم ثم أن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه ومنها من هو مشترك وإذا جعلنا له من كل وصف أسم بلغت أوصافه ما ذكر بل أكثر .

[١٦٢] رواه الشيخان عند البخاري برقم ٣٥٣٢و٤٨٩٦وعند مسلم برقم ٢٣٥٤

الأسماء مرتبة على حروف للعجم

أ) الأبر بالله ، اتقى الناس ، أجود الناس ، أحمد ، الأخر، أرحم الناس بالعباد ، الأزهر ، أشجع الناس ، الأعز ، الأعلى ، الأكرم ،إمام الرسل ، إمام المتقين ، الأمين ،الأمي ، أول شافع ، أول المسلمين .

ب) البر ، البرهان ، بشرى عيسى ، البليغ ، بالغ البيان .

ت) التالي ، التهامي ،التقي .

ث) ثاني اثنين .

ج) الجبار ، الجواد ، الجامع .

ح) الحاشر ، الحافظ ، حامل لواء الحمد ، حبيب الرحمن ، الحجة البالغة ، الحسيب ، الحليم الحنيف.

خ) خاتم البينين ، الخاتم ، الخاشع ، الخالص ، خليل الرحمن ، الخليفة ، خير البرية .

د) دعوة إبراهيم ، دليل الخيرات ، الداعي إلى الله .

ذ) الذاكر ، ذو الحوض المورود ، ذو الخلق العظيم ، ذو المقام المحمود ، ذو الوسيلة .

ر) الراضي ، الراغب ، راكب البراق ، الرحمة ، رحمة الأمة ، رسول الرحمة ، رسول الملاحم ، روح القدس ، ركن المتواضعين .

ز) زعيم الأنبياء ، الزاهد ، الزمزمي .

س) السابق بالخيرات ، الساجد ، السراج المنير ، سعد الخلائق ، سيد ولد آدم ، سيد المرسلين، سيد الثقلين .

ش) الشافع ، الشاكر ، الشاهد ، الشمس .

ص) الصابر ، الصاحب ، صاحب المعجزات ، صاحب التاج ، صاحب الحوض المورود ، صاحب المقام المحمود ، الصادق ، صاحب اللواء ، صاحب الكوثر ، الصراط المستقيم .

ض) الضارب بالحسام المثلوم الضحوك .

ط) الطاهر ، الطيب ، طسم ، طه ، طس .

ظ) الظاهر ، الظفور .

ع) العابد ، العادل ، العالم ، عبد الله ، العروة الوثقى ، العطوف ، عبد الوهاب ، عبد السلام عبد الغفار ،

غ) الغالب ، الغوث ، الغيث ، الغني بالله .

ف) الفاتح ، الفارق ، فضل الله ، فواتح النور ، الفصيح ، الفاروق .

ق) القاسم ، القاضي ، قائد الغر المحجلين ، قدم صدق ، القرشي ، قائد الخير .

ك) كافة الناس ، الكفيل ، الكريم ، كهيعص .

ل) اللسان .

م) الماجد ، الماحي ، المأمون ، المبرأ ، المبعوث بالحق ، المخصوص بالشرف ، المدثر ، المشفع ، المشفوع ، المصطفى ، المطهر ، مفتاح الجنة ، المقتصد ، المهدي .

ن) الناجز ، الناسخ ، الناشر ، الناصح ، الناطق بالحق ، نبي الحرمين ، النذير، النقي ،النور

ه) الهادي ، هدية الله ، الهاشمي .

و) الوجيه ، الواسط ، الواعد ، الواعظ ، الوافي ، الوسيلة ، الورع ، ولي الفضل .

ي) يس ، اليثربي .

كنيته صلى الله عليه وسلم

كنيته المشهورة أبو القاسم ويكنى بأبي إبراهيم كما جاء في حديث أنس في مجيء جبريل إليه عليهما الصلاة والسلام وقوله السلام عليك يا أبا إبراهيم[١٦٣] وبأبي الأرامل وبأبي المؤمنين.

شرح اسمي (محمد) (وأحمد)

قال السهيلي : أما أحمد وهو اسمه عليه السلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى فإنه منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى (أحمد) أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد .

قال: وأما (محمد) فمنقول من صفة أيضاً وهو في معنى (محمود) ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه به

[١٦٣] رواه البيهقي

قبل أن يسمى به علم من أعلام نبوته عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة في الشفاعة .

ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا أيضا .

وذكر ابن القيم في اسمه أحمد أنه قيل فيه إنه بمعنى مفعول ويكون التقدير: أحمد الناس أي أحق الناس وأولاها أن يحمد فيكون محمدا في المعنى لكن الفرق بينها: أن محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد: هو الذي أفضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية .

خصائص اسم (محمد)

ثم إن في اسمه محمد خصائص: منها: كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد فإن عدد الجلالة على أربعة أحرف كمحمد .

ومنها: أنه تعالى اشتقه من اسمه المحمود وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفي ألف عام كما ورد من حديث أنس بن مالك .

وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال: (إن الله أنزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل ابنه شيث فقال: أي بني أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإني رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم إني طفت السماوات فلم أر في السماوات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه وإن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصرا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا عليه فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها .)

اسم (محمد) في الجاهلية

قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أنه لم يسم قبله أحد باسمه (محمد) صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى إذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك أنه تعالى سماه به في الكتب المتقدمة وبشر به الأنبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة إلا

أنه لما قرب زمنه وبشر به أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو وقد عدهم القاضي عياض : ستة ثم قال : لا سابع لهم .

شرح بعض الأسماء

_أما اسمه عليه السلام محمود: فهو من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه: المحمود لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده .

_أما الماحي: ففسر بمحو الكفر و لم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار ما بين عابد أوثان ويهود ونصارى فمحاها برسوله حتى أظهر دينه على كل دين .

_وأما الحاشر: ففسر بأنه الذي يحشر الناس على قدمه أي يقدمهم وهم خلفه وهو أول من تنشق عنه الأرض فيحشر الناس على أثره .

_وأما الأول: فلأنه أول النبيين وكما أنه أول في البدء فهو أول في العود وهو أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة وهو أول شافع وأول مشفع .

_وأما الآخر فلأنه آخر الأنبياء في البعث .

_وأما الفاتح الخاتم: ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا وفي الإسراء قوله صلى الله عليه وسلم:(وجعلني فاتحا وخاتما) فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجا وفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا . وقد يكون المراد: المبدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام :(كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث)[١٦٤]

_وأما المؤمن: أي يصدق وقال عليه السلام:(أنا أمنة لأصحابي)[١٦٥] فهذا بمعنى المؤمن .

_وأما الشاكر والشكور: فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال:(أفلا أكون عبدا شكورا)[١٦٦] وقال القاضي عياض: شكورا: أي معترفا بنعم ربي مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة لقوله تعالى:(لئن شكرتم لأزيدنكم)[١٦٧]

_وأما الأمين: فقد كان عليه السلام يعرف به قبل النبوة وبعدها وهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين على وحيه ودينه وهو أمين في السماء والأرض .

---

[١٦٤] رواه ابن سعد وغيره وفيه سعيد بن بشير وهو ضعيف

[١٦٥] رواه البيهقي .

[١٦٦] متفق عليه

[١٦٧] سورة إبراهيم (٧)

ـوأما الطيب: فلا ريب أنه عليه السلام أطيب الطيبين وحسبك أنه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذي نفخه في الوجود فتعطرت به الكائنات .

ـوأما العطوف: فهو الشفوق وسمي به عليه السلام لكثرة شفقته على أمته ورأفته بهم .

ـوأما السراج: فسماه الله تعالى به في قوله:(وسراجا منيرا)[١٦٨] لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به .

ـوأما الشاهد والشهيد: فسماه الله بهما في قوله:(إنا أرسلناك شاهدا)[١٦٩] أي على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله:(ويكون الرسول عليكم شهيدا)[١٧٠]

ـوأما طه فروى النقاش عنه عليه السلام: لي في القرآن سبعة أسماء فذكرمنها طه وقيل:هو اسم الله وقيل معناه: يا رجل وقيل: يا إنسان وقيل: يا طاهر يا هادي يعني النبي عليه السلام.

ـوأما الشمس: فسمي به صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته كما أن الشمس في الرتبة أرفع من غالب الكواكب والانتفاع بها أكثر من غيرها فلما كان سائر الكواكب تستمد نورها منها ناسب تسميته عليه السلام بها لأن نور الأنبياء مستمد من نوره .

ـوأما رسول الرحمة ونبي الرحمة: فقال الله تعالى:(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[١٧١] وقال تعالى:(بالمؤمنين رؤوف رحيم)[١٧٢] وروى البيهقي مرفوعا:(إنما أنا رحمة مهداة) فرحم الله به الخلق مؤمنهم وكافرهم .

ـوأما نبي الملحمة والملاحم: وهي الحروب فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف و لم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد صلى الله عليه وسلم وأمته .

ـوأما قدم صدق: فقال قتادة والحسن وزيد بن أسلم في قوله تعالى:(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)[١٧٣] هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم . وعن أبي سعيد الخدري: هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم .

---

[١٦٨] سورة الأحزاب (٤٦)
[١٦٩] الأحزاب (٤٥)
[١٧٠] سورة البقرة (١٤٣)
[١٧١] سورة الأنبياء (١٧)
[١٧٢] سورة التوبة (١٢٨)

ـــوأما العروة الوثقى: فحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى:(فقد استمسك بالعروة الوثقى)[١٧٤] أنه محمد صلى الله عليه وسلم .

ـــوأما ركن المتواضعين: فلأنه عمادهم وقد ظهرت عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره .

ـــوأما الأمي: فهو أخص أسمائه وقال تعالى:(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا)[١٧٥]

ـــوأما المكي: فقد كانت بداية ظهوره عليه السلام في الأرض في مكة التي هي حرم الله فهو صلى الله عليه وسلم مكي الإقامة ومبدأ النبوة ومكي الإعادة .

ـــوأما عبد الله: فسماه الله تعالى به في أشرف مقاماته فقال:(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)[١٧٦] فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه والتحدي أن يأتوا بمثله . ولما خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار أن يكون نبيا عبدا فاختار ما هو الأتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول:(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ولكن قولوا : عبد الله ورسوله .)

---

[١٧٣] سورة يونس (٢)
[١٧٤] سورة البقرة (٢٥٦)
[١٧٥] سورة الشورى (٥٢)
[١٧٦] سورة البقرة (٣٠)

الفصل الثاني

في ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام

الأولاد المتفق عليهم

وهم ستة : القاسم وإبراهيم وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن معه .

الخلاف في غيرهم

قال الزبير بن بكار: كان له صلى الله عليه وسلم سوى إبراهيم والقاسم عبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له: الطيب والطاهر . وهو قول أكثر أهل النسب فعلى هذا تكون جملتهم سبعة ثلاثة ذكور وأربع بنات .

القاسم

فأما القاسم فهو أول ولد ولد له عليه السلام قبل النبوة وبه كان يكنى وقيل عاش سنتين وهو أول من مات من ولده عليه السلام .

زينب

وهي أكبر بناته بلا خلاف وعند ابن إسحاق أنها ولدت في سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وأدركت الإسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى وولدت له عليا مات صغيرا وكان رديف النبي على ناقته يوم الفتح وولدت له أمامة التي حملها عليه السلام في صلاة الصبح على عاتقه .

رقية

ولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وكانت تحت عتبة بن أبي لهب وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة فلما نزلت (تبت يدا أبي لهب) قال لهما أبوهما رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما و لم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين إلى أرض الحبشة وكانت ذات جمال رائع . وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر. وعن عبد الله بن عباس : لما عزي صلى الله عليه وسلم برقية قال: الحمد لله دفن البنات من المكرمات .

أم كلثوم

وأما أم كلثوم فلا يعرف لها اسم وإنما تعرف بكنيتها وكانت تحت عتبة بن أبي لهب ففارقها قبل الدخول . وكان تزويج عثمان بأم كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له: والذي نفسي به لو أن عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى بعد أخرى هذا جبريل يأمرني أن أزوجكها . وماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وفي البخاري : (جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال: هل فيكم أحد يقارف الليلة فقال أبو طلحة: أنا فقال : انزل قبرها فنزل)

فاطمة الزهراء

ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وروي مرفوعا: إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة .

وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله . وتزوجت بعلي بن أبي طالب في السنة الثانية وكان تزويجها بأمر الله ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة سنة ولعلي إحدى وعشرون .

وفاطمة وأم كلثوم أفضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة أحب أهله إليه قال صلى الله عليه وسلم:(فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)[١٧٧]

وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم بستة أشهر ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي ابنة تسع وعشرون سنة . وولدت لعلي حسن وحسين ومحسن فمات محسن صغيرا وأم كلثوم وزينب .

ذرية فاطمة الزهراء

و لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب إلا من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط .

وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيد ورقية وتزوج عبد الله بن جعفر أختها زينب بنت فاطمة فولدت له علي وأم كلثوم .

[١٧٧] رواه البخاري

عبد الله

وأما عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فقد مات صغيرا بمكة فقال العاصي بن وائل: قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى:(إن شانئك هو الأبتر)[١٧٨]

إبراهيم

وأما إبراهيم فهو من مارية القبطية وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال: ولد لي الليلة غلام سميته باسم أبي إبراهيم ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة وبقي عندها إلى أن مات . والقين: الحداد . وعن أنس بن مالك قال: ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إبراهيم مسترضعا في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع.[١٧٩]

وتوفي وله سبعون يوما في ربيع الأول لعشر خلون منه وحمل على سرير صغير وصلى عليه صلى الله عليه وسلم بالبقيع .

وفي حديث جابر: أخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى به النخل فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فأخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال: إنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب .

وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس: إنما كسفت لموت إبراهيم فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد)[١٨٠]

وقال صلى الله عليه وسلم (إن له مرضعا في الجنة)[١٨١]

وقد روي من حديث أنس بن مالك أنه قال: لو بقي إبراهيم لكان نبيا ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء .

---

[١٧٨] الكوثر (٣)
[١٧٩] رواه مسلم في صحيحه
[١٨٠] رواه الشيخان
[١٨١] رواه ابن ماجه وهي عند البخاري برقم ٦١٩٥

الفصل الثالث

في ذكر أزواجه الطاهرات وسراريه المطهرات

أمهات المؤمنين

قال الله تعالى:(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)[١٨٢] وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن .

قال البغوي : كن أمهات المؤمنين دون النساء وروي ذلك عن عائشة رضي الله عنها:(لسنا أمهات النساء) قال: وكان صلى الله عليه وسلم أبا للرجال والنساء ويجوز أن يقال أبو المؤمنين في الحرمة وفضلت زوجاته على النساء وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سؤالهن إلا من وراء حجاب وأفضلهن خديجة وعائشة رضي الله عنهما .

عددهن وترتيبهن

المتفق عليه: أنهن إحدى عشرة امرأة ست من قريش :

_خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى .

_عائشة بنت أبي بكر بن قحافة .

_حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى .

_أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية .

_أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة .

_سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس .

وأربع عربيات :

_زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية. وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير .

ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان : خديجة وزينب أم المساكين .

ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع .

---

[١٨٢] سورة الأحزاب (٦)

خديجة

كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة تزوجها صلى الله عليه وسلم ولها من العمر أربعون سنة وكان سنه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بكرة . وكانت خديجة أول من آمن من الناس وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: (أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) .

وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون واختلف في الأفضلية بين خديجة وعائشة . وسئل ابن داود أيهما أفضل ؟ فقال :عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل ، خديجة أقرأها جبريل السلام من ربها السلام على لسان محمد فهي أفضل . قيل له : فمن أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فاطمة بضعة مني " فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً .

وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت في الحجون وهي ابنة خمس وستين سنة وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة .

سودة بنت زمعة

أسلمت قديماً وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو أسلم معها قديماً وهاجرا على أرض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها . وتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة بعد وفاة خديجة قبل أن يعقد على عائشة ولما كبرت سودة أراد صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها . وتوفيت في المدينة في شوال سنة أربع وخمسين وروى البخاري أنها ماتت في خلافة عمر .

عائشة

أمها أم رومان وكانت عائشة مسماة على جبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وتزوجها بمكة سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين وأعرس بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة ولها تسع سنين .

وأخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت :(تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فأتتني أمي وإني لفي أرجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به شعري ووجهي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين) . وكانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وقال لها صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين :(رأيتك في المنام ثلاث ليال ، جاءني الملك في سرقة من حرير، فيقول : هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فأقول : إن يكن من عند الله يمضه).

وكانت مدة مقامها معه صلى الله عليه وسلم تسع سنين ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة ولم يتزوج بكراً غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة .

وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة. وكانت عائشة تكنى أم عبد الله والصحيح أنها لما ولد عبد الله بن الزبير ابن أختها فإنه صلى الله عليه وسلم تفل في فيه وقال لعائشة :هو عبد الله وأنت أم عبد الله ، قالت :فما زلت أكنى بها وما ولدت قط .

حفصة بنت عمر

وأما أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها زينب بنت مظعون فأسلمت وهاجرت وكانت قبل رسول الله تحت خنيس بن حذافة السهمي هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تأيمت ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما

إلى زواجها فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحه إياها سنة ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها ، نزل عليه الوحي :راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.[١٨٣]

ماتت في شعبان سنة خمس و أربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة .

أم سلمة

اسمها هند وقيل رملة وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة ، كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أبي سلمة بن عبد الأسد وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة فولدت له بها زينب، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة وقيل هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ومات أبو سلمة سنة أربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة . وكانت أم سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم يقول :(ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول : اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها).[١٨٤]

قالت : فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلي صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له .

وكانت أم سلمة من أجمل النساء وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة . وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنتين وستين والأول أصح ودفنت في البقيع وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة .

أم حبيبة

وأما أم المؤمنين أم حبيبة ، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند والأول أصح وأمها صفية بنت أبي العاصي فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الإسلام ومات هناك وثبتت أم حبيبة على الإسلام.

واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها وموضع العقد فقيل : إنه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست فروي أنه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية

---

[١٨٣] أخرجه ابن سعد والطبراني

[١٨٤] رواه أبو داود والنسائي عن أم سلمة

الضمري على النجاشي ليخطبها عليه فزوجها إياه وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة .وكان أبوها أبو سفيان حال نكاحها بمكة مشركاً محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قيل إن عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة و المشهور الأول . وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين وقيل سنة اثنتين وأربعين .

زينب بنت جحش

وأما أم المؤمنين زينب بنت جحش فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرني لها قال: فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله يذكرك فقالت: ما كنت لأحدث شيئا حتى أؤمر ربي عز وجل فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها)[١٨٥] فجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن. أخرجه مسلم

وقال المنافقون: حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه فأنزل تعالى:(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)[١٨٦] وكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات.[١٨٧]

وكان اسمها برة فسماها النبي زينب .

وكان تزويجها له عليه السلام سنة خمس وقيل سنة ثلاث من الهجرة وهي أول من مات من أزواجه بعده وماتت بالمدينة سنة إحدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة .

زينب أم المساكين

وأما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم فكانت تحت عبد الله ابن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله سنة ثلاث و لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة وتوفيت في حياته عليه السلام وقيل مكثت عنده ثمانية أشهر .وتوفيت في ربيع الآخر سنة أربع ودفنت بالبقيع .

---

[١٨٥] سورة الأحزاب (٣٧)
[١٨٦] سورة الأحزاب (٤٠)
[١٨٧] رواه الترمذي وصححه

ميمونة بنت الحارث

وأما أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر وكانت أختها أم الفضل لبابة تحت العباس بن عبد المطلب وكانت جعلت أمرها إلى العباس فأنكحها النبي صلى الله عليه وسلم وتوفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة إحدى وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل ثلاث وستين وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها .

جويرية بنت الحارث

وأما أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وكنت تحت مسافح وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري في غزوة المريسيع في سنة خمس وقيل ست فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وكان من أمري مالا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس وإني كاتبت نفسي فجئت أسألك في كتابتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك إلى ماهو خير؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت: قد فعلت فتسمع الناس أن رسول الله قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة: فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق.[١٨٨] وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الأول سنة خمسين وقيل سنة ست وخمسين.

صفية بنت حيي

وأما أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب فكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة .

قال أنس: لما افتتح صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي فقال: اذهب فخذ جارية فأخذ دحية صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك قال: ادعوه بها فجاء بها قال: فلما نظر إليها النبي صلى

[١٨٨] خرجه أبو داود من حديث عائشة

الله عليه وسلم قال: خذ جارية من السبي غيرها قال: وأعتقها وتزوجها قال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها ؟ قال: نفسها أعتقها وتزوجها حتى إذا كان الطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال: من كان عنده شيء فليجئ به قال: فبسط نطعا قال: فجعل الرجل يجيء بالأقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وروي عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم أتي بصفية يوم خيبر وأنه قتل أباها وأخاها وأن بلالا مر بها بين المقتولين وأنه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه فقالت : أختار الله ورسوله. خرجه في الصفوة.
وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية وقيل غير ذلك .
فهؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر .

زوجات لم يدخل بهن

وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشرة امرأة:
الأولى : الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلف من هي فقيل أم شريك القرشية العامرية واسمها غزية بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي وقيل بنت دودان بن عوف وطلقها صلى الله عليه وسلم واختلف في دخوله بها .
الثانية: خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل أن تصل إليه.
الثالثة : عمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس بن كلاب الكلابية . تزوجها صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين أدخلت عليه فقال لها: لقد عذت بمعاذ فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب . قال أبو عمر هكذا روي عن عائشة .
الرابعة : أسماء بنت النعمان بن الجون ابن الحارث الكندية وهي الجونية أجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في سبب فراقه لها فقال أبو قتادة وأبوعبيدة: إنه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت: تعال أنت وأبت أن تجيء وقال بعضهم: قالت: أعوذ بالله

منك فقال: عذت بمعاذ ولقد أعاذك الله مني فطلقها ثم سرحها إلى أهلها وكانت تسمي نفسها الشقية.

الخامسة : مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم: هي التي استعاذت من النبي وقيل دخل بها وماتت عنه والأول أصح .

السادسة : فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه السلام . لكن قال أبو عمر : هذا عندنا غير صحيح لأن ابن شهاب يروي عن عروة عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وتابع أزواج النبي على ذلك .

السابعة : عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها عليه السلام وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقال أبو سعد : طلقها حين أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم .

الثامنة : قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس الكندي زوجه إياها أخوها في سنة عشر ثم انصرف إلى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة إحدى عشرة قبل قدومها إليه وقيل تزوجها عليه السلام قبل وفاته بشهرين وقال قائلون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بأن تخير فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل فبلغ ذلك أبا بكر فقال: هممت أن أحرق عليها بيتها فقال له عمر: ماهي من أمهات المؤمنين ما دخل بها عليه السلام ولا ضرب عليها الحجاب .

التاسعة: سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية تزوجها عليه السلام ومات قبل أن يدخل بها.

العاشرة : شرف بنت خليفة الكلبية أخت دحية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله بها .

الحادية عشر : ليلى بنت الخطيم أخت قيس تزوجها عليه السلام وكانت غيورا فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم .

الثانية عشر : امرأة من غفار تزوجها عليه السلام فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضاً فقال: الحقي بأهلك و لم يأخذ مما آتاها شيئا. أخرجه أحمد.

فهؤلاء جملة من ذكر من أزواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده فيكون جملة من عقد عليهن ثلاث وعشرين امرأة دخل ببعضهن دون بعض مات منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة ومات منهن قبل الدخول اثنتان أخت دحية وبنت الهذيل باتفاق . واختلف في مليكة وسنا هل ماتتا أو طلقهما مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بهما . وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة وأسماء والغفارية .واختلف في أم شريك هل دخل بها ؟ مع الاتفاق على الفرقة . والمستقيلة التي جهل حالها فالمفارقات بالاتفاق سبع واثنتان على خلاف .

الميتات في حياته باتفاق أربع ومات صلى الله عليه وسلم عن عشر واحدة لم يدخل بها .

المخطوبات

وروي أنه صلى الله عليه وسلم خطب عدة نسوة :

ـ **الأولى منهن** : امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها عليه السلام إلى أبيها فقال: إن بها برصا وهو كاذب فرجع فوجد البرص بها.

ـ **الثانية** : امرأة قرشية يقال لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت: أخاف أن تضغو صبيتي ـ أي يصيحوا ويبكوا ـ عند رأسك فدعا لها وتركها.

ـ **الثالثة** : صفية بنت بشامة كان أصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها.

ـ **الرابعة** : و لم يذكر اسمها قيل إنه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت أستأمر أبي فلقيت أباها فأذن لها فعادت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: قد التحفنا لحافا غيرك .

ـ **الخامسة** : أم هانئ فاخته بنت أبي طالب أخت علي خطبها عليه السلام فقالت: إني امرأة مصبية واعتذرت إليه فعذرها .

ـ **السادسة** : ضباعة بنت عامر ابن قرط خطبها عليه السلام إلى ابنها سلمة بن هشام فقال: حتى أستأمرها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم إنها قد كبرت فلما عاد ابنها سكت عنها صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها .

ـ **السابعة** : أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال: هي ابنة أخي من الرضاعة .

ـ **الثامنة** : عزة بنت أبي سفيان عرضتها أختها أم حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال إنها لا تحل لي لمكان أختها أم حبيبة تحت النبي صلى الله عليه وسلم .

فهؤلاء النساء اللاتي ذكر أنه صلى الله عليه وسلم تزوجهن أو خطبهن أو دخل بهن أو لم يدخل بهن أو عرضن عليه .

السراري

وأما سراريه فقيل إنهن أربعة :

ـ مارية القبطية بنت شمعون أهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والإسكندرية وأهدى معها أختها سيرين ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن ابن حسان ومارية أم إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع .

ـ وريحانة بنت شمعون من بني قريظة وقيل من بني النضير والأول أظهر وماتت قبل وفاته صلى الله عليه وسلم مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع .

ـ وأخرى : وهبتها له زينب بنت جحش .

ـ الرابعة : أصابها في بعض السبي .

الفصل الرابع

في أعمامه وعماته وأخوته من الرضاعة وجداته

أعمامه عليه السلام

قال صاحب " ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى "[١٨٩] : كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عماً بنو عبد المطلب أبوه عبد الله ثالث عشرهم: الحارث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير وحمزة وأبو لهب والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وجحل.

حمزة رضي الله عنه

فأما حمزة فأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ويكنى أبا عمارة وأبا يعلى وكان يدعى أسد الله وأسد رسوله . وكان إسلامه في السنة الثانية من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله عليه السلام دار الأرقم وقيل قبل إسلام عمر بثلاثة أيام . وشهد بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله ابن إسحاق. وأول راية عقدها صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين كانت لحمزة وأول سرية بعثها وقال صلى الله عليه وسلم : خير أعمامي حمزة ، رواه الحافظ الدمشقي .وروى ابن السري مرفوعاً :سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب.[١٩٠]

وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالى :(يا أيتها النفس المطمئنة)[١٩١] قال: حمزة بن عبد المطلب وعن ابن عباس (فمنهم من قضى نحبه)[١٩٢] قال:حمزة .

واستشهد في وقعة أحد قتله وحشي . ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلاً بكى فلما رأى ما مثل به شهق . وعن أبي هريرة : وقف صلى الله عليه وسلم على حمزة فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه .وكان سن حمزة يوم قتل تسعاً وخمسين سنة ودفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد .

---

[١٨٩] وهو الحافظ المحب الطبري

[١٩٠] رواه الطبراني في الأوسط والحاكم والخطيب والضياء المقدسي والديلمي

[١٩١] سورة الفجر (٢٧)

[١٩٢] سورة الأحزاب ، الآية ٢٣

العباس رضي الله عنه

وأما العباس وكنيته أبو الفضل وأمه نتله ويقال نتيلة بنت جناب بن كلب بن النمر بن قاسط ويقال : إنها أول عربية كست البيت الحرام الديباج وأصناف الكسوة لأن العباس ضل وهو صبي فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت .وكان العباس جميلاً وسيماً أبيض له ضفيرتان معتدلاً وقيل كان طوالاً وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين أو ثلاث وكان رئيساً في قريش وإليه عمارة المسجد الحرام. وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الأنصار وكان عليه السلام يثق به في أمره كله . ولما شدوا وثاقه في أسرى بدر سهر صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقيل ما يسهرك يا رسول الله ؟ قال: لأنين العباس فقام رجل فأرخى وثاقه وفعل ذلك بالأسرى كلهم .

وقيل: إنه أسلم يوم بدر ثم أقبل إلى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالأبواء وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة . وقال أبو عمر: أسلم قبل فتح خيبر ، وكان يكتم إسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين وأظهر إسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك . ويقال: إن إسلامه كان قبل بدر وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب إليه عليه السلام إن مقامك بمكة خير لك .

وذكر السهمي في الفضائل أن أبا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه . وكان صلى الله عليه وسلم يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه ووصفه عليه السلام فقال: أجود الناس كفا وأحناه عليهم . رواه الفضائلي .

وعند ابن الباقي من حديث أبي هريرة : اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم .

وروى السهمي من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: له ألا أبشرك يا عم قال: بلى بأبي أنت وأمي فقال عليه السلام: إن من ذريتك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء .

وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة أدرك في الإسلام اثنتين

وثلاثين سنة ودفن بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله . وكان عظيما جليلا وكان يسمى ترجمان القرآن وهو أبو الخلفاء .

عماته عليه السلام

وأما عماته صلى الله عليه وسلم بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست: عاتكة وأميمة والبيضاء وبرة وصفية وأروى و لم يدرك الإسلام منهن إلا صفية بلا خلاف . واختلف في أروى وعاتكة فذهب أبو جعفر العقيلي إلى إسلامهما وعدهما في الصحابة وذكر الدارقطني :عاتكة في جملة الأخوة والأخوات و لم يذكر أروى . وأما ابن إسحاق فذكر أنه لم يسلم منهن غير صفية .

جداته عليه السلام

وأما جداته عليه السلام من أبيه :

ـ فأم عبد الله هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

ـ وأم عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار .

ـ وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم .

ـ وأم عبد مناف عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني سليم .

ـ وأم قصي فاطمة بنت سعد من أزد الشراة .

ـ وأم كلاب ونعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة .

ـ وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب من فهم .

ـ وأم كعب ،سلمى بنت محارب من فهم .

ـ وأم لؤي ، وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف من كنانة .

ـ وأم غالب ، سلمى بنت سعد من هذيل .

ـ وأم فهر جندلة بنت الحارث الجرهمي .

ـ وأم مالك ك هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان .

ـ وأم النضر برة بنت مرة أخت تميم بن مرة .

ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال : فالجدة الأولى قرشية مخزومية ، والثانية نجارية ، والثالثة سليمية والرابعة سليمية أيضاً ،وقيل خزاعية والخامسة

أزدية و والسادسة كنانية والسابعة فهمية والثامنة فهمية أيضاً أو فهرية والتاسعة كنانية والعاشرة هذلية والحادية عشر جرهمية والثانية عشر قيسية والثالثة عشر مرية .

وأما جداته عليه السلام من أمه :

ـ فأم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، برة بنت عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وأم أبيها وهب : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ، ذكره ابن قتيبة .

ـ وأم برة هي أم حبيب .

ـ وأم أم حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب .

ـ وأم برة بنت عوف ، قلابة بنت الحارث بن صعصعة بن عائذ بن لحيان بن هذيل .

ـ وأم قلابة ، هند بنت يربوع من ثقيف .

فالجدة الأولى والثانية والثالثة من أمهات أمه صلى الله عليه وسلم قرشيات وأم أبي أمه سلمية والرابعة لحيانية هذلية ،والخامسة ثقفية ففي كل قبيلة من قبائل العرب له صلى الله عليه وسلم علقة نسب .

إخوته من الرضاعة

وأما إخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة :

فحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد ،أرضعتهما معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية أبي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة .

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أرضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية ، وعبد الله وآسية وجدامة وتعرف بالشيماء الثلاثة أولاد حليمة .

وقد روى ابن سعد أن خيلاً له صلى الله عليه وسلم أغارت على هوازن فأخذوها في جملة السبي فقالت : أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له :يا محمد ،أنا أختك ، فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة ،وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك قالت : بل أرجع إلى قومي فأسلمت وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعماً وشاء .ذكره أبو عمر وابن قتيبة .

وأما أمه من الرضاعة فحليمة بنت أبي ذؤيب من هوازن وهي أيضاً التي أرضعته حتى أكملت رضاعه وجاءته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام إليها وبسط رداءه لها فجلست عليه

وكذا ثويبة جارية أبي لهب أيضاً واختلف في إسلامها كما اختلف في إسلام حليمة وزوجها . وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فكانت تكرمها . وأعتقها أبو لهب وكان صلى الله عليه وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر .

وكانت حاضنته أم أيمن ،بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت باسم ابنها أيمن الحبشي وهي أم أسامة بن زيد تزوجها زيد بن عبيد فولدت له أسامة ويقال: إنها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة . وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله عليه وسلم .وقيل كانت لأمه عليه السلام .وكان صلى الله عليه وسلم يقول :أم أيمن أمي بعد أمي .

وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه أيضاً مع أمها حليمة السعدية .

الفصل الخامس

في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه

ومن يأذن عليه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه

خدمه عليه السلام

- منهم أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي يكنى أبا حمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين أو عشر سنين ودعا له صلى الله عليه وسلم ودعا له صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة . وقال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه. وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة إحدى وتسعين وقد جاوز المائة .
- ومنهم ربيعة بن كعب الأسلمي صاحب وضوئه وتوفي سنة ثلاث وستين .
- ومنهم : أيمن ابن أم أيمن صاحب مطهرته صلى الله عليه وسلم استشهد يوم حنين
- ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أحد السابقين الأولين ، شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور وكان إذا قام النبي صلى الله عليه وسلم ألبسه نعليه وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة ثلاث .
- ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود به في الأسفار وكان عقبة عالماً بكتاب الله وبالفرائض فصيحاً شاعراً مفوهاً ، ولي مصر لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين .
- ومنهم أسلع بن شريك صاحب راحلته .
- ومنهم : سعد مولى أبي بكر وقيل سعيد .
- ومنهم : أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري أسلم قديماً وتوفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين .
- ومنهم : مهاجر مولى أم سلمة .
- ومنهم : حنين والد عبد الله مولى عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس .

- ومنهم : نعيم بن ربيعة الأسلمي .
- ومنهم : أبو الحمراء مولاه وخادمه واسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر نزل حمص وتوفي بها .
- ومنهم : أبو السمح خادمه صلى الله عليه وسلم واسمه إياد .

ومن النساء :

- بركة أم أيمن الحبشية وهي والدة أسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه .
- وخولة جدة حفص .
- وسلمى أم رافع زوج أبي رافع .
- وميمونة بنت سعد .
- وأم عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم .

مهمات أخرى

وكان يضرب الأعناق بين يديه : علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح والضحاك بن سفيان .

وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة وكان بلال على نفقاته. ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي على خاتمه. وابن مسعود على سواكه ونعله وأبو رافع واسمه أسلم ، قبطي ،كان على ثقله أي متاعه .

وأذن عليه صلى الله عليه وسلم في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رياح النوبي .

حراسه عليه السلام

- منهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس سيد الأوس أسلم بين **العقبتين على يد مصعب بن عمير وشهد بدراً وأحداً والخندق فرمي فيه** بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات . حرس النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش .
- ومنهم : محمد بن مسلمة الأنصاري ، حرسه يوم أحد .

- ومنهم : الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق .
- ومنهم : بلال ، المؤذن ، أسلم قديماً وعذب في الله وسكن الشام وكان يحرس
- النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى .
- وكان أبو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهراً سيفه على رأسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل إليه أحد من المشركين .
- ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية .

مواليه عليه السلام

- أسامة وأبوه زيد بن حارثة ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة . وكان زيد قد أسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد زيد في مؤته ومات ابنه أسامة بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين .
- ومنهم : ثوبان ، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين .
- وأبو كبشة ، أوس ، ويقال سليم من مولدي مكة وشهد بدراً .
- وشقران واسمه صالح الحبشي ويقال فارسي شهد بدراً وهو مملوك ثم عتق
- ورباح الأسود وكان يأذن عليه أحياناً إذا انفرد وهو الذي أذن لعمر بن الخطاب في المشربة .
- ويسار الراعي وهو الذي قتله العرنيون .
- وزيد وهو أبو يسار .
- ومدعم عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبي فأهده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وأبو رافع واسمه : أسلم القبطي وكان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه .
- ورفاعة بن زيد الجذامي .

- وسفينة واختلف في اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سفينة لأنهم كانوا حملوه شيئاً كثيراً في السفر.
- ومأبور القبطي وهو من جملة من أهداه المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم
- وواقد ، أو أبو واقد .
- وأنجشة الحادي .
- وسلمان الفارسي ، أبو عبد الله ، ويقال له سلمان الخير أول مشاهده الخندق مات سنة أربع وثلاثين ، يقال بلغ ثلاثمائة سنة .
- وشمعون بن زيد أبو ريحانة .
- أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة .

ومن النساء : أم أيمن الحبشية ، وسلمى أم رافع زوج أبي رافع ، ومارية وريحانة وقيسر أخت مارية .

قال ابن الجوزي : مواليه ثلاثة وأربعون وإماؤه إحدى عشرة .

الفصل السادس

في أمرائه ورسله وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام

كتَابه عليه السلام

أما كتابه فجمع كثير وجم غفير ذكرهم بعض المحدثين .

- فأولهم في التقديم أبو بكر الصديق وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي الإسلام عبد الله وسمي بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل إن الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله أو لأنه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لأنه عتيق من النار .

ولي الخلافة سنتين ونصف وسنه سن المصطفى صلى الله عليه وسلم وتوفي مسموما .

- وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة .
- وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية وكانت خلافته إحدى عشر سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ثم قتل يوم الدار شهيداً.

وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وعلي بن أبي طالب وأقام في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية .
- وطلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة .
- والزبير بن العوام بن خويلد أحد العشرة أيضا قتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع غيلة وهو نائم .
- وسعيد بن العاص .
- وسعد بن أبي وقاص .
- وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر .

- وعبد الله بن الأرقم القرشي كان يكتب الرسائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم وكتب بعده لأبي بكر ثم لعمر من بعده .
- وأبي بن كعب من سباق الأنصار كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم وأحد الفقهاء الذين يفتون على عهده عليه السلام توفي في المدينة سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين .
- وثابت بن قيس بن شماس استشهد باليمامة .
- وحنظلة بن الربيع الأسيدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد .
- وأبو سفيان صخر بن حرب .
- وابنه معاوية ولي لعمر الشام وأقره عثمان. وهو مشهور بكتابة الوحي أسلم يوم فتح مكة ومات في العشر الأخير من رجب سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين .
- وأخوه يزيد بن أبي سفيان بن حرب أمره عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة بالطاعون .
- وزيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري .
- وشرحبيل بن حسنة وهو أول كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم .
- والعلاء بن الحضرمي .
- وخالد بن الوليد بن المغيرة سيف الله أسلم بين الحديبية والفتح مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين .
- وعمرو بن العاص بن وائل السهمي .
- والمغيرة بن شعبة الثقفي أسلم قبل الحديبية وولي إمرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين .
- وعبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري أحد السابقين شهد بدرا واستشهد بمؤتة.
- ومعيقيب ابن أبي فاطمة الدوسي من السابقين شهد المشاهد ومات في خلافة عثمان .
- وكتب له خالد بن سعيد بن العاص كتاب ثقيف .

- وحذيفة بن اليمان من السابقين صح في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة استشهد بأحد ومات في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين .
- وحويطب بن عبد العزى العامري أسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة أربع وخمسين.
- وله كتاب أخر سوى هؤلاء .

كتبه عليه السلام

الكتاب الذي كان عند الصديق

منها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر فكتبه أبو بكر لأنس لما وجهه إلى البحرين ويتحدث فيه عن زكاة الإبل والغنم .

الكتاب الذي كان عند عمر

ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نصب الزكاة وغيرها كما رواه أبو داود والترمذي عن سالم عن أبيه : كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة و لم يخرجه إلى عماله وقرنه بسيفه حتى قبض فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض .

كتابه لأهل اليمن

ومنها كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن وهو كتاب جليل فيه من أنواع الفقه في الزكاة والديات والأحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق وأحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك .

وأما مكاتباته عليه السلام إلى الملوك وغيرهم :

كتابه إلى هرقل

فروي أنه صلى الله لما رجع من الحديبية كتب إلى الروم فقيل له : إنهم لا يقرؤون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتاب .

وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب إلا مختوما خوفا من كشف أسرارهم وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم .

فكتب إلى قيصر المدعو هرقل ملك الروم ثم قال من ينطلق بكتابي هذا إلى هرقل وله الجنة فأخذه دحية ابن خليفة الكلبي ولفظه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم وفي رواية إلى قيصر صاحب الروم : سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) رواه البخاري

ولما قرىء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم غضب ابن أخي قيصر غضبا شديدا وقال: أرني الكتاب فقال له وما تصنع به فقال: إنه بدأ بنفسه فسماك صاحب الروم فقال له عمه: إنك لضعيف الرأي أتريد أن أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه ولقد صدق: أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه ثم أمر بإنزال دحية وإكرامه .

كتابه إلى كسرى

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك فارس :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن توليت فعليك إثم المجوس) .

فلما قرىء عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مزق ملكه .

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد من مرسل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما

قرأ الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هؤلاء فيمزقون وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية .

كتابه إلى النجاشي

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى) .

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري فقال النجاشي له عندما قرأ الكتاب : أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب . فآمن به وأسلم على يد جعفر ابن أبي طالب وتوفي في رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة .

كتابه إلى المقوقس

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) . وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة . فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب فأخذ كتاب النبي وجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب إلى النبي صلى الله عليه

وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ... أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام . و لم يزد على هذا و لم يسلم .

كتابه إلى المنذر

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى : وقد وجد هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فإذا فيه: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام . فكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما بعد يا رسول الله فإني قد قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه ، وبأرضي يهود ومجوس فأحدث إلي في ذلك أمرك . فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .... أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية .

كتابه إلى ملكي عمان

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى ملكي عمان وبعثه مع عمرو بن العاص : قال عمرو :فخرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد فقلت إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيك فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه . ثم قال: وما تدعو إليه ؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله . قال : يا عمرو إنك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا فيه قدوة . قلت : مات و لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام . قال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه ولو كان أخي يتابعني لزكبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً . قال: فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري فأجاب

إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدق النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عوناً على من خالفني .

كتابه إلى صاحب اليمامة

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى صاحب اليمامة هوزة بن علي وأرسل به سليط بن عمرو العامري : فلما قدم عليه سليط كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوماً أنزله وحباه واقترأ عليه الكتاب فرد وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجله والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك . وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال :لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت . باد وباد ما في يديه .

فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوزة مات فقال صلى الله عليه وسلم : (أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي)

أمراؤه عليه السلام

منهم : باذان بن ساسان أمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو أول أمير في الإسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد . وولى زياد بن لبيد الأنصاري حضرموت . وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند . وولى أبا سفيان بن حرب نجران . وولى ابن يزيد تيماء . وولى عتاب مكة . وولى علي بن أبي طالب القضاء في اليمن . وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها . وولى أبا بكر الصديق إقامة الحج سنة تسع .

رسله عليه السلام

وكان أول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي .

وبعث صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم .

وبعث عبد الله السهمي إلى كسرى . وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس .

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك البلقاء . وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوزة . وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى . وبعث أبا موسى

الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك فأسلم غالب أهلها من غير قتال وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب .

الفصل السابع

في مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه

أما مؤذنوه فأربعة : اثنان بالمدينة :

بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء .

وعمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمى وهاجر إلى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له عليه السلام بقباء سعد بن عائد أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ و بالقرظي وبمكة أبو محذورة واسمه أوس الجمحي المكي .

وأما شعراؤه صلى الله عليه وسلم الذين يذبون عن الإسلام :

كعب بن مالك . وعبد الله بن رواحة . وحسان بن ثابت دعا له عليه السلام فقال: (اللهم أيده بروح القدس)[١٩٣] وفي الحديث (إن جبريل مع حسان ما نافح عني)[١٩٤] وكان أشد شعرائه صلى الله عليه وسلم على الكفار حسان وكعب .

وكان **خطيبه** صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس وهو خزرجي شهد له النبي بالجنة وكان خطيبه وخطيب الأنصار واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة .

---

[١٩٣] متفق عليه

[١٩٤] كنز العمال: برقم (٣٣٢٤٦)

الفصل الثامن

في آلات حروبه صلى الله عليه وسلم

كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه

أما أسيافه صلى الله عليه وسلم فكان له تسعة أسياف :

- مأثور وهو أول سيف ملكه عليه السلام .
- والعضب بفتح العين وسكون الضاد وأرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر
- وذو القفار لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر وكان هذا السيف لا يفارقه عليه السلام يكون معه في كل حرب يشهدها .
- والقلعي بضم القاف وفتح اللام وهو الذي أصابه من قلع .
- والبتار أي القاطع .
- والحتف وهو الموت .
- والمخدم وهو القاطع .
- والرسوب .
- والقضيب .

وأما أدراعه فسبعة :

- ذات الفضول أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر وكانت من حديد
- وذات الوشاح .
- وذات الحواشي .
- والسعدية قيل وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت .
- وفضة وكان قد أصابها من بني قينقاع .
- والبتراء لقصرها .
- والخرنق .

وأما أقواسه صلى الله عليه وسلم فكانت ستة : الزوراء وثلاث من سلاح بني قينقاع الروحاء والصفراء وشوحط والكتوم .

وأما أتراسه فكان له عليه السلام ترس اسمه: الزلوق وترس يقال له الفتق وترس أهدي إليه فيه صورة تمثال عقاب فوضع يده عليه فأذهب الله عنه ذلك التمثال .

وأما أرماحه عليه السلام فالمثوي والمثنى ورمحان آخران.

وكانت له حربة كبيرة اسمها البيضاء وصغيرة دون الرمح يقال لها العترة وكانت تركز أمامه في الصلاة .وكان له مغفر من حديد يسمى السبوغ وآخر يسمى الموشح .

وكانت له قصعة تسمى الغراء .وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من أدم حشوه ليف .

وخاتم من حديد وخاتم فضة وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب جبة سندس أخضر وجبة طيالسة وعمامة يقال لها السحاب وأخرى سوداء ورداء .

الفصل التاسع

في ذكر خيله صلى الله عليه وسلم ولقاحه ودوابه

أما خيله صلى الله عليه وسلم : فالسكب أي: كثير الجري وهو أول فرس ملكه .

والمرتجز وكان أبيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته بشهادة رجلين.

والظرب سمي به لكبره وسمنه أهداها له فروة بن عمرو الجذامي .

واللحيف . واللزاز وهذه أهداها له المقوقس . والورد : أهداها له تميم الداري .

وسبحة : وهي فرس شقراء اشتراها من أعرابي من جهينة بعشر من الإبل .

وكان له صلى الله عليه وسلم من الحمير : عفير أهداه له المقوقس ويعفور أهداه له فروة بن عمرو ويقال هما واحد .

وكان له صلى الله عليه وسلم من اللقاح: القصواء وهي التي هاجر عليها والعضباء والجدعاء.

وغنم صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة .

وكانت له خمسة وأربعون لقحة (مهرة) . وكانت له مائة شاة وكانت له ستة أعتز منائح ترعاهن أم أيمن .

الفصل العاشر
في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم
وزاده فضلاً وشرفاً لديه

وفد هوازن

فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما ذكره البخاري وذكر موسى بن عقبة في المغازي: أن رسول الله لما انصرف من الطائف في شوال إلى الجعرانة قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم ثم قام صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين وقال قد رددت الذي لبني هاشم عليهم .

وفد ثقيف:

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف بعد قدومه من تبوك وكان من أمرهم أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف قيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف فقال: اللهم اهد ثقيفاً وائت به. ولما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فلما أشرف على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل ووجه فأصابه سهم فقتله .

ثم أقامت ثقيف بعد قتله أشهراً ثم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا وأجمعوا أن يرسلوا إلى الله صلى الله عليه وسلم .

فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف وكانوا سألوه أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم إلا بأيديهم فقال صلى الله عليه وسلم :كسروا أوثانكم بأيديكم وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه فلما أسلموا وكتب لهم الكتاب أمر عليه عثمان بن أبي العاص .

وفد بني عامر

وقدم وفد بني عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق: لما فرغ صلى الله عليه وسلم من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه فدخلوا في

دين الله أفواجا يضربون إليه من كل وجه . فوفد إليه صلى الله عليه وسلم بنو عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فقدم عامر على رسول الله يريد أن يغدر به . فقال لأربد إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فلما خرجوا قال عامر لأربد: ويحك أينما كنت أمرتك به ؟ فقال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبينه أفأضربك بالسيف ؟

ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله .

وفي صحيح البخاري: أن عامراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء فطعن[١٩٥] في بيت امرأة ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه.[١٩٦]

وفد عبد القيس

وقدم وفد عبد القيس عليه وهي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس :(قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله : إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من ورائنا وندخل به الجنة . قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن أربع : عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت[١٩٧] فاحفظوهن وادعوا إليهن من ورائكم)[١٩٨] وقد كان لعبد القيس وفدتان إحداهما :قبل

[١٩٥] أصابه مرض الطاعون

[١٩٦] لم يتقيد المصنف بألفاظ البخاري ورقم الحديث في البخاري ٤٠٩١

[١٩٧] الدباء هو القرع والحنتم هو الجرار الخضر والنقير أصل النخلة تنقر لتتخذ وعاء والمزفت ما طلي بالزفت .

[١٩٨] رقم الحديث في البخاري ٥٣

الفتح وكان عدد الوفد ثلاثة عشر رجلاً وثانيهما كان في سنة الوفود وكان عددهم أربعين رجلاً.

وفد بني حنيفة

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب فكان مترلهم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار.

وذكر حديثه ابن إسحاق : أن وفد بني حنيفة أتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا: يا رسول الله إنا خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فأمر له رسول الله بما أمر به للقوم وقال لهم : إنه ليس بشركم مكانا ، يعني لحفظه صنيعة أصحابه ، ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد وتنبأ وقال: إني أشركت في الأمر معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن :

وسجع اللعين على سورة الكوثر فقال : إنا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر إن مبغضك رجل فاجر . ثم وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي .

وقد كان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد : فإني قد أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر . فكتب إليه صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وفد طيء

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم . وقال صلى الله عليه وسلم : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخير .

وفد كندة

وقدم صلى الله عليه وسلم وفد كندة في ثمانين أو ستين راكباً من كندة فدخلوا عليه مسجدهم قد رجلوا جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم : أو لم تسلموا ؟ قالوا : بلى . قال : فما هذا الحرير في أعناقكم فشقوه فنزعوه وألقوه .

وفد الأشعريين وأهل اليمن

وقدم عليه الأشعريين وأهل اليمن . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في أهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس.[١٩٩]

وفد صرد الأزدي

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزد فأمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك من قبائل اليمن .

وفد همدان

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان فيهم :مالك بن النمط فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً .

فكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه وأمر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف .

وفد دوس

وكان قدومهم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر. قال ابن إسحاق : كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى إليه رجال من قريش فقالوا له : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وإنا نخشى عليك وعلى قومك فلا تكلمه

[١٩٩] رواه البخاري بنحوه برقم ٤٣٨٨ وهو عند مسلم برقم ٥٢

ولا تسمع منه قال : فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله . قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله : فسمعت كلاماً فقلت : والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح . قال: فمكثت حتى أتى صلى الله عليه وسلم إلى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا و كذا فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسناً فاعرض علي أمرك . فعرض علي صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلى علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وقلت يا رسول الله إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادعو الله أن يجعل لي آية .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطؤوا علي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادعو الله عليهم فقال: اللهم اهد دوساً ثم قال : ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله .

وفد نصارى نجران

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم. وكانوا ستين راكباً . فدعاهم النبي صلى اله عليه وسلم إلى الإسلام وتلى عليهم القرآن فامتنعوا . وفي رواية يونس بن بكير : أنه صالحهم على ألفي حلة ألف في رجب وألف في صفر ومع كل حلة أوقية وساق الكتاب الذي بينهم مطولاً .

وفد بني فزارة

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو أصغرهم مقرين بالإسلام فسألهم صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال أحدهم يا رسول الله أسنتت بلادناوهلكت مواشينا

فادعو لنا ربك يغيثنا فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه وكان مما حفظ من دعائه : اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء .

وفد بني أسد

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني أسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطلحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا شهدنا أن اله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك و لم تبعث إلينا بعثاً .

المقصد الثالث

الفصل الأول

في كمال خلقته وجمال صورته

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

اعلم أن من تمام الإيمان به صلى الله عليه وسلم الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح لك من عظيم خلق نفسه الكريمة .

وفي الأثر : أن خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الأحياء فقال له سيد ذلك الحي: صف لنا محمدا فقال: أما إني أفصل فلا فقال الرجل : أجمل فقال: الرسول على قدر المرسل .

وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم أنه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم .

صفة رأسه صلى الله عليه وسلم

فأما رأسه الشريف المقدس فحسبك ما ذكره الترمذي في جامعه بسنده إلى هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة .

صفة وجهه صلى الله عليه وسلم

وأما وجهه الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير البائن .

وعن أبي هريرة : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه.[٢٠٠]

وفي البخاري : سئل البراء: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ فقال: لا بل مثل القمر .

[٢٠٠] رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وابن حبان .

وكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال: بل مثل القمر أي في التدوير ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال: بل فوق ذلك وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان .

وروى البيهقي عن أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من همدان قالت: حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم مرات فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران يكاد يمس شعره منكبه إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إلى فمه فيقبله قال أبو إسحاق : فقلت لها شبهيه قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كان أبيض مليح الوجه .

وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها: متبلج الوجه يعني: مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح إذا أسفر .

صفة بصره صلى الله عليه وسلم

وأما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله في كتابه العزيز بقوله (ما زاغ البصر وما طغى)[٢٠١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء.[٢٠٢]

وعند مسلم من رواية أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي.[٢٠٣]

وعن مجاهد في قوله تعالى :(الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)[٢٠٤]

قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى بين يديه.[٢٠٥]

وهذه الرؤيا رؤيا إدراك : والرؤيا لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين ولا شعاع ولا مقابلة وهذا بالنسبة إلى القديم العالي أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤيا في حقه على الحاسة

---

[٢٠١] سورة النجم (١٧)

[٢٠٢] رواه البخاري

[٢٠٣] رقمه عند مسلم ٤٢٦

[٢٠٤] سورة الشعراء (٢١٩)

[٢٠٥] رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره .

والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهذا كان خرق عادة في حقه صلى الله عليه وسلم .
وعن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الأشفار مشرب العين بحمرة.[٢٠٦]
وعند الترمذي في حديث عن علي أنه نعت رسول الله صلى اله عليه وسلم فقال: كان في وجهه تدويراً مشرب بحمرة أدعج العينين أهدب الأشفار . وعنه أيضاً عن علي قال: كان أسود الحدقة أهدب الأشفار .

صفة سمعه صلى الله عليه وسلم

وأما سمعه الشريف فحسبك أنه قال صلى الله عليه وسلم : (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء[٢٠٧] وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد الله تعالى)[٢٠٨]

صفة جبينه صلى الله عليه وسلم وبعض جسمه

وأما جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون الحاجبين . بهذا وصفه علي كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال: مقرون الحاجبين صلت الجبين أي واضحه .
وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة رقيق الحاجبين .
وقال ابن أبي هالة : أزج الحواجب وفسر : بالمقوس الطويل الوافر الشعر ثم قال: سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أي يمتلأ دماً إذا غضب كما يمتلأ الضرع لبناً إذا در .
وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهي رؤوس العظام .
وكان صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين أي أعلى الأنف كما وصفه به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر . وفي رواية أيضاً عن ابن عمر من وصف علي له أيضاً : أقنى الأنف

[٢٠٦] رواه البيهقي
[٢٠٧] صاحت وصوتت من ثقل ما عليها
[٢٠٨] رواه الترمذي من رواية أبي ذر

وفسر بالسائل المرتفع وسطه . وقال ابن أبي هالة : أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم . والأشم : الطويل قصبة الأنف .

وصف فمه صلى الله عليه وسلم

وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم يعني واسعه . وفي حديث عن البزار والبيهقي قال أبو هريرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين واسع الفم .

ووصفه صلى الله عليه وسلم ابن أبي هالة فقال: أشنب مفلج الأسنان . والشنب رونق الأسنان وماؤها وأفلج الأسنان أي متفرقها .

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه . رواه الترمذي والدارمي والطبراني في الأوسط .

وعن أبي قرصافة قال : بايعنا رسول الله أنا وأمي وخالتي فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهاً ولا أنقى ثوباً ولا ألين كلاماً ورأينا كالنور يخرج من فيه .

صفة ريقه صلى الله عليه وسلم

وأما ريقه الشريف ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها قال: أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأوتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع . متفق عليه .

وبزق في بئر في دار أنس فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها رواه أبو نعيم .

وكان صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في أفواههم ويقول للأمهات لا ترضعنهم إلى الليل فكان ريقه يجزئهم . رواه البيهقي .

ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وكان به شرى فما كان يشم أطيب منه رائحة . رواه الطبراني .

فصاحته عليه السلام

وأما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح. وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ[٢٠٩] مسرع لا يحفظ قالت عائشة رضي الله عنها : ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا

كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه[٢١٠] وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه.[٢١١]

وعن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده قال: قال رجل : يا رسول الله أيدالك الرجل امرأته ؟ قال: نعم إذا كان ملفجاً . فقال له أبو بكر : يا رسول الله ما قال لك وما قلت له ؟ قال: قال: أيماطل الرجل أهله ؟ قلت له نعم إذا كان مفلسا . قال أبو بكر: يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال: أدبني ربي ونشأت في بني سعد رواه السرقسطي في الدلائل بسند واه وكذا أخرجه ابن عساكر .

نماذج من بلاغته وأقواله

ففصاحته صلى الله عليه وسلم إلى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المزية والزيادة التي تصدع القلوب قبل الأذهان وتقرع الجوانح قبل الآذان مما يروق ويفوق ويثبت له على سائر البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم وبدائع الحكم .

وقليل هذا الوصف في حقه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلاً وشرفاً لديه وقد روى الحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس : إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم . فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق إليه دواوين وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل .

- كقوله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب .[٢١٢]

---

[٢٠٩] وهو السرعة
[٢١٠] رواه البخاري ومسلم وأبو داود
[٢١١] رواه الترمذي والحاكم
[٢١٢] رواه الشيخان

- وقوله : أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين.[٢١٣] ومما لم يذكره القاضي رحمه الله :
- قوله صلى الله عليه وسلم:(إنما الأعمال بالنيات)[٢١٤]
- وقوله : ليس للعامل من عمله إلا ما نواه .
- وقوله : الولد للفراش وللعاهر الحجر.[٢١٥] والمعنى أن حظ العاهر الحجر ولا شيء له في الولد وقيل: أراد أن حظه الغلظة والخشونة من إقامة الحد التي نهايتها رميه بالحجر . وقيل: أراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة على الولد إذا لم تكن المرأة زوجاً له .
- وقوله: إياكم وخضراء الدمن . وعن أبي سعيد مرفوعاً : قيل يا رسول الله وماذا ؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء.[٢١٦]
- وقوله: ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه.[٢١٧] ورواه الشيخان بلفظ (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) يعني أنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه .
- وقوله: الحياء خير كله . [٢١٨]
- وقوله: من غشنا فليس منا .[٢١٩]
- وقوله: استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود .[٢٢٠]
- وقوله: الندم توبة .[٢٢١]
- وقوله: الدال على الخير كفاعله .[٢٢٢]
- وقوله: العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم. [٢٢٣]

---

[٢١٣] رواه البخاري .

[٢١٤] رواه الشيخان .

[٢١٥] رواه الشيخان

[٢١٦] كنز العمال: برقم (٤٤٥٨٧)

[٢١٧] رواه ابن حبان في صحيحه

[٢١٨] متفق عليه .

[٢١٩] رواه مسلم في صحيحه .

[٢٢٠] رواه الطبراني

[٢٢١] رواه الطبراني في الكبير .

[٢٢٢] رواه العسكري وابن جميع .

[٢٢٣] رواه الترمذي وأبو داود

- وقوله: ليس المسؤول بأعلم من السائل .[٢٢٤]
- وقوله: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . [٢٢٥]
- وقوله: الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . [٢٢٦]
- وقوله: تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك.[٢٢٧]
- وقوله: القناعة مال لا ينفد و كنز لا يفنى . رواه الطبراني في الأوسط .
- وقوله: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد .[٢٢٨]
- وقوله: المؤمن من أمنه الناس . رواه الترمذي .
- وقوله: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله.[٢٢٩]
- وقوله: أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك . [٢٣٠]
- وقوله: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له . [٢٣١]
- وقوله: لا فقر أشد من الجهل ولا مال أكثر من العقل ولا وحشة أشد من العجب[٢٣٢]
- وقوله: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور.[٢٣٣]
- وقوله: صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر .[٢٣٤]
- وقوله: لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك . [٢٣٥]

---

[٢٢٤] رواه مسلم وغيره

[٢٢٥] رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

[٢٢٦] رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

[٢٢٧] متفق عليه من حديث أبي هريرة

[٢٢٨] رواه الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنس

[٢٢٩] متفق عليه عن ابن عمر

[٢٣٠] رواه أبو داود والترمذي .

[٢٣١] رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن أنس

[٢٣٢] رواه ابن ماجه

[٢٣٣] رواه البيهقي في الشعب والبخاري والترمذي

[٢٣٤] خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن

فهذا وأشباهه مما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك أنه عليه السلام قد رقى من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره صلى الله عليه وسلم

وجه جامع في البلاغة

ومما عد من وجوه بلاغته: ما ذكر أنه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الإسلام في أربعة أحاديث وهي:

حديث (إنما الأعمال بالنيات) رواه الشيخان .

وحديث (الحلال بين والحرام بين) رواه البخاري ومسلم .

وحديث (البينة على المدعي واليمين على من أنكر) رواه عبد الرزاق والبيهقي وابن عساكر والدارقطني وقال الحافظ: وهو حديث غريب معلول .

وحديث (لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه الشيخان .

فالحديث الأول: يشتمل على ربع العبادات .

والثاني: على ربع المعاملات .

والثالث: على ربع الحكومات وفصل الخصومات .

والرابع: على ربع الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات . قاله ابن المنير .

نماذج من بلاغته بغير لغة قريش

ومما عد أيضاً من أنواع بلاغته كلامه صلى الله عليه وسلم مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعاً في الفصاحة واستحداثاً للألفة فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب أهل الحضر وبكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من الغضب .

فانظر إلى دعائه لأهل المدينة وقد سألوه ذلك فقال: اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم . وفي حديث آخر: اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم إني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة ومثله معه.

---

[٢٣٥] رواه الترمذي وقال: حسن غريب

صفة صوته صلى الله عليه وسلم

وأما صوته الشريف فعن أنس قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت . رواه ابن عساكر.

وروي أنه كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه .

وقد كان صوته صلى الله عليه وسلم يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره . فعن البراء قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في خدورهن . رواه البيهقي .

وعن أم هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي .رواه ابن ماجه .

صفة ضحكه صلى الله عليه وسلم وبكائه

وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى لهواته إنما يبتسم أي : ما رأيته مستجمعاً من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكاً تاماً مقبلاً بكليته على الضحك .

وهذا لا ينافيه ما في حديث أبي هريرة في قصة المواقع أهله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . رواه البخاري والنواجذ الأضراس ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك . لأن عائشة إنما نفت رؤيتها وأبو هريرة أخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي . وقال ابن أبي هالة: جل ضحكه التبسم .

وقال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث: أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك . قال: والمكروه إنما الإكثار منه والإفراط فيه لأنه يذهب الوقار .

وقد روى البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

وكان بكاؤه صلى الله عليه وسلم من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت

خوفاً على أمته وشفقة ومن خشية الله وعند سماع القرآن وأحياناً في صلاة الليل . قاله في الهدي النبوي . وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب ففي البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم: ما تثاءب النبي قط .

صفة يده صلى الله عليه وسلم

وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين . وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر بن سمرة قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجهما من جونة عطار. رواه مسلم.

وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي: لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك .

وعن المستورد بن شداد عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج . رواه الطبراني .

وفي البخاري من حديث أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل: وهذا الوصف في هذا الحديث يخالف ما وقع في حديث ابن أبي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فإن فيه كان شثن الكفين والقدمين أي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما والجمع بينهما: أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته .

وفي حديث معاذ عند الطبراني والبراز : أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئاً قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم .

وأخرج البيهقي وصححه والترمذي وحسنه عن أبي يزيد الأنصاري قال: مسح صلى الله عليه وسلم بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله قال: فبلغ بضعاً ومائة سنة وما في لحيته بياض . ولقد كان منبسط الوجه و لم ينقبض وجهه حتى مات .

صفة قلبه صلى الله عليه وسلم

وأما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فاعلم أن القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو أخص من الفؤاد والفرق بينه وبين الفؤاد أن الفؤاد وسط القلب سمي به لتفؤده أي توقده. وفسر الجوهري القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب .

قال الزركشي :والأحسن قول غيره : الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم : ألين قلوباً وأرق أفئدة .

وقال الراغب : يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة .

وقيل حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم كقوله تعالى :(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)[٢٣٦]

قال بعض العلماء : وقد خلق الله تعالى الإنسان وجعل له قلباً يعقل عنه وهو أصل وجوده إذا صلح قلبه صلح سائره وإذا فسد قلبه فسد سائره وجعل سبحانه القلوب محل السر والإخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أول خلق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صورة الأنبياء فهو أولهم وآخرهم .

وقد جعل سبحانه وتعالى أخلاق القلوب للنفوس أعلاماً على أسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت أخلاقه لجميع خلق الله ولذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم جسمانية اختص بها فتكون علامات اختصاص جسمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون علامات عظيم أخلاقه آيات على سر قلبه المقدس.

ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الأولى أن يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه الله تعالى : ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن .

ولما كان كماله قبل الإسراء بمنزلة سائر النبيين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره . وقد صح أن جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده في مكانه .قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره . رواه مسلم

وإنما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقها تكملة للخلق الإنساني فلا بد منها ونزعها أمر رباني طرأ بعد ذلك.

قال السبكي: وهذا الشق روي أنه وقع له صلى اله عليه وسلم مرات في حال طفوليته إرهاصاً وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للإرهاص ومثل هذا في حق الرسول صلى

[٢٣٦] سورة ق الآية ٣٧

الله عليه وسلم كثير . وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لأنه من المعجزات ولا يجوز أن تتقدم على النبوة قاله الرازي .

والذي عليه أكثر أهل الأصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى وهو المراد بقوله تعالى:(ألم نشرح لك صدرك)

صفة جماعه صلى الله عليه وسلم

وأما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قتادة قلت لأنس: أوكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين . رواه البخاري . وعن أنس مرفوعاً : يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قلت يا رسول الله : أويطيق ذلك ؟ قال: يعطى قوة مائة . قال الترمذي صحيح غريب وذكر ابن العربي : أنه كان له صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق في الوطء وكان له في الأكل القناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية حتى يكون حاله كاملاً في الدارين .

وطاف صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع في ليلة . رواه ابن سعد . وقد حفظه الله من الاحتلام فعن ابن عباس ما احتلم نبي قط وإنما الاحتلام من الشيطان .رواه الطبراني .

صفة قدمه صلى الله عليه وسلم

وأما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن القدمين أي غليظ أصابعهما . رواه الترمذي وغيره .

وعن ميمونة بنت كردم قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه أحمد والطبراني .

وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص رواه البيهقي . والأخمص من القدم الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء .

وقوله : مسيح القدمين أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق فإذا أصابهما الماء نبا عنهما أي انحدر سريعاً كما قال ابن أبي هالة : ينبو عنهما الماء وهو معنى حديث أبي هريرة.

وعن عبد الله بن بريدة قال: كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قدماً . رواه ابن سعد

صفة طوله صلى الله عليه وسلم

وأما طوله صلى الله عليه وسلم فقال علي: كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو إلى الطول أقرب . رواه البيهقي .

وعن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو إلى الطول أقرب رواه البراز .

وعن عائشة قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده و لم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربعة . رواه ابن عساكر والبيهقي .

ووصفه ابن أبي هالة بأنه بادن متماسك أي معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضهما بعضاً .

صفة شعره وأظفاره صلى الله عليه وسلم

وأما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال: سألت أنساً عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين أذنيه وعاتقه .

وعن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم عن إناء واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة . رواه الترمذي وأبو داود.

والوفرة: الشعر الواصل إلى شحمة الأذن.

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا مكة قدمة وله أربع غدائر . رواه الترمذي في الشمائل .

وفي مسلم عن أنس كان في لحيته صلى الله عليه وسلم شعرات بيض . وفي رواية عنده: لم ير من الشيب إلا قليلاً .

وفي رواية أخرى : ما شانه الله ببيضاء .

وقد جعل الشيب هاهنا عيباً وليس بعيب فإنه قد جاء في الحديث : أنه وقار وأنه نور والشيب ممدوح وذلك عجيب منه لا سيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم .

ويمكن الجمع بينهما: ووجه الجمع أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى أبا قحافة ورأسه كالثغامة أمرهم بتغيره وكرهه ولذلك قال: غيروا الشيب فلما علم أنس ذلك من عادته قال: ما شانه ببيضاء بناء على هذا القول وحملاً له على هذا الرأي ولم يسمع الحديث الآخر ولعل أحدهما ناسخ للآخر .

واختلف العلماء: هل خضب صلى الله عليه وسلم أم لا ؟

قال القاضي عياض: منعه الأكثرون وهو مذهب مالك .

وقال النووي: المختار أنه صبغ في وقت وترك معظم الأوقات فأخبر كل بما رأى وهو صادق. ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة .

وأخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه.

وعنده من حديث زيد بن أرقم قال صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ من شاربه فليس منا.

وأخرج البيهقي من مرسل أبي جعفر الباقر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه . رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد .

وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سألت عائشة: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب ؟ قالت: نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر .

صفة مشيه صلى الله عليه وسلم

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن علي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفياً كأنما ينحط من صبب رواه الترمذي وصححه البيهقي والتكفؤ الميل إلى سنن المشي.

وعند الترمذي في الشمائل من حديثه: وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث .

ويروى أنه كان إذا مشى مشى مجتمعاً أي قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي .
وأما مشيه مع أصحابه صلى الله عليه وسلم فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول: خلوا ظهري للملائكة .
ومشى صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته مرة فجرحت أصبعه وسال منها الدم فقال: هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت . رواه أبو داود .
و لم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر . رواه الترمذي .

صفة لونه صلى الله عليه وسلم

وأما لونه الشريف الأزهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض . وقال علي : أبيض مشرب . والمشرب : هو الذي في بياضه حمرة . كما في الرواية الأخرى : أبيض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول أنس في صحيح مسلم : أزهر اللون .
وفي البخاري من حديث أنس ليس بأبيض أمهق .
قال الحافظ ابن حجر: ووقع عند الداودي تبعاً لرواية المروزي أمهق ليس بأبيض وفي رواية عند أبي حاتم وغيره أسمر .
واستشكله بعضهم وقال: إن غالب هذه الروايات متدافع وبعضها ممكن الجمع كالأبيض مع رواية مشرب بالحمرة والأزهر وبعضها غير ممكن الجمع كالأبيض الشديد الوضح مع الأسمر . وقال القاضي عياض: إنها وهم وقال: وكذلك رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا الأدم ليس بصواب .
قال الحافظ ابن حجر: هذا ليس بجيد لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا بالأدم الشديد الأدمة وإنما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد والبراز وابن منده بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسمر وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أنس .
وقد تبين من مجموع الروايات : أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض وأن المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة والمنفي ما لا تخالطه وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق .

طيب ريحه صلى الله عليه وسلم

وأما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وإن لم يمس طيباً .

وروينا عن أنس قال: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الإمام أحمد .

وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق . رواه أبو يعلى والبراز بإسناد صحيح .

وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر . وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الإذفر . رواه أبو نعيم .

وعن أنس قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال[٢٣٧] عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب . رواه مسلم .

وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار.[٢٣٨] قال غيره: مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان ريحها.[٢٣٩]

وجؤنة العطار: سلسلة مستديرة مغشاة أدماً.

وفي الشفاء لابن سبع عن بعض الصحابة قال: صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته وقد دخل مكاناً فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ير له أثر غائط ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطراً . وروي أنه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم .

وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالكاً والد أبي سعيد لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل: مجه فقال: لا

---

[٢٣٧] أي نام وقت القائلة وهي نصف النهار

[٢٣٨] رواه مسلم

[٢٣٩] رواه أبو نعيم والبيهقي بإسناد ضعيف عن عائشة .

والله لا أمجه أبداً ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فاستشهد .

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم من حديث أبي مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح عن أم أيمن قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة فقلت: قد والله شربت ما فيها قالت: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال: أما والله لا يبجعن بطنك أبداً. أي لا يصيب بطنك وجع .

وفي هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم .

سيرته صلى الله عليه وسلم في قضاء حاجته

وأما سيرته صلى الله عليه وسلم في البراز ففي حديث عائشة عند أبي عوانة في صحيحه والحاكم : ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن .

وحكى ابن ماجة عن بعض مشايخه أنه قال: كان من شأن العرب البول قائماً ويؤيده ما في حديث عبد الرحمن هذا . وفيه دلالة على أنه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه أستر وأبعد عن مماسة البول .

وقال حذيفة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائماً ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ . رواه البخاري . وفي رواية غيره : بال قائماً ففجع رجليه أي فرقهما وباعد ما بينهما. والسباطة : هي المزبلة والكناسة . وقيل إنما بال قائماً لأنها حالة يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريباً من الديار ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال: البول قائماً أحصن للدبر.

وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي وأحمد: أن العرب تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به . وروى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال: إنما بال صلى الله عليه وسلم قائماً لجرح كان بمأبضه .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ إظهاراً للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالأبنية المعدة لذلك لكونه حضرة الشياطين أو يعم ؟ الأصح الثاني .

ويقول ذلك قبيل الدخول في الأمكنة وأما في غيرها فيقول في أول الشروع كتشمير ثيابه مثلاً. وهذا مذهب الجمهور فلو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه .

وعن أنس : كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض. رواه الترمذي وأبو داود والدارمي .

وعن أنس : كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني . رواه ابن ماجه .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا . رواه البخاري من حديث أبي أيوب الأنصاري . وهذا في الصحراء أما في البنيان فلا لما روي عن ابن عمر : ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام . رواه الشيخان .

وأما حديث جابر: عند أبي داود وابن خزيمة ولفظه عند أحمد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نستدبر القبلة أو نستقبلها بفروجنا إذا أهرقنا الماء . قال: ثم رأيته قبل موته بعام مستقبل القبلة . فقال في فتح الباري : الحق أنه ليس بناسخ لحديث النهي خلافاً لمن زعمه بل هو محمول على أنه رآه في بناء أو نحوه لأن ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر . ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليها إذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال .

ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق : التفريق بين البنيان والصحراء وهذا أعدل الأقوال لإعماله جميع الأدلة .

وقال قوم بالتحريم مطلقاً وهو المشهور عن أبي حنيفة وأحمد ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم : أن النهي مقدم على الإباحة و لم يصححوا حديث جابر المتقدم .

وقال قوم بالجواز مطلقاً وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بأن الأحاديث تعارضت فلنرجع إلى أصل الإباحة .

وعن عبد الله بن مسعود قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى بالروثة . رواه البخاري .

وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعاً : لا يستنج أحدكم بأقل من ثلاثة أحجار .

وقد أخذ الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث بهذا فاشترطوا أن لا ينقص عن الثلاثة مع مراعاة الإنقاء إذا لم يحصل بها فتزاد حتى ينقى . ويستحب حينئذ الإيتار لقوله صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر . وليس بواجب لزيادة في أبي داود حسنة الإسناد قال: ومن لا فلا حرج .

قال الخطابي: لو كان القصد الإنقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة .

وقال الطحاوي : لو كان العدد مشترطاً لطلب عليه السلام حجراً ثالثاً .

الفصل الثاني
فيما أكرمه الله تعالى به من الأخلاق الزكية
وشرفه به من الأوصاف المرضية

الخلق العظيم

ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد أثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال:(وإنك لعلى خلق عظيم)[٢٤٠]

والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما يرجع إلى قوته العلمية بأنه عظيم فقال:(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)[٢٤١]

ووصف ما يرجع إلى قوته العملية بأنه عظيم فقال:(وإنك لعلى خلق عظيم) فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيما بين الأرواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة .

قال الحليمي: وإنما وصف خلقه بالعظم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لأن كرم الخلق يراد السماحة و لم يكن خلقه مقصوراً على ذلك بل كان رحيماً بالمؤمنين رفيقاً بهم شديداً على الكفار غليظاً عليهم . فكان وصف خلقه بالعظيم أولى ليشمل الإنعام والانتقام .

وقيل: وإنما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيماً لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى .

وقيل: لأنه صلى الله عليه وسلم عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه .

وقيل: لاجتماع مكارم الأخلاق فيه .

فجميع الأخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فإنه أدب بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها:(كان خلقه القرآن)[٢٤٢] وكما أن معاني القرآن لا تتناهى فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى .

وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولاً على الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود إلهي .

---

[٢٤٠] سورة القلم (٤)
[٢٤١] سورة النساء (١١٣)
[٢٤٢] رواه مسلم وغيره .

العقل أصل الفضائل

وأصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لأن به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان . قال بعضهم: لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر .

كمال عقله صلى الله عليه وسلم

وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصائصه جسيمة .

قال وهب بن منبه: قرأت في أحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل بين رمل من جميع رمال الدنيا وإن محمداً صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً . رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر .

الحلم والعفو والصبر

فمن ذلك: اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة وصبره صلى الله عليه وسلم على ما يكره وحسبك صبره وعفوه عليه السلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له في أشد ما نالوه به من الجراح بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على أصحابه شديداً وقالوا: لو دعوت عليهم فقال: إني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

وها هنا دقيقة وهي أنه صلى الله عليه وسلم لما شج وجهه وعفا وقال: اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال: اللهم املأ بطونهم ناراً فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه فإن وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه .

وصبره صلى الله عليه وسلم على الأذى إنما هو فيما كان من حق نفسه وأما إذا كان لله فإنه يمتثل فيه أمر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى:(يا أيها النبي جاهد الكفار

والمنافقين واغلظ عليهم)[٢٤٣] وقد وقع له صلى الله عليه وسلم أنه غضب لأسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كان في أمر الله وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد في الزجر . فصبره وعفوه إنما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

وروى البخاري من حديث أنس: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وعن عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولامتفحشاً ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . رواه الترمذي .

ما انتقم لنفسه صلى الله عليه وسلم

وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه . رواه البخاري

فإن قلت: قد صح أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله: ما انتقم لنفسه .

فالجواب: أنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله .

وقيل: أراد أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثر في كتفه .

وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه .

وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولاً وأوله : ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً بذكر وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسأل مأثماً ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم .

[٢٤٣] سورة التوبة (٧٣)

من حلمه صلى الله عليه وسلم

ومما روي من اتساع خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للطائفة المنافقين الذين كانوا يؤذونه إذا غاب ويتملقون له إذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية .

وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم صلى الله عليه وسلم باباً من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله عليه (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)[٢٤٤]

فقال صلى الله عليه وسلم: خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال تعالى:(إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فقال صلى الله عليه وسلم: لأزيدن على السبعين .

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره .

وعفا عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح .

شفقته صلى الله عليه وسلم على المذنبين

ومن ذلك إشفاقه صلى الله عليه وسلم على أهل الكبائر من أمته وأمره إياهم بالستر فقال: من بلي بهذه القاذورات ــيعني المحرمات ــ فليستتر.[٢٤٥] وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه فسبوه ولعنوه فقال: قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه .

ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصغي إلى الهرة الغناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها .

تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته

ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه وآدابه وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لا ينهر خادماً . عن أنس قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وإمائه ما ضرب منهم أحداً قط .

---

[٢٤٤] سورة التوبة (٨٠)

[٢٤٥] أخرجه الحاكم والبيهقي .

وفي رواية مسلم: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وسئلت عائشة: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته ؟ قالت: ألين الناس بساماً ضاحكاً لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه . رواه ابن سعد .
وعند أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها : كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله .
وهذا يتعين حمله على أوقات فإنه ثبت أنه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة . وكان يركب الحمار ويردف خلفه .
وقال معاذ بن جبل: بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار إكاف عليه قطيفة فدكيه أردف أسامة وراءه .
وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له أنه صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عرياً إلى قباء وأبو هريرة معه قال: يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال: ما شئت يا رسول الله فقال: اركب فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعاً، ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال: ما شئت يا رسول الله فقال: اركب فلم يقدر فتعلق برسول الله فوقعا جميعاً ثم قال: يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال: لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثاً .
وروي أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يمتهن نفسه في شيء فقالوا: نحن نكفيك يا رسول الله قال: قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه . ودخل الحسن وهو يصلي قد سجد فركب على ظهره فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله قد أطلت سجودك قال: إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله.[٢٤٦]
وكان عليه السلام يعود المرضى ويشهد الجنازة . أخرجه الترمذي في الشمائل . وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم فقال: اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة.[٢٤٧]

[٢٤٦] رواه أحمد في المسند ٤٩٤/٣
[٢٤٧] رواه ابن ماجه والترمذي في الشمائل والبيهقي .

عشرته أهله صلى الله عليه وسلم

وكان صلى الله عليه وسلم حسن العشرة مع أزواجه وكان صلى الله عليه وسلم ينام مع أزواجه وقد كان صلى الله عليه وسلم يسرب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها . رواه الشيخان .وروي أنه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها ، قال : هذه بتلك . وعن أنس بن مالك : أنهم كانوا يوماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها إذ أتي بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ضعوا أيديكم فوضع نبي الله يده ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة تصنع طعاماً عجلته قد رأت الصحفة التي أي بها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلوا بسم الله ، غارت أمكم ،ثم أعطى صحفتها أم سلمة فقال : طعام مكان طعام وإناء مكان إناء .رواه الطبراني في الصغير . وبالجملة فمن تأمل سيرته صلى الله عليه وسلم مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق . وإن كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق إلى غير ذلك .

مباسطته صلى الله عليه وسلم أصحابه

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه بما يولج حبه في القلوب كان له رجل من البادية يسمى زهيراً وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول : زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوماً إلى السوق فوجده قائماً فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زهير أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال : فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته.

وفي رواية الترمذي في الشمائل : فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد

فقال زهير يا رسول الله : إذن تجدني كاسداً فقال صلى الله عليه وسلم : أنت عند الله غال.

مزاحه صلى الله عليه وسلم

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً كما روى أبو هريرة[٢٤٨]

قال له رجل كان فيه بله : يا رسول الله احملني ، فباسطه صلى الله عليه وسلم من القول بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال : أحملك على ابن الناقة . فسبق لخاطره استصغار ما تصدق عليه البنوة فقال: يا رسول الله ما عسى يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم : ويحك وهل يلد الجمل إلا الناقة.[٢٤٩]

وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها : إن الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها: إنك تعودين إلى صورة الشباب في الجنة .

وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤنسهم . ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ومع ذلك سره في الملكوت يجول حيث أراد الله . وقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال: إني لا أقول إلا حقاً .

وقال أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له : أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزيناً فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير، رواه البخاري ومسلم .

وكان قد ألقي عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء إليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له : هون عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطف الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس إني أوحي إلي أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله إخواناً .[٢٥٠]

---

[٢٤٨] أخرجه الترمذي وغيره .
[٢٤٩] رواه البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد .
[٢٥٠] أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث أبي مسعود البدري والحاكم أيضاً من حديث جرير .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأت عيني قط حياء منه وتعظيماً له ولو قيل لي صفه لما قدرت .

مجالسه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه

وقد كانت مجالسه مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب إما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة . كما ذكره أبو هريرة فيما رواه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال : قلنا يا رسول الله مالنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة فإذا خرجنا من عندك عافسنا أهلنا[٢٥١] وشممنا أولادنا وأنكرنا أنفسنا . فقال صلى الله عليه وسلم : لو أنكم إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم .

جوانب من تواضعه صلى الله عليه وسلم

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه ما عاب ذواقاً قط ولا عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه .رواه الشيخان .

وهذا إن كان الطعام مباحاً أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه .

ومن تواضعه : أن هذه الدنيا شاع سبها في العالمين ، فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال : نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر . وقال: لا تسبوا الدهر . رواه البخاري .

وما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه .رواه البخاري .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن أنس أنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري، فقالت: إليك عني فإنك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى . فمر بها رجل فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ما عرفته ، قال: إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فجاءت بابه فلم تجد عليه بواباً . رواه البخاري .

[٢٥١] عالجنا أهلنا ولاعبناهم .

لكن في حديث أبي موسى: أنه كان بواباً للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف[٢٥٢] وجمع بينهما : بأنه صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره أنه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة إليه .

حياؤه صلى الله عليه وسلم

وأما ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها .

وهو في اللغة : تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به .

وفي الشرع : خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق .

وللحياء أقسام ثمانية : منها : حياء الكرم . ومنها: حياء المحب من محبوبه. ومنها: حياء العبودية . ومنها: حياء المرء من نفسه . والحياء كما قال صلى الله عليه وسلم لا يأتي إلا بخير وهو من الإيمان . كما رواهما البخاري .وقال القاضي عياض : وروي عنه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد .

خوفه صلى الله عليه وسلم ربه

وأما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا فاعلم أن الخوف والوجل والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة .

قيل: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس .

وقيل الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف .

وقيل الخوف: قوة العلم بمجاري الأحكام وهذا سبب الخوف لا أنه نفسه .

وقيل الخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره .

والخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله تعالى . قال تعالى:(إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)[٢٥٣] وقال صلى الله عليه وسلم:(أنا أتقاكم لله وأشدكم له خشية)[٢٥٤]

وأما الرهبة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه .

وأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته .

---

[٢٥٢] القف: الدكة يجعل حول البئر .
[٢٥٣] سورة فاطر (٢٨)
[٢٥٤] رواه البخاري من حديث عائشة

وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما تكون مع المعرفة والمحبة .
والإجلال: تعظيم مقرون بالحب .
فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين .
وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم:(إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم:(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) رواه البخاري من حديث أبي هريرة .
فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره ولذا قال:(إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا)[٢٥٥]

شجاعته صلى الله عليه وسلم

وأما ما روي عن شجاعته صلى الله عليه وسلم ونجدته وقوته في الله وشدته فعن أنس : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا)[٢٥٦]
وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي البخاري من حديث البراء،وسأله رجل من قيس : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال :فأكببنا على المغانم فاستقبلنا بالسهام . ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .[٢٥٧]
وفي حديث البراء : كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم[٢٥٨] .أي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه .

---

[٢٥٥] رواه البخاري برقم (٢٠) .
[٢٥٦] سنن البيهقي الكبرى برقم (١٨٣٤١)
[٢٥٧] رواه البخاري برقم ٢٨٦٤.
[٢٥٨] رواه مسلم .

جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم

وأما ما ذكر من سخائه جوده وكرمه ، فاعلم أن السخاء صفة غريزية وفي مقابلته الشح ، والشح من لوازم صفة النفس ، قال الله تعالى :(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[٢٥٩]

فحكم بالفلاح لمن وقي الشح ، وحكم بالفلاح أيضاً لمن أنفق وبذل فقال :(ومما رزقناهم ينفقون) (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)[٢٦٠]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس .رواه البخاري من حديث أنس .

وفي رواية لمسلم عنه : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر .

وعنده أيضاً عن صفوان بن أمية قال : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي .

وكان علي إذا وصفه عليه السلام قال : كان أجود الناس كفاً وأصدق الناس لهجة.[٢٦١]

وروى الترمذي أنه حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها.

وسايره جابر على جمل له فقال له صلى الله عليه وسلم : بعني جملك فقال: هو لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي فقال: بل بعنيه فباعه إياه وأمر بلالاً أن ينقده ثمنه فنقده ثم قال صلى الله عليه وسلم : اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما. رواه البخاري ومسلم وكان يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة من الجوع .

---

[٢٥٩] سورة الحشر الآية ٩.
[٢٦٠] سورة البقرة الآية (٣٥)
[٢٦١] رواه الترمذي .

وكان صلى الله عليه وسلم قد أتاه سبي فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال : لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع .رواه أحمد .

وأتته امرأة ببردة فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فلبسها فرآه عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها فقال: نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه . رواه البخاري من حديث سهل بن سعد .

الفصل الثالث

فيما تدعو ضرورته إليه صلى الله عليه وسلم من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك

وفيه أربعة أنواع :

النوع الأول: في عيشه صلى الله عليه وسلم في الأكل والمشرب

تناول الطعام ضرورة

اعلم أن تناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن بإجراء سنة الله تعالى بذلك .

قال الغزالي: ولا طريق إلى الوصول إلى اللقاء إلا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرار الأوقات .

فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين:(كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)[٢٦٢] فمن تناول الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه سدى يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى فإنما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه.

بدعة الشبع

واعلم أن الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الأول وقد روى النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس .

قال القرطبي في شرح الأسماء كما نقله شيخ الإسلام والحفاظ ابن حجر: لوسمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة .

وقال غيره: إنما خص الثلاثة بالذكر لأنها أسباب حياة الحيوان ولأنه لا يدخل البطن سواها .

---

[٢٦٢] سورة المؤمنون (٥١)

وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر أو التقسيم على ثلاثة أقسام متقاربة ؟
وقد صح في الصحيحين :(المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)
وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير والمعنى: أن المؤمن من شأنه التقلل من الأكل ما سد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته أيضاً من حساب ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك .
ومحصل القول إن من شأن المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر .
وقيل: المراد أن المؤمن يسمى الله عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر .
وعن ابن عباس: قال صلى الله عليه وسلم: إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة . رواه الطبراني .

قلة الطعام في أبياته صلى الله عليه وسلم

وقالت عائشة: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط . وإنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب .
وقولها: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي إلى البطر والأشر والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وليس المراد بالشبع النسبي المعتاد في الجملة ففي صحيح مسلم: خروجه صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم إلى بيت الأنصاري وذبحه الشاة وفيه : فلما أن شبعوا ورووا . قال النووي: فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه .
وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوياً لا يجدون عشاء وإنما كان خبزهم الشعير . رواه الترمذي وصححه وأحمد وابن سعد .
وأخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدني: حدثني والدي قال: دخلنا على عائشة فقالت: خرج ـــ تعني النبي صلى الله عليه ـــ من الدنيا و لم يملأ بطنه في يوم من طعامين كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير وإذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر .

وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثاء والرطب

وعن عائشة قالت: كان يعجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة أشياء: الطيب والنساء والطعام فأصاب اثنتين و لم يصب واحدة أصاب النساء والطيب و لم يصب الطعام ذكره الدمياطي .[٢٦٣]

وفي البخاري ومسلم: كانت عائشة تقول لعروة : والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال: قلت يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا .

ولمسلم أيضاً : قالت: لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين .

وعن عائشة قالت: توفي صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني.[٢٦٤]

وعندها أيضاً قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير .

وعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا: الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً فقال لها صلى الله عليه وسلم: أين فلان قالت: ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال صلى

[٢٦٣] رواه أحمد في المسند عن عائشة وإسناده صحيح إلا أن فيه رجلاً لم يسم .
[٢٦٤] البخاري برقم (٢٩٣٠)

الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة . أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم النعيم . رواه مسلم وغيره .

أحاديث في وضع الحجر على بطنه صلى الله عليه وسلم

وروي عن ابن بجير قال: أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوماً فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال: ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم . رواه ابن الدنيا .

وعن أنس عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين.[٢٦٥]

وقصة جابر يوم الخندق حين رأى النبي عليه السلام وقد قام إلى الكدية وبطنه معصوب بحجر . وقد أنكر أبو حاتم بن حبان أحاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال إنها باطلة متمسكاً بحديث الوصال (لست كأحدكم إني أطعم وأسقى) قال وإنما معناه الحجز بالزاي وهو طرف الإزار لأن الله تعالى قد كان يطعمه عليه السلام ويسقيه إذا واصل فكيف يحتاج إلى شد الحجر على بطنه ؟ وما يغني الحجر عن الجوع .وقال بعضهم: يجوز أن يكون عصب الحجر لعادة العرب أو أهل المدينة أنهم يفعلون ذلك إذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجراً ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم أصحابه أنه ليس عنده ما يستأثر به عليهم .

والصواب: صحة الأحاديث وأنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اختيار للثواب .

فقر ملتزم

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة[٢٦٦] من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمر الله القيامة أن تقوم قال: لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال إن الله سمع ما ذكرت فبعثني

[٢٦٥] قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث أبي طلحة لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
[٢٦٦] أي قبضة

إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت فإن شئت نبي ملكا وإن شئت نبياً عبداً فأومأ إليه جبريل أن تواضع فقال بل نبياً عبداً ثلاثاً رواه الطبراني بإسناد حسن.

فانظر إلى همته العلية كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأباها ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها في طاعة ربه فأبى ذلك وأختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما أبهاها.

هل يوصف صلى الله عليه وسلم بالفقر

قال الحليمي في شعب الإيمان :من تعظيم النبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيراً.

وأنكر بعضهم إطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين أنه كان يقول: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيراً من المال قط ولاحاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله قد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم:(الهم أحيني مسكينا)[٢٦٧] إن المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعاً من كفايته .

وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك.

وأما ما يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال:الفقر فخري وبه أفتخر .فقال شيخ الإسلام والحفاظ ابن حجر:هو باطل موضوع.

تعدد أنواع الطعام

واعلم أنه من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى سواه فإن ذلك يضر بالطبيعة جداً ولو أنه أفضل الأغذية بل كان صلى الله عليه وسلم يأكل مما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره فأكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي.

[٢٦٧] رواه ابن ماجه .

قال الخطابي :و لم يكن حبه صلى الله عليه وسلم لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس إليهما وإنما ينال منها إذا أحضرت إليه نيلاً صالحاً فيعلم بذلك أنها أعجبته . و لم يصح ورود أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب السكر ولا أنه تصدق به ولا أنه رآه .

طعام الخبيص

وعن ليث بن أبي سالم قال: أول من خبص في الإسلام عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل فاستطابه

وعن عبد الله بن سلام قال: قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حوارى وسمن وعسل فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج أو كاد ينضج ثم أنزل فقال صلى الله عليه وسلم: كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري: خرجه تمام في فوائده والطبراني في معجمه ورجال ثقات . وأكل صلى الله عليه وسلم لحم الضأن وهذه الثلاثة: الحلوى والعسل واللحم من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء ولا ينفر منها إلا من به علة وآفة .

أكله اللحم صلى الله عليه وسلم

واللحم سيد طعام أهل الجنة وفي رواية: هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة رواه ابن ماجه وابن الدنيا من حديث أبي الدرداء مرفوعاً . وسنده ضعيف له شواهد منها:

عن علي رفعه: سيد طعام الدنيا اللحم ثم الأرز أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي .

وأكل اللحم يزيد سبعين قوة . قاله الزهري .

وعن علي: أنه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه .

وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع ولذلك سم فيه وعن أبي رافع أنه أهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا أبا رافع ؟ فقال: شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر . قال: ناولني الذراع يا أبا رافع فناولته الذراع ثم قال: ناولني الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر فقال: ناولني الذراع الآخر فقال: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو

سكت لناولتني ذراعاً فذراعاً ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى. رواه أحمد وقالت عائشة: وكان الذراع أحب إليه وكان لا يأكل اللحم إلا غباً وكان يعجل إليها لأنه أعجل نضجاً . رواه الترمذي

وكذلك كان يحب لحم الرقبة . فعن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت: ما بقي عندنا إلا الرقبة إني لأستحي أن أرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع الرسول فأخبره فقال: ارجع إليها فقل لها: أرسلي بها فإنها هاربة الشاة وأقرب الشاة إلى الخير وأبعدها من الأذى.[٢٦٨]

ولا ريب أن أخف لحم الشاة هو لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو أخف على المعدة وأسرع انهضاماً وفي هذا أنه ينبغي مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاث خواص أحدها: كثرة نفعها وتأثيرها في القوى والثاني: خفتها على المعدة وسرعة انحدارها عنها والثالث: سرعة هضمها وهذا أفضل ما يكون من الغذاء.

وقال صلى الله عليه وسلم: أطيب اللحم لحم الظهر.[٢٦٩]

وأكل صلى الله عليه وسلم الشواء فعن أم سلمة أنها قربت إلى النبي صلى الله عليه وسلم جنباً مشوياً فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضأ قال الترمذي حسن صحيح .

وأكل صلى الله عليه وسلم القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال: ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون . فقال: أصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة.

وأكل صلى الله عليه وسلم من الكبد المشوية .

وأكل لحم الدجاج . رواه الشيخان والترمذي وغيرهم .

وأكل لحم حمار الوحش . رواه الشيخان .

وأكل لحم الجمل سفراً وحضراً .

وأكل لحم الأرنب . رواه الشيخان .

وأكل من دواب البحر . رواه مسلم .

---

[٢٦٨] رواه الإمام أحمد والنسائي والبيهقي .

[٢٦٩] رواه الترمذي وأحمد والنسائي .

أطعمة أخرى

وأكل الثريد أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم . وروى أبو داود من حديث ابن عباس قال: أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس.[٢٧٠]

وعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن جبريل أطعمني الهريسة يشد بها ظهري لقيام الليل . رواه الطبراني في الأوسط .

وأكل صلى الله عليه وسلم الدباء[٢٧١] وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة قال أنس فلم أزل أحب الدباء من يومئذ . رواه مسلم .

وكذلك أكل صلى الله عليه وسلم السلق مطبوخاً بالشعير. قال الترمذي: حديث حسن غريب .

وأكل صلى الله عليه وسلم الخزيرة وهو ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكن أرق منها قاله الطبري . وأكل صلى الله عليه وسلم الأقط قاله ابن عباس وهو جبن اللبن المستخرج زبده أكلته وهو كثير بمكة والمدينة وهو أشبه بالكشك .

وأكل صلى الله عليه وسلم الرطب والتمر والبسر . رواه مسلم والترمذي وغيرهما .

وأكل الكباث . رواه مسلم وهو النضيج من ثمر الأراك . وقيل: ورق الأراك .

وفي النهاية لابن الأثير أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الجذب أي الجمار وهو شحم النخل.

وأما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع . رواه أبو داود .

جمع فاكهتين

وكان صلى الله عليه وسلم يراعي صفات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب فإذا كان في أحد الطعامين ما يحتاج إلى كسر وتعديل كسره وعدله بضده إن أمكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ . وإن لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف .

---

[٢٧٠] هو عند أبي داود برقم ٣٧٨٣ وقال: هو ضعيف . والحيس: تمر خلط بأقط وسمن.

[٢٧١] هو ثمر شجر اليقطين .

وروى أبو داود من حديث أبي أسامة عن هشام أنه صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا .

وأخرج النسائي بسند صحيح عن حميد عن أنس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو نوع من البطيخ الأصفر .

وفي هذا تعقب على من زعم أن المراد بالبطيخ في الحديث الأخضر واعتلوا بأن الأصفر فيه حرارة كما في الرطب وقد ورد التعليل بأن أحدهما يطفئ الآخر .

والجواب عن ذلك بأن في الأصفر بالنسبة للرطب برودة وإن كان فيه لحلاوته طرف حرارة.

وفي رواية النسائي أيضاً بسند صحيح عن عائشة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ والرطب جميعاً .

وأخرج ابن ماجه عن عائشة: أرادت أمي معالجتي للسمنة لتدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء فسمنت كأحسن سمنة .

رواه النسائي وقال : بالتمر مكان الرطب . وأما فضائل البطيخ فأحاديثه باطلة .

جمع طعامين

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأكل التمر بالزبد ويعجبه . فعن عبد الله وعطية ابني بسر قالا: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبداً وتمراً وكان يحب الزبد والتمر . رواه أبو داود وابن ماجه .

وسمى النبي صلى الله عليه وسلم اللبن والتمر الأطيبين . رواه أحمد .

وكان يأكل الخبز مأدوماً ما وجد له إداماً فتارة يأدمه باللحم ويقول: هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة[٢٧٢] وتارة بالبطيخ[٢٧٣] وتارة بالتمر فإنه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذه إدم هذه . رواه أبو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ... فذكره .

قال ابن القيم: وهذا من تدبير الغذاء فإن الشعير بارد يابس والتمر حار رطب فإدام خبز الشعير به من أحسن التدبير .

---

[٢٧٢] رواه ابن ماجه وابن الدنيا من حديث أبي الدر داء مرفوعاً وسنده ضعيف .

[٢٧٣] قال الحافظ العراقي: أكل الخبز بالبطيخ لا أصل له .

أكل الفاكهة

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها . وهذا من أكبر أسباب الصحة فإن الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته

فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الأدوية .

أكل البصل والثوم

وأما البصل فروى أبو داود في سننه عن عائشة أنها سئلت عن البصل فقالت: إن آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل.[٢٧٤]

وثبت عنه في الصحيحين أنه منع آكله من دخول المسجد .

وكان صلى الله عليه وسلم يترك الثوم دائماً لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة .

قال النووي: واختلف أصحابنا في حكم الثوم في حقه صلى الله عليه وسلم وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال بعض أصحابنا: هي محرمة عليه والأصح عندهم أنها مكروهة كراهة تنزيه وليست محرمة لعموم قوله: صلى الله عليه وسلم لا في جواب: أهي حرام ؟ ومن قال بالأول يقول: معنى الحديث: ليس بحرام في حقكم .

فينبغي لمحبه موافقته صلى الله عليه وسلم في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه صلى الله عليه وسلم فإن من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه ويكره ما يكرهه .

طريقة الأكل وجلسته

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث. رواه الترمذي في الشمائل.[٢٧٥]

وهذا أنفع ما يكون من الأكلات فإن الأكل بإصبع أكل المتكبر ولا يستلذ به الآكل ولا يمريه ولا يشبعه إلا بعد طول والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الآلة وعلى المعدة وربما استدت الآلات فمات ولا يجد له لذة ولا استمراء فأنفع الأكل أكله صلى الله عليه وسلم وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاثة .

وكان صلى الله عليه وسلم يلعق أصابعه إذا فرغ ثلاثاً . رواه الترمذي في الشمائل .

وفي حديث جابر مرفوعاً عن أبي الشيخ في الثواب: من أكل ما يسقط من الخوان أو

---

[٢٧٤] قال البيهقي : كان مشوياً في قدر .

[٢٧٥] وأخرجه أحمد ومسلم وأبو داود .

القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق .
لكن في مسلم عن جابر وأنس مرفوعاً: إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لأنه لا يدري في أي طعامه البركة . وفي الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذاراً ممن ينسب للرياسة والإمرة في الدنيا . نعم يحصل ذلك لو فعله أثناء الأكل لأنه يعيد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه. وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئاً لما صح أنه قال: لا آكل متكئاً. وقال: إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد.[٢٧٦]
وروى ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن قال: أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابي: ما هذه الجلسة ؟ فقال: إن الله جعلني كريماً و لم يجعلني جباراً عنيداً . وقد أخرج ابن عدي بسند ضعيف: زجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الأكل .
وقال ابن القيم: ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعاً لله عز وجل وأدباً بين يديه .
قال: وهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها . لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه . وأخرج ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاة مخافة أن تعظم بطونهم .

التسمية والحمد

وكان صلى الله عليه وسلم إذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى .
وأما قول النووي في آداب الأكل من الأذكار :والأفضل أن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم فإن قال : بسم الله كفاه وحصلت السنة .
وكان صلى الله عليه وسلم يحمد الله في آخره فيقول : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا.[٢٧٧]
وفي رواية: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.[٢٧٨]

[٢٧٦] رواه أبو داود وابن ماجه .
[٢٧٧] رواه البخاري والترمذي وابن ماجه
[٢٧٨] رواه أحمد والأربعة .

وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري أنه حدثه رجل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعام يقول :بسم الله فإذا فرغ قال: اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما فأعطيت .وسنده صحيح .

الأكل باليد اليمنى

وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التيمن في شأنه كله.[٢٧٩] وقال صلى الله عليه وسلم : يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك.[٢٨٠]

قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي : حمله أكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي . لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع آخر من الأم على الوجوب كذا ذكر عنه الصيرفي في شرح الرسالة .

ونقل البويطي في مختصره : أن الأكل من رأس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر حرام .

ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم : كل مما يليك .

وتعقبه الشيخ تاج الدين بن السبكي في شرحه : بأن الشافعي نص في غير هذا الموضع على أن من أكل مما لا يليه عالماً بالنهي كان عاصياً آثماً .

قال شيخ الإسلام ابن حجر بعد أن ذكر ذلك : ويدل على وجوب الأكل باليمين ورود الوعيد في الأكل بالشمال ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يأكل بشماله فقال: كل بيمينك فقال لا أستطيع قال: لا استطعت فما رفعها إلى فيه بعد.[٢٨١]

فإن قلت : إنه صلى الله عليه وسلم كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة وهو يعارض الأكل مما يلي . فالجواب : أنه يحمل الجواز على ما إذا علم رضا من يأكل معهم فإذا علم كراهة من يأكل معه لذلك لم يأكل إلا مما يليه . قال ابن بطال : وإنما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لأنه علم أن أحداً لا يتكره ذلك منه ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه بيده بل كانوا يتبادرون إلى نخامته فيتدلكون بها .

---

[٢٧٩] رواه الأئمة الستة .
[٢٨٠] رواه الأئمة الستة .
[٢٨١] فتح الباري ٥٢٢/٩.

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأنه كان يأكل وحده . وهو غير مسلَم لأن أنساً أكل معه صلى الله عليه وسلم .

غسل اليدين

وقرب إليه صلى الله عليه وسلم طعام فقالوا : ألا نأتيك بوضوء ؟ قال :إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة . رواه الترمذي

وفي رواية له : أنه صلى الله عليه وسلم قال: بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده . فيحمل الوضوء الأول على الشرعي والثاني على اللغوي .

الطعام الحار

و لم يكن صلى الله عليه وسلم يأكل طعاماً حاراً . فروى الطبراني في الصغير والأوسط من حديث بلال بن أبي هريرة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصحفة تفور فقال: إن الله لم يطعمنا ناراً .

وعند أبي نعيم في الحلية من حديث أنس مرفوعاً : كان يكره الكي والطعام الحار ويقول : عليكم بالبارد فإنه ذو بركة .

وعند البيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم .

صفة قدحه صلى الله عليه وسلم

وكان له صلى الله عليه وسلم قدح من خشب مضبب بحديد قال أنس لقد سقيته صلى الله عليه وسلم بهذا القدح الشراب كله : الماء والنبيذ والعسل.[٢٨٢]

وفي البخاري عن سهل بن سعد قال: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له وعند البخاري من حديث عاصم الأحوال قال: رأيت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة . قال: وهو قدح جيد عريض من نضار وقال: قال أنس: لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح أكثر من كذا

[٢٨٢] رواه مسلم والترمذي .

وكذا قال: وقال ابن سيرين: إنه كان فيه حلقة من حديد فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال أبو طلحة: لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه .

لم يأكل صلى الله عليه وسلم على خوان

و لم يأكل صلى الله عليه وسلم على خوان ولا أكل خبزاً مرققاً . رواه الترمذي

والخوان : المائدة ما لم يكن عليها طعام .

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم على الأكل ويذكر أنه يقسي القلب ذكره أبو نعيم.

ولذا قال الأطباء من أراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فإنه يضر جداً والصلاة بعد الأكل تسهل هضمه .

شربه صلى الله عليه وسلم

وأما شربه صلى الله عليه وسلم فقد كان يستعذب له الماء أي يطلب له الماء الحلو .

قالت عائشة:كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا . رواه أبو داود .

قال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف . وأما شرب الماء الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون . وليس في شرب الماء المالح فضيلة .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يشرب العسل الممزوج بالماء البارد .

قال ابن القيم : وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء فإن شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل حمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن قالت عائشة: كان أحب الشراب إليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد . رواه الترمذي .

وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصاً تارة وتارة مشوباً بالماء البارد لأن اللبن عند الحلب يكون حاراً وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد .

وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء في حائطه فقال صلى الله عليه وسلم: إن كان عندك ماء بات

في شنه وإلا كرعنا فقال: عندي ماء بات في شن فانطلق إلى العريش فسكب في قدح ثم حلب عليه من لبن داجن فشرب صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري .

قال ابن القيم: و لم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما إن كان الماء حاراً أو بارداً فإنه رديء جداً .

وكان صلى الله عليه وسلم يشرب قاعداً وكان ذلك عادته . رواه مسلم .

وفي رواية له أيضاً: أنه نهى عن الشرب قائماً . وفي رواية له أيضاً عن أبي هريرة: لا يشربن أحدكم قائماً فمن نسي فليستقىء .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قائم .

وكل هذه الأحاديث صحيحة ولا إشكال فيها ولا تعارض والصواب: أن النهي محمول على كراهة التنزيه وأما شربه صلى الله عليه وسلم قائماً فلبيان الجواز .

فإن قلت: كيف يكون الشرب قائماً مكروهاً وقد فعله صلى الله عليه وسلم ؟

فالجواب: أن فعله صلى الله عليه وسلم إذا كان بياناً للجواز لا يكون مكروهاً بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : فمن نسي فليستقىء فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب لمن شرب قائما أن يتقيأ لهذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسياً أو لا . قاله النووي . وقال المالكية : لا بأس بالشرب قائماً واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال: رأيت أبا بكر الصديق يشرب قائماً . ويقول مالك إنه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي أنهم كانوا يشربون قياماً .وأجابوا عن حديث أبي هريرة " لا يشربن أحدكم قائماً فمن نسي فليستقىء " بأن عبد الحق قال: في إسناده عمر بن حمزة العمري وهو ضعيف .

وقال بعض الشيوخ : الأظهر أنه موقوف على أبي هريرة . قال: والأظهر لي أن أحاديث شربه قائماً تدل على الجواز وأحاديث النهي تحمل على الاستحباب والحث على ما هو أولى وأكمل لأن في الشرب قائماً ضرراً ما فكره من أجله وفعله هو لأمنه منه، قال:

وعلى هذا الثاني يحمل قوله :فمن شرب فليستقئ ، على أن ذلك يحرك خلطاً يكون القيء دواءه ويؤيده النخعي : إنما نهى عن ذلك لداء البطن .

وقال ابن القيم : للشرب قائماً آفات عديدة منها : أنه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء ويترل بسرعة إلى المعدة فيخشى منه أن تبرد حرارتها ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قائماً فإذا فعله نادراً لم يضره .

وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول : إنه أروى وأمرأ وأبرأ . رواه مسلم . ومعنى تنفسه : إبانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود إلى الشرب .

وفي هذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة نبه صلى الله عليه وسلم على مجامعها بقوله : إنه أروى وأمرأ وأبرأ ، فأروى : من الري أشد رياً وأبلغه وأنفعه . وأبرأ: من البرء وهو الشفاء، أي يبرأ من شدة العطش ودائه لترده على المعدة الملتهبة دفعات ، تسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت عنه الثانية . وأيضاً :فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة فإنه أسلم وآمن غائلة من تناول جميع ما يروى دفعة واحدة فإنه يخاف منه أن يطفئ الحرارة الغريزية لشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدي ذلك إلى فساد المعدة والكبد وإلى أمراض رديئة .

معاملة الطفيلي

وكان صلى الله عليه وسلم إذا دعي لطعام وتبعه أحد أعلم به رب المترل فيقول : إن هذا تبعنا فإن شئت رجع.

من آداب الولائم

وكان صلى الله عليه وسلم يكرر على أضيافه وبعرض عليهم الأكل مراراً وفي حديث أبي هريرة في قصة شرب اللبن وقوله مراراً : اشرب ، فما زال يقول : اشرب حتى قال: والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً . رواه البخاري .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلاً .رواه البيهقي .

وفي حديث ابن عمرو مرفوعاً عند ابن ماجه والبيهقي: إذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وإن شبع حتى يفرغ القوم فإن ذلك يخجل جليسه وعسى أن يكون له في الطعام حاجة.
وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم . فدعا في مترل عبد الله بن بسر فقال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم . رواه مسلم . ودعا في مترل سعد فقال: أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . رواه أبو داود ، وسقاه آخر لبناً فقال:اللهم أمتعه بشبابه ، فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء، رواه ابن السني.

النوع الثاني: في لباسه صلى الله عليه وسلم وفراشه

قال البخاري: باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس . يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه أو لا يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر .
وقال القاضي عياض: كان صلى الله عليه وسلم قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس الشملة والكساء الخش والأردية والأزر ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر .
وقد روى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعاً: أن من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاء ثوبه ورضاه باليسير .
وله أيضاً من حديث جابر: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخة ثيابه فقال: أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه؟

العمامة

لم تكن عمامته ﷺ بالكبيرة التي يؤذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال أصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطاً بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فإنها تقي العنق من الحر والبرد وهو أثبت لها عند ركوب الخيل والإبل والكر والفر .

طول الكم

و لم يكن صلى الله عليه وسلم يطول أكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه إلى الرسغ لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصره صلى الله عليه وسلم عن هذا فتبرز للحر والبرد وقد روي عن أسماء بنت يزيد قالت: كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ . رواه الترمذي .

طول الإزار

وكان ذيل قميصه وردائه إلى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد و لم يقصر عن عضلة ساقيه فيتأذى بالحر والبرد . أشار إليه في زاد المعاد .

وأخرج الترمذي عن الأشعث بن سليم قال: سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول : ارفع إزارك فإنه أتقى وأنقى فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إنما هي بردة قال: أما لك في أسوة ؟ فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه . وأخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال: رآني النبي صلى الله عليه وسلم أسبلت إزاري فقال: يا ابن عمر كل شيء لمس الأرض من الثياب فهو في النار . واعلم أن هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق.[٢٨٣] وقد أخرج أصحاب السنن إلا الترمذي ــ واستغربه ــ وابن أبي شيبة من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة . فبين في هذه الرواية أن الحكم ليس خاصاً بالإزار وإن جاء في أكثر طرق الأحاديث بلفظ الإزار .

قال الطبري : إنما ورد الخير بلفظ الإزار لأن أكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الأزر والأردية فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الإزار في النهي .

لباس الخيلاء

قال ابن القيم :وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج وعمائم كالأبراج فلم يلبسها صلى الله عليه وسلم هو ولا أحد من أصحابه وهي مخالفة لسنته وفي جوازها

[٢٨٣] عن فتح الباري ٢٥٧/١٠.

نظر فإنها من جنس الخيلاء . لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل إلى جر الذيل الممنوع منه . ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعاً (بينما رجل يمشي تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)[٢٨٤]

وفي الطبراني وأبي داود (إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله إليه فمقته فأمر الأرض فأخذته).

وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك أم سلمة رضي الله عنها فأخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر : فقالت أم سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن فقال: يرخين شبراً فقالت : إذاً تنكشف أقدامهن قال : فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه .

الخلاصة في طول الإزار

وحاصل ما ذكر في ذلك :أن للرجال حالين حال استحباب : وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق وحال جواز : وهو إلى الكعبين . وكذلك للنساء حالان : حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر . وحال جواز بقدر ذراع.[٢٨٥] وأن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء وإن كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه .

التحقيق في طول ثياب النساء

قال العراقي في شرح الترمذي: الذراع الذي رخص للنساء فيه هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين أو من الحد المستحب وهو أنصاف الساقين أو حده من أول ما يمس الأرض ؟

الظاهر أن المراد الثالث: بدليل حديث أم سلمة الذي رواه أبو داود والنسائي "واللفظ له " وابن ماجه قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر المرأة من ذيلها ؟ قال:

---

[٢٨٤] هو في البخاري برقم ٥٧٨٩.
[٢٨٥] عن فتح الباري ٢٥٩/١٠.

شبراً قالت: إذاً ينكشف عنها قال: فذراع لا تزيد عليه فظاهره: أن لها أن تجر على الأرض منه ذراعاً .

قال: والظاهر أن المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران لما في سنن ابن ماجه عن ابن عمر قال: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمهات المؤمنين شبراً ثم استزدنه فزادهن شبراً فدل على أن الذراع المأذون فيه شبران وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم .

وإنما جاز للنساء لأجل الستر لأن المرأة كلها عورة إلا ما استثني .

لباس الرأس

وقد كان له عليه السلام عمامة تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطئة "اللاصقة"

والقلانس: جمع قلنسوة وهي غشاء مبطن يستر به الرأس .

وقال ابن هشام: هي التي يقول لها العامة الشاشية وفي المحكم: هي ملابس الرؤوس معروفة وقال: أبو هلال العسكري: هي التي تغطى بها العمائم وتستر من الشمس والمطر كأنها عنده رأس البرنس .

وروى الترمذي عن جابر رضي الله قال:(دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء) وفي رواية لأنس عند البخاري (دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر) وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس .

ويجمع بينهما: بأن العمامة السوداء كانت فوق المغفر .

وجمع بينهما القاضي عياض: بأن أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم بعد ذلك كان على رأسه العمامة بعد إزالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن أبيه (خطب الناس وعليه عمامة سوداء) لأن الخطبة إنما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة .

وروى ابن أبي شيبة عن علي قال: عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال: إن الله أمدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمة وقال: إن العمامة حاجز بين المسلمين وبين المشركين .

قال عبد الحق الإشبيلي: وسنة العمامة أن يرخي طرفها ويتحنك به فإن كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة فيها وقيل: لأنها كذلك عمائم الشياطين .

وجاءت الأحاديث في إرسال طرفها على أنواع: منها ما تقدم أنه أرسل طرفها على منكب علي ومنها: أن عبد الرحمن بن عوف قال: عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي. ذكره أبو داود

أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم

وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القميص كما في الشمائل للترمذي من حديث أم سلمة قالت: (كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص)[٢٨٦]

وعن أنس قال: كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطناً قصير الطول والكمين . رواه الدمياطي .

وعن أنس بن مالك قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة. رواه الترمذي[٢٨٧] والحبرة : ضرب من البرود فيه حمرة .

وعن أبي رمثة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران. رواه الترمذي .

وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين . رواه الترمذي

وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسه ويقول:(إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد) رواه الشيخان .

بحث في الجمال

وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم (إن الله جميل يحب الجمال)[٢٨٨]

وفي الحديث الآخر (إن الله نظيف يحب النظافة)[٢٨٩]

---

[٢٨٦] رواه أبو داود في اللباس والنسائي في الزينة .
[٢٨٧] ورواه البخاري ومسلم وأبو داود
[٢٨٨] أخرجه مسلم والترمذي .
[٢٨٩] أخرجه ابن عدي عن ابن عمر مرفوعاً .

وفي حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: (ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال: ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه) رواه أحمد .

وفي السنن: (إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده).

فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده فإنه من الجمال الذي يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ولأجل محبته تعالى للجمال أنزل على عباده لباساً يجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم فقال تعالى:(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير)[٢٩٠] وقال في أهل الجنة:(ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)[٢٩١] فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير.

والمقصود من الحديث أن الله يحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة وجوارحه بالطاعة وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث وغير ذلك .

لبس الأحمر من الثياب

وعن جابر بن سمرة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان[٢٩٢] فجعلت أنظر إليه صلى الله عليه وسلم وإلى القمر وعليه حلة حمراء فإذا هو أحسن عندي من القمر.[٢٩٣]

وعن البراء بن عازب قال: ما رأيت أحداً من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الترمذي .

حكم لبس الثوب الأحمر

قال ابن القيم: وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتاً ولا يخالطها غيرها وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمانية وهي معروفة بهذا

---

[٢٩٠] سورة الأعراف (٢٦)
[٢٩١] سورة الإنسان (١١)
[٢٩٢] أي مقمرة منيرة لا ظلمة فيها ولا غيم .
[٢٩٣] رواه الدارمي والترمذي .

الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط وإلا فالأحمر البحت ينهى عنه أشد النهي وفي صحيح البخاري:(أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر[٢٩٤] الحمر)[٢٩٥]

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال:(رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال: إن هذا لباس الكفار فلا تلبسهما) .

وقال النووي: اختلف العلماء في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر فأباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الإمام الشافعي وأبو حنيفة ومالك ولكنه قال: غيرها أفضل منها . وفي رواية عنه أجاز لبسها في البيوت وأفنية الدور وكرهه في المحافل والأسواق وغيرها .

وقال جماعة من العلماء : هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لأنه ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لبس حلة حمراء وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج أو العمرة .

صفة إزاره صلى الله عليه وسلم

وأما صفة إزاره صلى الله عليه وسلم فعن أبي موسى الأشعري قال: أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . رواه البخاري .

وعن عروة: أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر .

وعن عروة أيضاً: أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه إلى الوفد رداء أخضر في طول أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر .

وعن يزيد بن أبي حبيب أنه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الإزار بين يديه ويرفعه من وراءه . وعن ابن عباس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو سرته ورأيت عمر يأتزر فوق سرته . رواها كلها الدمياطي .

لبس الطيلسان

وعن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت :هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند عائشة

[٢٩٤] قال الطبري: هي وعاء يوضع على سرج الفرس أو رحل البعير من الأرجوان . وقيل كانت من مراكب العجم من ديباج وحرير .
[٢٩٥] رواه البخاري برقم ٥٨٤٩

فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها .[٢٩٦]

وفيه :جواز لبس ما له فرجان وأنه لا كراهة فيه وأن المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه أو أكثره منه وأنه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فإنه يحرم كل جزء منهما ، قاله النووي .

قيل : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه إلا طيب ، كان آية ذلك في بدنه الشريف أنه لا يتسخ له ثوب ، فما اتسخ له ثوب قط .

الخاتم

وأما الخاتم ففي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ورق فكان في يده ثم كلن في يد أبي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس . وفيهما أيضاً عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه .

وأخرج أحمد والنسائي والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في يد رجل خاتماً من حديد فقال مالي أجد منك ريح الأصنام ثم قال له : اتخذه من فضة ولا تزد على مثقال .

فص الخاتم

وأما فص خاتمه صلى الله عليه وسلم فروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماًمن فضة فصه منه. أخرجه البخاري .

وفي صحيح مسلم أن خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشياً.

قال النووي : قال العلماء:يعنى حجراً حبشياً أي فصاً من جزع أو عقيق فإن معدنهما بالحبشة واليمن . فإن صح أنهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان أحدهما فصه عقيق والآخر فصه منه .

[٢٩٦] رواه مسلم في كتاب اللباس من صحيحه برقم (١٠) .

نقش الخاتم

وأما نقش خاتمه صلى الله عليه وسلم ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صنع خاتماً من ورق نقش فيه محمد رسول الله . وقال للناس :إني اتخذت خاتماً من فضة ونقشت فيه :محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه.

التختم باليمين أو اليسار

ويجوز التختم في اليمين واليسار واختلف العلماء في أفضلهما فقيل :اليسار وهو نص الإمام أحمد في رواية صالح قال: التختم في اليسار أحب إلي وهو مذهب الإمام مالك ويروى أنه كان يلبسه في يساره وكذلك الإمام الشافعي . وفي صحيح مسلم عن أنس قال: (كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر في يده اليسرى).

وفي سنن أبي داود (عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم يتختم في يساره) .

ورجحت طائفة التختم في اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروى حماد بن سلمة قال : رأيت ابن أبي رافع يتختم في يمينه فسألته عن ذلك فقال: رأيت عبد الله بن جعفر يتختم في يمينه وقال : كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وقال : قال محمد _ يعني البخاري _هذا أصح شيء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب .

قال الحافظ ابن رجب : وقد جاء التصريح بأن تختمه صلى الله عليه وسلم في يساره كان آخر الأمرين في حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله بن عطاء عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم إنه حوله إلى يساره .

ونص أحمد : أنه يكره التختم في السبابة والوسطى . وروي عن علي أنه قال : (نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتختم في هذه أو هذه وأومأ إلى السبابة والوسطى)[٢٩٧]

لبس السراويل

وأما السراويل فاختلف هل لبسها النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فجزم بعض العلماء بأنه صلى الله عليه وسلم لم يلبسه . لكن قد ورد في حديث عند أبي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جداً عن أبي هريرة قال : دخلت السوق يوماً مع رسول الله صلى

[٢٩٧] رواه وأبو داود والترمذي .

الله عليه وسلم فجلس إلى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتزن وأرجح فقال الوزان إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد فقال أبو هريرة فقلت له : كفى بك من الوهن والجفاء في دينك ألا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب إلى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه وقال : يا هذا إنما تفعل هذا الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم فوزن فأرجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل . قال أبو هريرة : فذهبت لأحمله عنه فقال : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم قال: قلت يا رسول الله ، وإنك لتلبس السراويل ؟ قال : أجل ، في السفر والحضر وبالليل والنهار فإني أمرت بالستر فلم أجد شيئاً أستر منه . لكن قد صح شراء النبي صلى الله عليه وسلم له.

وفي الهدي : والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم إنما اشتراه ليلبسه . وقد روي أنه لبس السراويل وكانوا يلبسونه في زمانه وبإذنه.

لبس الخف

وأما الخف : فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين ،غير منقوشين ، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما .

لبس النعل

وأما نعله صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن قتادة عن أنس (أن نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان) والقبالان : زمام النعل وهو السير الذي يكون بين الإصبعين وعن عبيد بن جريج أنه قال لابن عمر : رأيتك تلبس النعال السبتية قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها أن ألبسها[٢٩٨] وعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره.[٢٩٩]

وعن أبي هريرة ، قال صلى الله عليه وسلم : إذا تنعل أحدكم فليبدأ باليمين فإذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمين أولهما تنعل وآخرهما تترع.[٣٠٠]

---

[٢٩٨] أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

[٢٩٩] رواه الشيخان والأربعة الإمام أحمد .

[٣٠٠] رواه البخاري وأبو داود والترمذي .

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى أن ينتعل الرجل قائماً . رواه أبو داود والترمذي .

فراشه عليه السلام

وأما فراشه صلى الله عليه وسلم ، فقد كان صلى الله عليه وسلم آخذاً من ذلك بما تدعو ضرورته إليه وترك ما سوى ذلك .

وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم :(فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان) . قال العلماء : معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف للشيطان لأنه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه .

وعن عائشة :(إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام أدماً حشوه الليف) رواه الشيخان .

وروى البيهقي من حديثها قالت : دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت ، يا رسول الله ، فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلي بهذا ، فقال : رديه يا عائشة فو الله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة . وعند عبد الله بن مسعود : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه .رواه ابن ماجه والترمذي .

النوع الثالث: في سيرته صلى الله عليه وسلم في نكاحه

قد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ من الجماع بالأكمل مما تحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس وتحصل به مقاصده التي وضع لأجلها .

مقاصد النكاح

فإن الجماع في الأصل وضع لثلاثة أشياء هي مقاصده الأصلية .

أحدهما: حفظ النفس ودوام النوع الإنساني إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها إلى هذا العالم.

الثاني: قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفائدة التي في الجنة . وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أسباب حفظ الصحة .

من منافعه

ومن منافعه: غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دنياه وآخرته وينفع المرأة و لم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما في حديث أنس عند الطبراني في الأوسط والنسائي في سننه : حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة . أي لمناجاته فيها ربه .

فمحبة النساء والنكاح من كمال الإنسان هذا خليل الله إبراهيم إمام الحنفاء كان عنده سارة أجمل نساء العالمين أحب هاجر وتسرى بها .

قوته صلى الله عليه وسلم في النكاح

قال أنس: (كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل وهن إحدى عشرة قلت لأنس: أو كان يطيقه ؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين)[٣٠١] وكذا رواه البخاري من طريق سعيد بن أبي عروبة أيضاً بلفظ (وله يومئذ تسع نسوة)[٣٠٢] وقد جمع بينهما ابن حبان في صحيحه بأن حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في قوله : إن الأولى كانت في أول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية في آخر الأمر حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة .

وعن صفوان بن سليم مرفوعاً أتاني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع . رواه ابن سعد .

من حكم تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم

ولما كان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في الجماع وأعطي الكثير منه أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره .

قال ابن عباس: تزوجوا فإن أفضل هذه الأمة أكثرها نساء. يشير إليه صلى الله عليه وسلم وقيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام فإنه كان أكثر نساء .

---

[٣٠١] رواه البخاري من طريق قتادة برقم ٢٦٨

[٣٠٢] رواه البخاري برقم ٢٨٤

ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : تزوجوا فإن خيرنا أكثرنا نساء .
وقال بعض العلماء: لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النساء أكثر مما يستبيح العبد وجب أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الأمة يستبيح من النساء أكثر مما تستبيحه الأمة .
قالوا: ومن فوائد ذلك زيادة التكليف بهن مع تحمل أعباء الرسالة فيكون ذلك أعظم لمشاقه وأكثر لأجره ومنها : أن النكاح في حقه عبادة ومنها : نقل محاسنه الباطنة وقد تزوج صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وكان أبوها في ذلك الوقت عدوه وصفية وقد قتل أباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن أحواله على أنه أكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن إلى آبائهن وقرابتهن فكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطناً .

الحض على الزواج

وقد رغب صلى الله عليه وسلم في النكاح . فروى أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار مرفوعاً:(تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم)
وأرشد صلى الله عليه وسلم من لم يستطع الباءة إلى الصوم لأن كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده المرء من الحرارة القوية التي تبعثه على النكاح وخص الشباب في قوله: (يا معشر الشباب) لأن للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم . وقد ظهر لك أن النكاح أعظم في الأجر والثواب من الصيام فإنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر أولاً بالصوم إنما به عند عدم الطول إلى النكاح وإذا كان النكاح ينوى به التناسل لتكثير هذه الأمة المحمدية فهو بلا شك أفضل .
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأطأ النساء ومالي إليهن حاجة رجاء أن يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة . ذكره ابن أبي جمرة .
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا رهبانية في الإسلام . وهي ترك النساء ولو كان تركهن أفضل لشرع ذلك في ديننا إذ هو خير الأديان .

خصوصية سليمان عليه السلام

وقد قال سليمان عليه السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة. رواه البخاري .

وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام إذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امرأة في ليلة واحدة فأظهر الله تعالى قدرته بأن أعطى لسليمان عليه السلام القوة على ذلك فكان فيها معجزة وإظهار قدرة وإبداء حكمة رداً على من ربط الأشياء بالعوائد فيقول : لا يكون كذا إلا كذا ولا يتولد كذا إلا من كذا فألقى الله في صلب سليمان ماء مائة رجل .

وكان له ثلاثمائة وألف سرية وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم إذ سيدنا محمد لم يعط إلا ماء أربعين رجلاً و لم يكن له غير عشر نسوة لأن مرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم في الأفضلية لا يساويه فيها أحد وسليمان تمنى أن يكون ملكاً فأعطي ذلك وأعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك فكان نساؤه من جنس ملكه.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير أن يكون نبياً ملكاً أبى ذلك واختار أن يكون نبياً عبداً فأعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه صلى الله عليه وسلم اختار الفقر والعبودية فأعطي الزائد لخرق العادة في النوع الذي اختار وهو الفقر والعبودية فكان صلى الله عليه وسلم يربط على بطنه الأحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينقصه شيئاً والناس أبداً إذا أخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو أبلغ في المعجزة .

النوع الرابع: في نومه صلى الله عليه وسلم

كان ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني فيقوم فيستاك ويتوضأ و لم يكن يأخذ من النوع فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه وكان ينام على جانبه الأيمن ذاكراً الله حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن في شأنه كله وليرشد أمته لأن في الاضطجاع على الشق الأيمن سراً وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر فإذا نام الرجل على الجانب الأيسر استثقل نوماً لأنه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فإذا نام على الشق الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله إليه .

قالوا: وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه فتنصب المواد فيه . وأما قول القاضي عياض في الشفاء: وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً على قلة النوم ففيه شيء لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه فسواء كان نومه على الجانب الأيمن أو الأيسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به إنما تستقيم في حق من ينام قلبه وحينئذ فالأحسن تعليله بحب التيامن أو بقصده التعليم . وأردأ النوم النوم على الظهر وأردأ منه أن ينام منبطحاً على وجهه وفي سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال: قم أو اقعد فإنها نومة جهنمية .

فراشه صلى الله عليه وسلم

وكان صلى الله عليه وسلم ينام على النطع[٣٠٣] تارة وعلى الفراش تارة وعلى الحصير تارة وعلى الأرض تارة وكان فراشه أدماً[٣٠٤] حشوه ليف . وكان له مسح[٣٠٥] ينام عليه .[٣٠٦]

الدعاء قبل النوم

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه وضع كفه تحت خده الأيمن وقال: رب قني عذابك يوم تبعث عبادك[٣٠٧] وفي رواية : يوم تجمع عبادك.[٣٠٨]

وعن حذيفة كان صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أموت وأحيا[٣٠٩]

وقالت عائشة: كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرأ:(قل هو الله أحد) و(قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما وجهه ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده . يصنع ذلك ثلاث مرات.[٣١٠]

وقال أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا وكم ممن لا كافي له ولا مؤوي.[٣١١]

---

[٣٠٣] ما اتخذ من الجلد .
[٣٠٤] الأدم: الجلد المدبوغ .
[٣٠٥] فراش خشن غليظ.
[٣٠٦] رواه الترمذي .
[٣٠٧] رواه أحمد والترمذي واللفظ له .
[٣٠٨] رواها الترمذي .
[٣٠٩] رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي .
[٣١٠] رواه الشيخان .
[٣١١] رواه مسلم وغيره .

لا ينام قلبه صلى الله عليه وسلم

وكان صلى الله عليه وسلم لا تنام عينه ولا ينام قلبه . رواه البخاري من حديث عائشة قاله لها عليه السلام لما قالت له: أتنام قبل أن توتر.

وإنما كان صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه لأن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن وكمال هذه الحالة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن أحيا الله قلبه بمحبته واتباع رسوله وقد جمع العلماء بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى أيقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير .[٣١٢]

فقال النووي: له جوابان أحدهما: أن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لأنها نائمة والقلب يقظان والثاني: أنه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الأغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا أي قصة النوم عن الصلاة . قال: والصحيح المعتمد هو الأول والثاني ضعيف .

[٣١٢] أخرجه الشيخان وهو عند البخاري برقم ٣٤٤

المقصد الرابع

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته

وما خص به من خصائص آياته وبدائع كراماته

وفيه فصلان

الفصل الأول: في معجزاته

تعريف المعجزة وشروطها

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم السلام. وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها فعلم أن لها شروطاً :

- أحدهما: أن تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء من بين الأصابع .
- الثاني: أن تكون مقرونة بالتحدي .
- أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة .

وقد خرج بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة للولي . وخرج بقيد المقارنة المتأخر عن التحدي نحو ما روي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الأخبار . وخرج أيضاً بأمن المعارضة السحر المقرون بالتحدي فإنه يمكن معارضته بالإتيان بمثله من المرسل إليهم .

- أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها .

معجزة أم آية

فإن قلت أي الاسمين أحق وأولى بما أتت به الأنبياء هل لفظ (المعجزة) أو لفظ (الآية)أو (الدليل) ؟

فالجواب: إن كبار الأئمة يسمون معجزات الأنبياء : دلائل النبوة وآيات النبوة و لم يرد أيضاً في القرآن لفظ (المعجزة) بل ولا في السنة أيضاً وإنما فيهما لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)كما في قصة موسى (فذانك برهانان من ربك)[٣١٣] في العصا واليد وأما لفظ الآيات فكثير كقوله:(وإذا جاءتهم آية)[٣١٤]

[٣١٣] سورة القصص (٣٢)
[٣١٤] سورة الأنعام (١٢٤)

دلائل النبوة

إن دلائل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والأخبار بظهور معجزاته شهيرة .
فمن دلائل نبوته : ما وجد في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المترلة من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدي أيام مولده ومبعثه من الأمور العجيبة الغريبة القادحة في سلطان الكفر كقصة الفيل وخمود نار فارس وسقوط شرفات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة .

من الدلائل : أميته صلى الله عليه وسلم

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أنه كان أميًالا يخط كتاباً بيده ولا يقرؤه ولد في قوم أميين ونشأ بين أظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين و لم يخرج في سفر ضارباً إلى عالم فيعكف عليه فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية وقد كان ذهبت معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها و لم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها وسقيمها إلا القليل .

من الدلائل : القرآن

ومن ذلك القرآن العظيم فقد تحدى بما فيه من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه .
قال بعض العلماء: إن الذي أورده صلى الله عليه وسلم على العرب من الكلام أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة . وقد قطع القول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به فقال:(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)[٣١٥] ثم قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[٣١٦]
وقد ورد من الأخبار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة وإقرارهم بإعجازه فعن عكرمة في الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة : أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي، فقرأ عليه:

[٣١٥] سورة البقرة (٢٤)
[٣١٦] سورة الإسراء (٨٨)

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)[٣١٧] إلى آخر الآية. قال : أعد، فأعاد صلى الله عليه وسلم ،فقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه : والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى.[٣١٨]

وجوه إعجاز القرآن

إن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر لكن قال بعضهم : قد اختلف العلماء في إعجازه على ستة أوجه :

أحدها :أن وجه إعجازه هو الإيجاز والبلاغة مثل قوله:(ولكم في القصاص حياة)[٣١٩] فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير .

وحكى أبو عبيد: أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ:(فاصدع بما تؤمر)[٣٢٠] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام . وسمع آخر رجلاً يقرأ:(فلما استيأسوا منه خلصوا له نجياً)[٣٢١] قال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

والثاني :أن إعجازه هو الوصف الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة في نظمهم ونثرهم ولذلك تحيرت عقولهم و لم يهتدوا إلى مثله في حسن كلامهم فلا ريب أنه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه فإنه حجة الله الواضحة ودليله القاهر وبرهانه الواضحة .

وحكي أيضاً أن ابن المقفع وكان أفصح لأهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاماً وجعله مفصلاً وسماه سوراً فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى:(وقيل يا أرض ابلعي

---

[٣١٧] سورة النحل ،(٩٠).
[٣١٨] رواه البيهقي مرسلاً .
[٣١٩] سورة البقرة (١٧٩)
[٣٢٠] سورة الحجر (٩٤)
[٣٢١] سورة يوسف (٨٠)

ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر)[٣٢٢] فرجع ومحى ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر .

والثالث : أن وجه إعجازه هو أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لا يزال غضاً طرياً وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وهو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به.[٣٢٣]

والرابع:أن وجه إعجازه هو ما فيه من الأخبار بما كان مما علموه وما لم يعلموه فإذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الأنبياء مع أممها والقرون الماضية في دهرها .

والخامس:أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب والأخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود:(قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ثم قال:(ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم)[٣٢٤] فما تمناه أحد منهم

السادس :أن وجوه إعجازه هو كونه جامعاً لعلوم كثيرة لم تتعاط العرب فيها الكلام ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الأولين والآخرين وحكم المتخلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين .

معجزات أخرى

وأما ما عدا القرآن من معجزاته صلى الله عليه وسلم كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع للتحدي به ومنه ما وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحد .

---

[٣٢٢] سورة هود (٤٤)
[٣٢٣] رواه الترمذي .
[٣٢٤] سورة البقرة (٩٤-٩٥)

شمول معجزاته صلى الله عليه وسلم وتنوعها

إذا تأملنا معجزاته صلى الله عليه وسلم وجدناها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل إلى غير ذلك مما لو عد لطال كالرمي بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع في الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وحنين الجذع وانشقاق القمر وما سوى ذلك من المعجزات .

تقسيم المعجزات حسب زمانها

ثم إن حاصل معجزاته وباهر آياته وكراماته صلى الله عليه وسلم كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع إلى ثلاثة أقسام:

ماض : وجد قبل كونه فقضى بمجده .

ومستقبل : وقع بعد مواراته في لحده .

وكائن معه من حين حمله ووضعه إلى أن نقله الله إلى محل فضله وموطن جمعه.

فأما القسم الأول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره إلى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الأول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وإرهاص لرسالته قال الإمام فخر الدين الرازي: ومذهبنا: أنه يجوز تقديم المعجزة تأسيساً وإرهاصاً قال: ولذلك قالوا: كانت الغمامة تظله يعني في سفره قبل النبوة خلافاً للمعتزلة القائلين بأنه لا يجوز أن تكون المعجزة قبل الإرسال .

وقد تقدم أول هذا المقصد:أن الذي عليه جمهور أئمة الأصول وغيرهم: أن هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تأسيساً للرسالة وكرامة للرسول صلى الله عليه وسلم.

وأما القسم الثاني: وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جداً إذ في كل حين يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستعانة به وغير ذلك مما يأتي في المقصد الأخير .

وأما المقصد الثالث: وهو ما كان معه من حين ولادته إلى وفاته فكالنور الذي خرج معه حتى أضاء له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى ومسح الطائر على

فؤاد أمه حتى لم تجد ألماً لولادته والطواف في الآفاق وكانشقاق القمر عند اقتراحه عليه وغير ذلك مما أمده الله تعالى به من المعجزات .

معجزة انشقاق القمر

أما معجزة انشقاق القمر فقد قال تعالى :(اقتربت الساعة وانشق القمر)[٣٢٥]

واعلم أن القمر لم ينشق لأحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله صلى الله عليه وسلم فإن كفار قريش لما كذبوه و لم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجادها دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم في دعواه الوحدانية لله تعالى وأنه منفرد بالربوبية وأن هذه الآلهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وأن العبادة إنما تكون لله وحده لا شريك له .

ففي الصحيحين: من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما .

ومن حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا.[٣٢٦]

منكرو معجزة انشقاق القمر

وقد أنكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بأن الأجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء إلى غير ذلك .

وجواب هؤلاء: إن كانوا كفاراً أن يناظروا أولاً على ثبوت دين الإسلام فإذا تمت اشتركوا مع غيرهم ممن أنكر ذلك من المسلمين ومتى سلَم المسلم بعض ذلك دون بعض لزم التناقض . وأيضاً لا سبيل إلى إنكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة وإذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم .

---

[٣٢٥] سورة القمر (١)

[٣٢٦] رواه الشيخان ورقمه عند مسلم ٢٨٠٠

وقد أجاب القدماء عن ذلك فقال أبو إسحاق الزجاج في (معاني القرآن): أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا إنكار للعقل فيه لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه .

تسبيح الحصى : حديثه ضعيف

قال الحافظ بن حجر : قد اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى . ففي حديث أبي ذر قال: تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن. أخرجه البزار و الطبراني في الأوسط .

تسبيح الطعام

وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود : كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام.[٣٢٧]

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح . رواه القاضي عياض في الشفاء ونقله عنه الحافظ في فتح الباري .

تسليم الحجر

ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم :خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن). وقد اختلف في هذا الحجر فقيل : هو الحجر الأسود وقيل : حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون : إنه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . رواه البار وأبو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له . رواه البيهقي .

[٣٢٧] هذا لفظ الترمذي ولفظه عند البخاري (ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) ورقمه ٣٥٧٩.

ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم . عن أنس قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال :اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان . رواه أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم .

كلام الشجر

ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله عليه وسلم . أخرج البزار وأبو نعيم من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أوحي إلي جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بما أعرف أنك رسول الله ؟ قال : إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟

قال : نعم فدعاه رسول الله فجعل يترل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :ارجع فعاد فأسلم الأعرابي . رواه الترمذي وصححه .

حنين الجذع

ومن ذلك : حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم .

وقد روي حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع . فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل من الأنصار : ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم فجعلوا له منبراً فلما كلن يوم الجمعة رفع إلى المنبر فصاحت النخلة فنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن قال : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها.[٣٢٨]

[٣٢٨] رواه البخاري برقم ٣٥٨٤ .

معجزات كلام الحيوانات

وأما كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم :

فمنها : سجود الجمل وشكواه إليه صلى الله عليه وسلم . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنه كلن لنل جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار : يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وإنا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه ك يا رسول الله : هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ؟ ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .رواه أحمد والنسائي .

ومنها: قصة كلام الذئب وشهادته له بالرسالة . فقد جاء حديث قصة كلام الذئب في عدة طرق من حديث أبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي سعيد الخدري .

فأما حديث أبي سعيد فرواه الإمام أحمد بإسناد جيد ولفظه: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال: ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي فقال الراعي: يا عجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك : محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما سبق قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال: للأعرابي : أخبرهم فأخبرهم .

ومنها: حديث الحمار : أخرج ابن عساكر عن أبي منظور قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حماراً أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اسمك قال : يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لا يركبهم إلا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك لقد كنت قبلك لرجل يهودي كنت أتعثر به عمداً وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم ابن التيهان فتردى فيها جزعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره .

ومنها: حديث الضب وهو مشهور على الألسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة ولكنه حديث غريب ضعيف قال المزي: لا يصح إسناداً ولا متناً وذكره القاضي عياض في الشفاء وقد روي من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل عن أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال من هذا قالوا: نبي الله فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب. وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال: من تعبد ؟ قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال: فمن أنا قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فأسلم الأعرابي .

والحديث بطوله مطعون فيه وقيل إنه موضوع . لكن معجزاته صلى الله عليه وسلم فيها ماهو أبلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعاً خصوصاً وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع .

ومن ذلك: حديث الغزالة روى حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضاً . وذكره القاضي عياض في الشفاء ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف : يا رسول الله ثلاث مرات فالتقت فإذا ظبية مشدودة في وثاق وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس فقال: ما حاجتك ؟ قالت: صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال: وتفعلين ؟ فقالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة ؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

ومن ذلك داجن البيوت وهو ما ألفها من الحيوان كالطير والشاة وغيرها روى قاسم بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجيء و لم يذهب وإذا خرج رسول الله جاء وذهب . وذكره القاضي عياض بسنده[٣٢٩]

معجزة نبع الماء

وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المياه فقال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي و لم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه .

[٣٢٩] أخرجه أحمد والبزار وغيرهما .

وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود .
فأما حديث أنس ففي الصحيحين قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم[٣٣٠] وفي لفظ البخاري: كانوا ثمانين رجلاً[٣٣١] وفي لفظ له: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال: فقلنا لأنس كم كنتم قال: كنا ثلاثمائة[٣٣٢]

وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه الأربعة و لم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال للقوم: هلموا إلى الشراب قال أنس: بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعاً .

معجزة تفجير الماء

ومن ذلك تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته .
روى مسلم في صحيحه عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً[٣٣٣] أي بساتين وعمراناً وهذا أيضاً من معجزاته صلى الله عليه وسلم .
وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع مما رواه البخاري[٣٣٤] في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فترحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله

---

[٣٣٠] رقمه في البخاري ٣٥٧٣
[٣٣١] رقمه في البخاري ٣٥٧٥
[٣٣٢] رقمه في البخاري ٣٥٧٢
[٣٣٣] رواه مسلم في كتاب الفضائل رقم (١٠)
[٣٣٤] عند البخاري من حديث البراء برقم ٤١٥١.

صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء: وأتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة: فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وقال في رواية البراء: ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال: دعوها ساعة .

وعن أنس قال: أصاب الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي أو غيره وقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادعو الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفجرت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً و لم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود ز وفي رواية قال : اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس .[٣٣٥]

معجزات تكثير الطعام

ومن ذلك : تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم .

عن جابر في غزوة الخندق قال :فانكفأت[٣٣٦] إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء فإني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن[٣٣٧] فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم: يا أهل الخندق إن جابراً صنع سؤراً[٣٣٨] فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك فيه ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال : ادع

[٣٣٥] رواه البخاري ومسلم .
[٣٣٦] انقلبت .
[٣٣٧] سمينة .
[٣٣٨] طعاماً يدعو إليه الناس .

خابزة فلتخبز معك واقدحي[٣٣٩] من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط[٣٤٠] كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو.[٣٤١]

وعن أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال: نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجئ بكف ذرة ويجئ الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة . رواه مسلم .

وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزبيب فعمدت أمي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً فجعلته في تور فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضعه ثم قال: اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً رجالاً سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاض بأهله قيل لأنس: عدد كم كانوا ؟ قال: زهاء ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة بعد طائفة حتى أكلوا كلهم قال لي: يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.[٣٤٢]

وعن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمناً فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعصرتيها ؟ قالت: نعم قال: لو تركتيها ما زال قائماً.[٣٤٣]

معجزات إبراء ذوي العاهات

---

[٣٣٩] اغرفي .
[٣٤٠] تغلي ويسمع غطيطها .
[٣٤١] رواه البخاري برقم ٤١٠٢ ومسلم في كتاب الأشربة برقم ١٤١.
[٣٤٢] رواه البخاري ومسلم .
[٣٤٣] رواه مسلم في كتاب الفضائل برقم ٨ .

ومن ذلك : إبراء ذوي العاهات وإحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة .

روى البيهقي في الدلائل : أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلاً إلى الإسلام فقال : لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم : أرني قبرها فأراه إياه فقال صلى الله عليه وسلم : يا فلانة فقالت : لبيك وسعديك . فقال صلى الله عليه وسلم : أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا ؟ فقالت : لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ورأيت الآخرة خيراً لي من الدنيا .

وروى الطبري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً قال: سألت ربي عزوجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها.

وعن ابن عباس قال: إن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله فقالت يا رسول الله إن ابني به جنون وإنه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى.[٣٤٤]

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن قتادة قال : كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال : اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً .

وفي البخاري في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال: أين علي بن أبي طالب فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع.[٣٤٥]

وعند الطبراني من حديث علي قال: فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر. وأصيب سلمة يوم خيبر أيضاً بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط . رواه البخاري .

---

[٣٤٤] رواه الدارمي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي .
[٣٤٥] رواه البخاري برقم (٤٢١٠)

الفصل الثاني

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات

وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات البينات

فضله صلى الله عليه وسلم

وقد خص الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأشياء لم يعطها لنبي قبله وما خص نبي بشيء إلا وكان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فإنه أوتي جوامع الكلم وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته .

قال العلامة ابن مرزوق: إن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فإنما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم و لم يزل نوره قائماً و لم ينقص منه شيء .

وإنما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لأنه شمس فضل وهم كواكب تلك الشمس فالكواكب ليست مضيئة بالذات وإنما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء قبل وجوده صلى الله عليه وسلم كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهرعلى أيدي الرسل عليهم السلام فإنما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شيء .

وأول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله خليفة وأمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائف في الأرض إلى أن وصل زمان وجود جسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطي صلى الله عليه وسلم مثلها .

مقارنة مع الأنبياء في الفضائل

- فآدم عليه السلام أعطي أن الله تعالى خلقه بيده فأعطي سيدنا محمد شرح صدره وتولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الإيمان والحكمة وهو الخلق النبوي فتولى من آدم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع أن المقصود

من خلق آدم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة .

وأما سجود الملائكة لآدم فقال فخر الدين الرازي في تفسيره: إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في جبهته .

وقال بعضهم: وأما تعليم آدم كل شيء فأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(مثلت أمتي في الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها) فكما أن آدم علم أسماء العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد عليه بعلم ذواتها .

- وأما إدريس عليه السلام فرفعه الله مكاناً علياً فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع إلى مكان لم يرفع إليه غيره .
- وأما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق ونجاه من الخسف فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال تعالى:(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)[٣٤٦]
- وأما إبراهيم الخليل عليه السلام فكانت عليه نار نمروذ برداً وسلاما فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك إطفاء نار الحرب عنه صلى الله عليه وسلم وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال تعالى:(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)[٣٤٧]

وأما ما أعطيه إبراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة وقد روي في حديث الشفاعة أن الخليل إبراهيم عليه السلام إذا قيل له: اتخذك الله خليلاً فاشفع لنا قال:(إنما كنت خليلاً من وراء وراء)[٣٤٨] اذهبوا إلى غيري إلى أن تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:(أنا لها أنا لها) وهذا يدل على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان خليلاً مع رفع الحجاب وكشف الغطاء ولو كان خليلاً من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر إبراهيم عليه السلام .

---

[٣٤٦] سورة الأنفال (٣٣)

[٣٤٧] سورة المائدة (٦٤)

[٣٤٨] ورد هذا اللفظ عند مسلم كتاب الإيمان رقم (٣٢٩) وحديث الشفاعة في البخاري برقم (٧٥١٠)

والملخص من هذا: أن النبي نال درجة الخلة التي اشتهرت لإبراهيم عليه السلام على وجه نطق إبراهيم بأن نصيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منه الأعلى بمفهوم قوله عن نفسه: إنما كنت خليلاً من وراء وراء فلم يشفع ففيه دليل على أنه إنما يشفع من كان خليلاً لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان وذلك مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان .

- وأما ما أعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع . وأما ما أعطيه موسى عليه السلام من اليد البيضاء وكان بياضها يغشى البصر فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يزل نوراً ينتقل في أصلاب الآباء وبطون الأمهات من لدن آدم إلى أن انتقل إلى عبد الله أبيه .

ومما أعطيه موسى عليه السلام انفلاق البحر له أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر. ومما أعطيه موسى عليه السلام تفجير الماء له من الحجارة أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء و لم تجر العادة بنبع الماء من اللحم وأما ما أعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل.

- وأما ما أعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن فأعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله .
- وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فأعطي سيدنا محمد أنه رد العين إلى مكانها بعد أن سقطت فعادت أحسن مما كانت .

وأما ما أعطيه عيسى من رفعه إلى السماء فقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات .

ما خص به صلى الله عليه وسلم

لقد خص الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم بما لم يعطه أحداً من الأنبياء عليهم السلام .

وقد روى جابر عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال:(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة) رواه البخاري .

وليس المراد حصر خصائصه صلى الله عليه وسلم في هذه الخمسة المذكورة . فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً:(فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) فذكر الخمسة المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة وزاد خصلتين هما:أعطيت جوامع الكلم وختم بي النبيون فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال .

ولمسلم أيضاً من حديث حذيفة:(فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) وذكر خصلة الأرض وذكر خصلة أخرى .

ولأحمد من حديث علي أعطيت أربعاً لم يعطهن أحد من أنبياء الله تعالى أعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعلت أمتي خير الأمم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال ثنتي عشرة خصلة .

وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: فضلت على الأنبياء غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وجعلت أمتي خير الأمم وأعطيت الكوثر وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه.

وله من حديث ابن عباس رفعه: فضلت على الأنبياء بخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم . قال: ونسيت الأخرى .

وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب " شرف المصطفى" أن عدد الذي خص به صلى الله عليه وسلم ستون خصلة . وقد ذكر بعض العلماء أنه صلى الله عليه وسلم أوتي ثلاثة آلاف معجزة وخصيصة .

القسم الأول : الخصائص من الواجبات

الأول ما خص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة في ذلك زيادة الزلفى والدرجات فإنه لن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم . قال: بعضهم خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بواجبات عليه لعلمه بأنه أقوم منهم وقيل ليجعل أجره بها أعظم .

- فاختص بوجوب الضحى .
- ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم في المستدرك وغيره ولفظ أحمد والطبراني: ثلاث على فريضة وهن لكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى .
- ومنها صلاة الليل قال تعالى:(ومن الليل فتهجد به نافلة لك)[٣٤٩] أي فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك .
- ومنها الأضحية قال تعالى:(فصل لربك وانحر) وروى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث هن علي فرائض وهن لكم تطوع : النحر والوتر وركعتا الفجر .
- ومنها مصابرة العدو وإن كثر عددهم .
- ومنها تغيير المنكر إذا رآه لكن قد يقال : كل مكلف تمكن من غيره يلزمه فيقال : المراد أنه يسقط عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف بخلاف غيره .
- ومنها قضاء دين من مات معسراً روى مسلم حديث :(أنا بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته) .

قال النووي : كان هذا القضاء واجباً عليه صلى الله عليه وسلم .

- ومنها تخيير نسائه صلى الله عليه وسلم في فراقه وإمساكهن بعد أن اخترنه في أحد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له صلى الله عليه وسلم عليهن قال الله تعالى :(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها)[٣٥٠]

[٣٤٩] سورة الإسراء (٧٩)
[٣٥٠] سورة الأحزاب (٢٨)

القسم الثاني : الخصائص من المحرمات

- فمنها: تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص قال صلى الله عليه وسلم: (إنا لا نأكل الصدقة) رواه مسلم . والحكمة من ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس .
- ومنها: أنه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم أكل ما له رائحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة .
- ومنها: تحريم الكتابة والشعر وإنما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول إنه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما والأصح أنه كان لا يحسنهما قال تعالى:(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)[٣٥١]
- ومنها: نزع لأمته إذا لبسها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه .
- ومنها: مد العين إلى ما متع به الناس قال تعالى:(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به)[٣٥٢]أي استحساناً له وتمنياً أن يكون لك مثله .
- ومنها: خائنة الأعين وهي الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له صلى الله عليه وسلم في قصة رجل أراد قتله[٣٥٣] هلا أومأت إلينا بقتله فقال: ما كان ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.[٣٥٤] [٣٥٥]
- ومنها تحريم نكاح الكتابية لأن أزواجه أمهات المؤمنين وزوجات له في الآخرة ومعه في درجته في الجنة ولأنه صلى الله عليه وسلم أشرف من أن يضع ماؤه في رحم كافرة .
- ومنها تحريم الإغارة إذا سمع التكبير .

القسم الثالث : الخصائص من المباحات

- اختص صلى الله عليه وسلم بإباحة المكث في المسجد جنباً ، قاله صاحب التلخيص كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري : يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك . قال الترمذي حسن غريب .

---

[٣٥١] سورة العنكبوت (٤٨)
[٣٥٢] سورة الحجر (٨٨)
[٣٥٣] هو عبد الله بن أبي سرح وقد أسلم وحسن إسلامه .
[٣٥٤] رواه أبو داود والنسائي .

وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور . ويجاب بأن الترمذي حكم بأنه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن إذا شاركه صلى الله عليه وسلم علي في ذلك لم يكن من الخصائص. وقد غلط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الإباحة .

- واعلم أن معظم المباحات لم يفعلها صلى الله عليه وسلم وإن جازت له .
- ومما اختص به أيضاً أنه لا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً وفي اللمس وجهان ، قال النووي : المذهب الجزم بانتقاضه به . واستدل القائلون بالأول بنحو حديث عائشة عند أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ .ورواه النسائي أيضاً ، وقال أبو داود : هو مرسل ، إبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة ، وقال النسائي : ليس في هذا الباب حديث أحسن من هذا الحديث وإن كان مرسلاً .
- واختص أيضاً بإباحة الصلاة بعد العصر فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر. ثم واظب عليهما، وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره المهذب وعبارته : كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة . وبالصلاة على الغائب عند أبي حنيفة ومالك .
- واختص أيضاً بإباحة الوصال في الصوم :كما سيأتي ، وقال إمام الحرمين هو قربة في حقه صلى الله عليه وسلم .
- ومنها نكاح أكثر من أربع نسوة وكذلك الأنبياء وفي الزيادة لنبينا صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف .
- ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المرأة ، قال تعالى :(وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي)[٣٥٦] وأما من جهته صلى الله عليه وسلم فلا بد من لفظ النكاح أو التزويج على الأصح في أصل الروضة ، وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ أبي حامد لظاهر قوله تعالى :(إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك) .

[٣٥٦] سورة الأحزاب ، الآية ٥٠ .

- ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقضي بعلمه من غير خلاف . و أن يقضي لنفسه ولولده ، وأن يشهد لنفسه ولولده . ولا تكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب ، كما ذكره النووي في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة[٣٥٧] بعد أن أغضبه خصم الزبير . لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب إلا كما يقول في الرضى .
- وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلي إلا على نبي أو ملك
- وكان له أن يقتل بعد الأمان ، وأن يلعن من شاء بغير سبب : واستبعد ذلك .
- وجعل الله شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون لدعائه صلى الله عليه وسلم بذلك. قاله ابن القاص وردوه عليه، حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن نقل الرافعي
- وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها . وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعهم . وقال : إنه صلى الله عليه وسلم كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى .

القسم الرابع : خصائص الفضائل

ما يتعلق بخلقه وولادته صلى الله عليه وسلم

- منها: أنه أول النبيين خلقاً وأنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد .
- ومنها: أنه أول من قال:(بلى) يوم (ألست بربكم) .
- ومنها: أنه آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله .
- أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها .
- ومنها: أنه وقع التبشير به في الكتب السالفة .
- ومنها: أنه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح .
- ومنها: أنه نكست الأصنام لمولده .
- ومنها: أنه ولد مختوناً مقطوع السرة .
- ومنها: أنه خرج نظيفاً ما به قذر .

[٣٥٧] موضع معروف بالبادية .

- ومنها: انه وقع إلى الأرض ساجداً رافعاً أصبعيه كالمتضرع المبتهل .
- ومنها: شق صدره الشريف .
- وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات .

ذكره في القرآن عضواً عضواً

ومنها: أن الله تعالى ذكره في القرآن عضواً عضواً فقلبه بقوله:(ما كذب الفؤاد ما رأى)[٣٥٨] وقوله:(نزل به الروح الأمين على قلبك)[٣٥٩] ولسانه بقوله:(وما ينطق عن الهوى)[٣٦٠] وبصره بقوله:(ما زاغ البصر وما طغى)[٣٦١] ووجهه بقوله: (قد نرى تقلب وجهك في السماء)[٣٦٢] ويده وعنقه بقوله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)[٣٦٣] وظهره وصدره بقوله:(ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك)[٣٦٤] واشتق اسمه من اسم الله المحمود ويشهد له ما أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

خصائص في بعض صفاته

- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يبيت جائعاً ويصبح طاعماً يطعمه ربه ويسقيه من الجنة .
- وكان يرى من خلفه كما يرى أمامه . رواه مسلم .

ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار والضوء . رواه البيهقي .

- وكانت ريقه يعذب الماء الملح رواه أبو نعيم ويجزي الرضيع رواه البيهقي .
- وكان إبطه صلى الله عليه وسلم لا شعر عليه قاله القرطبي وكان أبيض غير متغير اللون كما ذكره القرطبي وعده من الخصائص وذكره بعض الشافعية لحديث أنس المتفق عليه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه .

---

[٣٥٨] سورة النجم (١١)
[٣٥٩] سورة الشعراء (١٩٤)
[٣٦٠] سورة النجم (٣)
[٣٦١] سورة النجم (١٧)
[٣٦٢] سورة البقرة (١٤٤)
[٣٦٣] سورة الإسراء (٢٩)
[٣٦٤] سورة الشرح (١-٣)

- وكان صلى الله عليه وسلم يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره ولا سمعه .
- وكان تنام عينه ولا ينام قلبه . رواه البخاري .
- وما تثاءب قط . رواه ابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الأصم قال: ما تثاءب نبي قط ويؤيد ذلك أن التثاؤب من الشيطان رواه البخاري .
- وما احتلم قط وكذلك الأنبياء رواه الطبراني وكان عرقه أطيب من المسك . رواه أبو نعيم وغيره .
- وإذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي و لم يقع له ظل على الأرض ولا رؤي له ظل في شمس ولا قمر . رواه الحكيم الترمذي مرسلاً .

حراسة السماء عند البعثة

- ومنها: انقطاع الكهنة عند مبعثه وحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون عن السماوات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السماوات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبداً فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري وهذا لم يكن ظاهراً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم و لم يذكره أحد قبل زمانه وإنما ظهر في بدئ أمره وكان ذلك أساساً لنبوته .

من خصائص الإسراء

- ومنها أنه أتي بالبراق ليلة الإسراء مسرجاً ملجماً قيل كانت النبياء إنما تركبه عرياناً
- ومنها أنه أسري به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

وعرج به إلى المحل الأعلى وأراه من آيات ربه الكبرى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وأحضر الأنبياء له وصلى بهم وبالملائكة إماماً وأطلعه على الجنة والنار ومنها أنه رأى الله تعالى بعينيه ، كما يأتي في مقصد الإسراء إن شاء الله تعالى وجمع الله له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى في الرفيع الأعلى وكلم موسى بالجبل .

- ومنها أن الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه، كما مر، في غزوة بدر وحنين .

وجوب الصلاة والسلام عليه

- ومنها : أنه يجب علينا أن نصلي ونسلم عليه لقوله تعالى :(إن الله وملائكته يصلون على النبي)[٣٦٥] ولم ينقل أن الأمم المتقدمة كان يجب عليهم أن يصلوا على أنبيائهم .

خصائص تتعلق بالقرآن الكريم

- ومنها : أنه أوتي الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة.
- ومنها : حفظ كتابه من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة ولا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه قال تعالى:(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[٣٦٦]
- ومنها : أنه أنزل على سبعة أحرف تسهيلاً علينا .
- ومنها : أنه تعالى تكفل بحفظه فقال:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٣٦٧] أي من التحريف والزيادة والنقصان قال تعالى في صفة القرآن :(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وقوله :(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[٣٦٨] فإن قلت : فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في الصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه ؟

فالجواب : كما قال الرازي إن جمعه للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه فإن الله تعالى لما أراد حفظه قيضهم لذلك .

- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم خص بآية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطوال كما في حديث ابن عباس بلفظ: وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز

---

[٣٦٥] سورة الأحزاب (٥٦) .
[٣٦٦] سورة فصلت (٤٢) .
[٣٦٧] سورة الحجر (٩) .
[٣٦٨] سورة النساء (٨٢) .

العرش وخصصت به دون الأنبياء وأعطيت المثاني مكان التوراة والمئين مكان الإنجيل والحواميم ككان الزبور وفضلت بالمفصل . رواه أبو نعيم في الدلائل .

قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)[٣٦٩]

أعطي مفاتيح الخزائن

ومنها : أنه أعطي مفاتيح الخزائن[٣٧٠] قال بعضهم : وهي خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فإن الاسم الإلهي لا يعطيه إلا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو وأعطى هذا السيد الكريم مترلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن.

جوامع الكلم

ومنها: أنه أوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لا تنفذ ولما علم جوامع الكلم أعطي الإعجاز بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله تعالى فوقع الإعجاز في الترجمة التي هي له فإن المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الإعجاز بها وإنما الإعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره .

عموم بعثته صلى الله عليه وسلم

ومنها: أنه بعث إلى الناس كافة قال بعضهم: وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى: (ألم نجعل الأرض كفاتاً)[٣٧١] أي تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها كذلك ضمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به أحد إلا لزمه الإيمان به ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا:(يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به)[٣٧٢] فضمت شريعته الإنس و الجن وعمت رحمته التي أرسل بها العالم قال تعالى:(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٣٧٣]

---

[٣٦٩] سورة الحجر (٨٧) .
[٣٧٠] رواه البخاري برقم ١٣٤٤.
[٣٧١] سورة المرسلات (٢٥)
[٣٧٢] سورة الأحقاق (٣١)
[٣٧٣] سورة الأنبياء (١٠٧)

النصرة بالرعب

ومنها: نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر.[٣٧٤] والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو أسرع قاطع لعموم رعبه في قلوب أعدائه فلا يقبل الرعب إلا عدو مقصود ليتميز السعيد من الشقي ومفهوم هذا: أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها أما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب:(ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر) فالظاهر اختصاصه به مطلقاً .

وإنما جعل الغاية شهراً لأنه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق .

إحلال الغنائم

ومنها: إحلال الغنائم و لم تحل الغنائم و لم تحل لأحد قبله.[٣٧٥]

وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغانم ومنهم من أذن له فيه لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه وجاءت نار فأحرقته.[٣٧٦]

قال بعضهم: أعطي صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة أمته لأن النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت له عن غير قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون أن يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب .

الأرض مسجد وطهور

ومنها: جعل الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً.[٣٧٧] والمراد: موضع سجود أي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن أن يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لأنه لما جازت الصلاة في جميعها كان كالمسجد في ذلك . وقيل المراد: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيري مسجداً و لم تجعل له طهوراً.

---

[٣٧٤] متفق عليه من حديث جابر .
[٣٧٥] متفق عليه من حديث جابر
[٣٧٦] إحراق النار للغنائم ورد في حديث أبي هريرة في الصحيحين .
[٣٧٧] رواه الشيخان من حديث جابر .

والأظهر: ما قاله الخطابي وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلاة في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ:(وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم).

استمرار معجزة القرآن

ومنها: أن معجزته صلى الله عليه وسلم مستمرة إلى يوم القيامة ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة

ومنها أنه أكثر الأنبياء معجزة . قال القاضي عياض أما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين بسورة (إنا أعطيناك الكوثر) أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة وذهب آخرون إلى أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين .

قال القاضي: والحق ما ذكرناه أولاً لقوله تعالى:(فأتوا بسورة من مثله)[٣٧٨]

فهو أقل ما تحداهم به .

خصوصية انشقاق القمر وغيرها

ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم و لم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره .

ختم النبوة وتأبيد الشريعة

- ومنها: أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قال صلى الله عليه وسلم: مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين.[٣٧٩]
- ومنها: أن شرعه مؤبد إلى يوم الدين وناسخ لجميع شرائع النبيين وأنه أكثر الأنبياء تابعاً كما قال صلى الله عليه وسلم: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.[٣٨٠]

---

[٣٧٨] سورة البقرة (٢٣)
[٣٧٩] رواه البخاري برقم ٣٥٣٤و٣٥٣٥
[٣٨٠] رواه الشيخان من حديث أبي هريرة .

- ومنها: أنه لو أدركه الأنبياء لوجب عليه اتباعه .

إرساله إلى الجن كالإنس

ومنها أنه أرسل إلى الجن اتفاقاً والدليل على ذلك قبل الإجماع : الكتاب والسنة قال تعالى:(ليكون للعالمين نذيراً)[٣٨١] وقد أجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الآية .

هل أرسل صلى الله عليه وسلم إلى الملائكة ؟

ومنها أنه أرسل إلى الملائكة في أحد القولين ورجحه السبكي قال تعالى :(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)[٣٨٢] ولا نزاع أن المراد بالعد ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم والعالم هو ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة وبطل بذلك قول من قال : إنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض لأن لفظ "العالمين" يتناول جميع المخلوقات فتدل الآية على أنه رسول إلى جميع الخلق .

رحمة للعالمين

ومنها : أنه أرسل رحمة للعالمين كما قال تعالى :(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٣٨٣] قال السمرقندي : يعني للجن والإنس وقيل لجميع الخلق رحمة للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل .

التكريم بأسلوب الخطاب له

ومنها : أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم في القرآن ، فقال : يا آدم ، يا نوح ، يا إبراهيم ، يا داود ، يا زكريا ، يا يحيى ، يا عيسى ، و لم يخاطب هو فيه إلا ب " يا أيها الرسول " " يا أيها النبي " " يا أيها المزمل " "يا أيها المدثر " .

ومنها أنه حرم على الأمة نداءه باسمه ، قال تعالى :(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)[٣٨٤]

---

[٣٨١] سورة الفرقان (١)
[٣٨٢] سورة الفرقان (١)
[٣٨٣] سورة الأنبياء (١٠٧) .
[٣٨٤] سورة النور (٦٣)

ومنها : أنه يحرم الجهر له بالقول ، قال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)[٣٨٥]

ومنها أنه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى :(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)[٣٨٦]

حبيب الله

ومنها أنه حبيب الله ، وجمع له بين المحبة والخلة .

ومنها أنه تعالى أقسم على رسالته وبحياته وببلده وعصره .

ومنها أنه كلم بجميع أصناف الوحي ، كما نقل عن ابن عبد السلام ، وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد الأول .

نزول إسرافيل عليه السلام

ومنها أن إسرافيل هبط عليه و لم يهبط على نبي قبله أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو إسرافيل فقال: أنا رسول ربك إليك أمرني أن أخبرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظرت إلى جبريل فأومأ إلي أن تواضع فلو أني قلت نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً .

سيد ولد آدم

ومنها أنه سيد ولد آدم رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ:(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) وعند الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر)[٣٨٧] . وإنما قال ذلك إخباراً عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد وتحدثا بنعمة الله عنده .

مغفرة ذنوبه

---

[٣٨٥] سورة الحجرات (٢) .
[٣٨٦] سورة الحجرات (٥) .
[٣٨٧] رواه الإمام أحمد وابن ماجه .

ومنها أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الله تعالى :(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)[٣٨٨] . قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة و لم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك ، ويدل له قولهم في الموقف : نفسي نفسي .

خاصية " أنه أكرم الخلق " وغيرها

- ومنها أنه أكرم الخلق على الله فهو أفضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين .
- ومنها إسلام قرينه . رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابن عباس .
- ومنها أنه لا يجوز عليه الخطأ كما ذكره ابن أبي هريرة والماوردي : وقال قوم ولا النسيان حكاه النووي في شرح مسلم .
- ومنها أن الميت يسأل عنه صلى الله عليه وسلم في قبره فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وأما فتنة القبر فبي يفتنون وعني يسألون فإذا كان الرجل أجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول محمد رسول الله . رواه أحمد والبيهقي .

تحريم نكاح أمهات المؤمنين

ومنها أنه حرم نكاح أزواجه من بعده قال الله تعالى :(وأزواجه أمهاتهم)[٣٨٩] أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن أزواج له في الآخرة . وأزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره وفي جواز النظر إليهن وجهان: أشهرهما المنع ويثبت لهن حكم الأمومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة بهن والنفقة عليهن والميراث . ولا يتعدى ذلك إلى غيرهن فلا يقال بناتهن أخوات للمؤمنين على الأصح.

وقيل : إنما حرمن لأنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره ولذا حكى الماوردي أنه لا يجب عليهن عدة الوفاة.

---

[٣٨٨] سورة الفتح (٢) .
[٣٨٩] سورة الأحزاب (٦) .

القسم على الله به

ومنها ما عده ابن عبد السلام أنه يجوز أن يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام: وهذا ينبغي أن يكون مقصوراً على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته .

خصائص تتعلق ببناته

- ومنها: أن أولاد بناته ينسبون إليه قال صلى الله عليه وسلم في الحسن:(إن ابني هذا سيد) رواه أبو يعلى .
- ومنها أن كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه . قال صلى الله عليه وسلم: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي . رواه الحاكم والبيهقي . والنسب بالولادة والسبب بالزواج .
- قيل: إن أمته ينتفعون بالنسبة إليه يوم القيامة بخلاف أمة غيره .
- ومنها: أنه لا يتزوج على بناته . فعن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول:(إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن طلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما أذاها) أخرجه الشيخان وصححه الترمذي .

لا اجتهاد في محراب نبوي

ومنها: أنه لا يجتهد في محراب صلى إليه يمنة ولا يسرة وأفتى شيخ الإسلام أبو زرعة ابن العراقي في شخص امتنع من الصلاة إلى محراب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أنا أجتهد وأصلي بأنه إن فعل ذلك مع الاعتراف بأنه على ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ردة وإن ذكر تأويلاً بأن قال: ليس هو الآن على ما كان عليه في زمنه بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهادي لم يحكم بردته وإن لم يكن هذا التأويل صحيحاً .

من رآه في المنام رآه حقاً

ومنها أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل به .

وفي رواية مسلم (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو لكأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي)[٣٩٠] وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها ومنهم من ضيق الذرع في ذلك حتى قال: لا بد أن يراه على صورته التي قبض عليها .

رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة ؟ !

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته صلى الله عليه وسلم فقال شيخنا السخاوي: لم يصل إلينا ذلك عن أحد من الصحابة ولا عن من بعدهم .

وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر وبيتها مجاور لضريحه الشريف و لم ينتقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرت عنه .

التسمي باسمه صلى الله عليه وسلم

ومما اختص به صلى الله عليه وسلم أن التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والآخرة .

روينا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة و لم نعمل عملاً تجازينا به الجنة ؟ فيقول الله تعالى: ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد.[٣٩١]

وروى أبو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا عذبت أحداً تسمى باسمك في النار .

خصائص تتعلق بقراء الحديث

- ومنها أنه يستحب الغسل لقراءة حديثه والتطيب ولا ترفع عنده الأصوات بل تخفض كما في حياته إذا تكلم . ولا شك أن حرمته وتعظيمه وتوقيره بعد مماته وعند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته .

[٣٩٠] رواه مسلم في كتاب الرؤيا رقم ١١

[٣٩١] أخرجه أبو الطاهر السلفي وابن بكير في جزئه من طريق حميد الطويل

- ومنها: أنه يكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد قال ابن الحاج في المدخل: لأنه قلة أدب مع النبي وقلة احترام وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لأجل غيره .
- ومنها أن قراء حديثه لا تزال وجوههم نضرة وأن قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ وأمراء المؤمنين من بين سائر العلماء .

خصائص تتعلق بصحبته صلى الله عليه وسلم

- ومنها: أنه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت إلا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند أهل الأصول .
- ومنها أن أصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة قال تعالى خطاباً للموجودين حينئذ :(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[٣٩٢] أي عدولاً وقال صلى الله عليه وسلم :(لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه)[٣٩٣]
- وأفضلهم عند أهل السنة إجماعاً : أبو بكر ثم عمر وأما بعدهما : فالجمهور على أنه عثمان ثم علي .

وجوب تلبية دعائه ولو في الصلاة

- ومنها أن المصلي يخاطبه بقوله ، السلام عليك أيها النبي ، ولا يخاطب غيره .
- ومنها أنه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث أبي سعيد بن المعلي:كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ... الحديث وفيه ألم يقل الله تعالى:(استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)[٣٩٤]

فأجابته فرض يعصي المرء بتركها .

وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة مطلقاً سواء كان المخاطب مصلياً أو غير مصلي . أما كونه يخرج بالإجابة من الصلاة أو لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل أن تجب الإجابة ولو خرج المجيب من الصلاة وإلى ذلك جنح بعض الشافعية.

---

[٣٩٢] سورة البقرة (١٤٣) .
[٣٩٣] أخرجه الشيخان وأصحاب السنن
[٣٩٤] الحديث رواه البخاري . والآية من سورة الأنفال (٢٤)

الكذب عليه ليس كالكذب على غيره

ومنها:أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته أبداً وإن تاب .

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير أن رجلاً كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث علياً والزبير وقال: اذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه .

ولهذا حكى إمام الحرمين عن أبيه أن من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر .

لكن لم يوافقه أحد من الأئمة على ذلك . والحق أنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها إلا إن استحله .

العصمة من الذنوب والجنون

- ومنها أنه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الأنبياء .
- ومنها أنه لا يجوز عليه الجنون لأنه نقص ولا الإغماء الطويل الزمن وكذلك الأنبياء.

ونبه السبكي على أن إغماءهم يخالف إغماء غيرهم وإنما هو غلبة الأوجاع للحواس الظاهرة دون القلب لأنه قد ورد أنه إنما تنام أعينهم دون قلوبهم فإذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو أخف من الإغماء فمن الإغماء بطريق أولى .

قال السبكي: ولا يجوز عليهم العمى لأنه نقص و لم يعم نبي قط .

يخص من شاء بما شاء

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء بما شاء من الأحكام .

كجعله شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري بشهادة رجلين . وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت قال: فوجدتها مع خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين .

ومن ذلك ترخيصه في النياحة لأم عطية روى مسلم عنها قالت: لما نزلت هذه الآية

(يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً .... ولا يعصينك في معروف)[٣٩٥] قالت: كان منه النياحة فقلت يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني[٣٩٦] في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم فقال إلا آل فلان) قال النووي هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة وللشارع أن يخص من العموم ما شاء .

ومن ذلك: ترك الإحداد لأسماء بنت عميس أخرج ابن سعد عن أسماء بنت عميس قالت:لما أصيب جعفر بن أبي طالب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسلبي[٣٩٧] ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت .

ومن ذلك إنكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فيما ذكره جماعة وورد به حديث مرسل أخرجه سعيد بن منصور عن أبي النعمان الأزدي قال: زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن وقال: لا يكون لأحد بعدك مهراً .

خصائص تتعلق بمرضه وموته وقبره

- ومنها أنه يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الأجر .
- ومنها أن جبريل أرسل إليه ثلاثة في مرضه يسأله عن حاله ذكره البيهقي وغيره .
- ومنها أنه صلى عليه الناس أفواجاً أفواجاً بغير إمام وبغير دعاء الجنازة المعروف ذكره البيهقي وابن سعد وغيرهما وترك بلا دفن ثلاثة أيام وفرش له في لحده صلى الله عليه وسلم قطيفة والأمران مكروهان في حقنا وأظلمت الأرض بعد موته .
- ومنها أنه لا يبلى جسده وكذلك الأنبياء رواه أبو داود وابن ماجه .
- ومنها أنه لا يورث فقيل لبقائه في ملكه وقيل لمصيره صدقة وبه قطع الروياني .

حي في قبره

ومنها: أنه حي في قبره ويصلي فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء ولهذا قيل: لا عدة على أزواجه .جاء في الحديث عند أبي يعلى والبيهقي مرفوعاً (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)

---

[٣٩٥] سورة الممتحنة (١٢)

[٣٩٦] الإسعاد: قيام المرأة مع الأخرى في المناحة تراسلها أي تساعدها .

[٣٩٧] التسلب: امتناع المرأة من الزينة بعد موت زوجها .

تبليغه سلام أمته

ومنها: أنه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه . رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه بلفظ (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام) وعند الأصبهاني عن عمارة (إن لله ملكاً أعطاه الله سمع العباد كلهم فما أحد يصلي علي إلا أبلغنيها)

وتعرض أعمال أمته عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب (ليس من يوم إلا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشياً فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم)

المنبر النبوي على الحوض

ومنها أن منبره صلى الله عليه وسلم على حوضه كما في الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي)[٣٩٨] وفي رواية:(ومنبري على ترعة من ترع الجنة) وأصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فإذا كان في المطمئن فهي روضة . و لم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره وأنه حق محسوس موجود فإن القدرة صالحة لا عجز فيها وكل ما أخبر به الصادق من أمور الغيب فالإيمان به واجب . [٣٩٩]

الروضة الشريفة

ومنها أن ما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ (ما بين بيتي ومنبري) وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز .

أما الحقيقة: فأن يكون ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه من الجنة مقتطعاً منها كما أن الحجر الأسود منها قال صلى الله عليه وسلم:(الحجر الأسود من الجنة)[٤٠٠] فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون في هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل .

---

[٣٩٨] أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي .

(٥) قال الشارح: وهو من الكتب القديمة . ونحن بغنى عنها .

[٤٠٠] رواه أحمد والنسائي .

وأما المجاز: فبأن يكون اسم المسبب على السبب فإن ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب في نيل الجنة قاله ابن أبي جمرة وهو معنى قول بعضهم : لكون العبادة فيه تؤول إلى دخول العابد روضة الجنة .

أول من ينشق عنه القبر

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر . وفي رواية مسلم (أنا أول من تنشق عنه الأرض)

وهو أول من يفيق من الصعقة قال صلى الله عليه وسلم:(أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور)[٤٠١]

وهو أول من يجوز على الصراط رواه البخاري من حديث أبي هريرة.[٤٠٢]

ويكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة. رواه البيهقي بلفظ:(فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر).

خصائص تتعلق بالموقف يوم القيامة

- ومنها: أنه يعطى المقام المحمود قال مجاهد: هو جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش .
- ومنها: أنه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضاء بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس في الجنة .
- ومنها: أنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة آدم فمن دونه تحته . رواه البزار.

وأنه أول من يقرع باب الجنة . روى مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم:(أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة) .

---

[٤٠١] رواه البخاري .
[٤٠٢] رواه البخاري برقم ٨٠٦

- ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة قال صلى الله عليه وسلم:(وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر)[٤٠٣]
- ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل من حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج .
- ومنها الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة.

خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم

الحكم بشريعة الإسلام

وأما خصائص أمته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفاً فاعلم أنه لما أنشأ الله سبحانه وتعالى العالم على غاية من الإتقان وأبرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم للعيان وظهرت عنايته بأمته الإنسانية وإن كان العالم الإنساني والناري كله أمته ولكن لهؤلاء خصوص وصف فجعلهم خير أمة أخرجت للناس وجعلهم ورثة الأنبياء وأعطاهم الاجتهاد في نصب الأحكام فيحكمون بما أدى إليه اجتهادهم .

وكل من دخل في زمان هذه من الأنبياء بعد نبيها كعيسى عليه السلام أو قدر دخوله كالخضر فإنه لا يحكم في العالم إلا بما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة فإذا نزل سيدنا عيسى عليه السلام فإنما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يحكم في شيء من تحريم وتحليل إلا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي أنزلت عليه في أوان رسالته فهو عليه السلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم

فهو عليه السلام وإن كان خليفة في الأمة المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمة نعم هو واحد من هذه الأمة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا والحكم بشريعته .

فإن قلت: قد ورد في صحيح مسلم والبخاري قوله صلى الله عليه وسلم:(ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية)وأن الصواب في معناه : أنه لا يقبل الجزية ولا يقبل إلا الإسلام أو القتل وهذا خلاف ما هو

[٤٠٣] رواه الترمذي .

حكم الشرع اليوم فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها و لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام وإذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ فالجواب: أنه لا خلاف أن عيسى عليه السلام إنما ينزل حاكماً بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة .
وأما حكم الجزية وما يتعلق بها فليس حكماً مستمراً إلى يوم القيامة بل هو مقيد قبل نزول عيسى وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ فدل على أن الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم . أشار إليه النووي في شرح مسلم .
فإن قلت : ما المعنى لتغير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في عدم قبول الجزية ؟ فأجاب ابن بطال: بأنا إنما قبلناها نحن لاحتياجنا إلى المال وليس يحتاج عيسى عليه السلام عند خروجه إلى مال لأنه يفيض في أيامه المال حتى لا يقبله أحد فلا يقبل إلا القتل أو الإيمان بالله وحده .
وليس في الرسل من يتبعه رسول له كتاب إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفاً لهذه الأمة المحمدية زادها الله شرفاً .

خير أمة أخرجت للناس

فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة وأسبغ علينا هذه النعمة ومنَ علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة ونوَه بنا في كتابه العزيز بقوله:(كنتم خير أمة)[٤٠٤]
فينبغي لمن هو من هذه الأمة المحمدية أن يتخلق بالأخلاق الزكية ليثبت له ما لهذه الأمة الشريفة من الأوصاف المرضية ويتأهل لما لها من الخيرية .
وقيل: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى .
وقيل : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم:(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٤٠٥] وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدها وإلى هذا ذهب معظم العلماء .

---

[٤٠٤] سورة آل عمران (١١٠)
[٤٠٥] رواه الشيخان وغيرهما .

فضيلة الصحابة

وأن من صحبه صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة من عمره أفضل من كل من يأتي بعده وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور .

وذهب أبو عمر بن عبد البر: إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة وأن قوله صلى الله عليه وسلم:(خير الناس قرني) ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه صلى الله عليه وسلم جماعة من المنافقين المظهرين للإيمان وأهل الكبائر الذين أقام عليهم وعلى بعضهم الحدود.

وقد روى أبو أمامة أنه صلى الله عليه وسلم قال: طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي[٤٠٦]

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً ؟ قلنا: الملائكة قال: وحق لهم بل غيرهم قلنا: الأنبياء قال: وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي و لم يروني فهم أفضل الخلق إيماناً .

قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية .

والحق ما عليه الجمهور: أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلائل على أفضلية الصحابة على غيرهم كثيرة .

من فضائل أمته صلى الله عليه وسلم

وقد خص الله تعالى هذه الأمة الشريفة بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم أبان بها فضلهم .

وروى ابن طغر بك في (النطق بالمفهوم) عن ابن عباس رفعه: قال موسى: يارب فهل في الأمم أكرم عليك من أمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال: سبحانه وتعالى: يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على سائر الأمم كفضلي على جميع خلقي ؟

[٤٠٦] أخرجه أحمد والبخاري في التاريخ وابن حبان والحاكم .

قال: يا رب فأرينهم قال: لن تراهم ولكن أسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فأجابوا بصوت واحد : لبيك اللهم لبيك وهم في أصلاب آباءهم وبطون أمهاتهم فقال سبحانه وتعالى: صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي أستجيب لكم قبل أن تسألوني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله غفرت له ذنوبه . قال صلى الله عليه وسلم: فأراد الله أن يمن علي بذلك فقال:(وما كنت بجانب الطور إذ ناديناً)[٤٠٧] أي أمتك حتى أسمعنا موسى كلامهم . رواه قتادة وزاد : فقال موسى: يارب م أحسن أصوات أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسمعني مرة أخرى .

وفي الحلية لأبي نعيم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوحى الله إلى موسى نبئ بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار . قال: يا رب ومن أحمد ؟ قال: ما خلقت خلقاً أكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السماوات والأرض إن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته قال: ومن أمته ؟ قال: الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال . يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله قال:

اجعلني نبي تلك الأمة قال: نبيها منها قال: اجعلني من أمة ذلك النبي قال: استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال .

وقد ذكر الإمام فخر الدين : أن من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل قال السبكي: إلا هذه الأمة فإن معجزات نبيها أظهر وثوابها أكثر من سائر الأمم .

خصوصية إحلال الغنائم

ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم و لم تحل لأمة قبلها وجعلت لهم الأرض مسجداً و لم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس وجعل لهم ترابها طهوراً وهو التيمم . وفي رواية أبي أمامة عن البخاري:(وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجداً وطهوراً) وفي رواية مسلم من حديث حذيفة :(وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها طهوراً إذا لم نجد الماء)[٤٠٨]

[٤٠٧] سورة القصص (٤٦)
[٤٠٨] رواه مسلم في كتاب المساجد برقم ٤.

خصائص تتعلق بالصلاة

- ومن خصائص هذه الأمة الوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم ذكره الحليمي واستدل بحديث البخاري (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء.
- ومنها مجموع الصلوات الخمس و لم تجمع لأحد غيره أخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال: إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدى إسحاق عند الظهر فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزيراً عند العصر فقيل له: كم لبثت قال: يوماً فرأى الشمس فقال: أو بعض يوم وصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام يصلي أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثاً . وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم .
- ومنها الأذان والإقامة .
- ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبي النحوي في تفسيره قال: و لم يترلها الله على أحد من الأمم قبلنا إلا على سليمان بن داود فهي مما اختصت به هذه الأمة .
- ومنه التأمين روى الإمام أحمد من حديث عائشة قالت : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه :أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين .
- ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال: أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت: يا رسول الله ما هذا ؟ قال: بهذا أمرت . رواه البزار والطبراني في الأوسط . ووجه الاستدلال منه: أنه صلى الله عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الأمم السابقة منه . قاله بعض العلماء .

قال: وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى:(واركعوا مع الراكعين)[٤٠٩]

[٤٠٩] سورة البقرة (٤٣)

أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الأمة .

وهذا يعارضه قوله تعالى:(يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)[٤١٠] قالوا: وقدم السجود قبل الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب .

وقيل: المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله:(أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً)[٤١١]

وبالسجود: الصلاة لقوله:(وأدبار السجود)[٤١٢] وبالركوع الخضوع والإخبات .

- ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة .
- ومنها تحية الإسلام .

الجمعة

- ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد رواه البخاري .
- ومنها ساعة الإجابة التي في الجمعة واختلف في تعينها على أقوال تزيد على الثلاثين.

خصائص تتعلق برمضان

- ومنها: أنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواه الصائمين أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة في كل يوم وليلة حتى يفطروا وإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً رواه البيهقي بإسناد لا بأس به بلفظ : أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي .
- ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان . وإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر .
- ومنها: ليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب .

---

[٤١٠] سورة آل عمران (٤٣)
[٤١١] سورة الزمر (٩)
[٤١٢] سورة ق (٤٠)

الاسترجاع عند المصيبة

ومنها أن لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء عليهم السلام مثله : إنا لله وإنا له راجعون . ولو أعطيت الأنبياء لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ قال:(يا أسفي على يوسف)[٤١٣]

خصائص اليسر ورفع الحرج

- ومنها: إن الله تعالى رفع عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم قال تعالى:(ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)[٤١٤] أي يخفف عنه ما كلفوا به من التكاليف الشاقة .
- ومنها: أن الله تعالى أحل لهم كثيراً مما شدد على من قبلهم و لم يجعل في الدين من حرج قال تعالى:(وما جعل عليكم في الدين من حرج)[٤١٥]
- ومنها: أن الله رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد قال صلى الله عليه وسلم: إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه .

الإسلام وصف خاص بهم

ومنها أن الإسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم إلا الأنبياء عليهم الإسلام لقوله تعالى:(هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا)[٤١٦] و (رضيت لكم الإسلام ديناً)[٤١٧] إذ لو لم يكن خاصاً بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فائدة .

وقد يجاب : بأن رضى الإسلام ديناً لهم وتسمية إبراهيم أباهم بذلك لا ينفي اتصاف غيرهم به وفائدة ذلك: بالإنعام عليهم بما أنعم به على غيرهم من الفضائل .

وقيل: لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم أيضاً وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعاً كما أجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[٤١٨]

---

[٤١٣] سورة يوسف (٨٤)
[٤١٤] سورة الأعراف (١٥٧)
[٤١٥] سورة الحج (٧٨)
[٤١٦] سورة الحج (٧٨)
[٤١٧] سورة المائدة (٣)
[٤١٨] سورة البقرة (١٣٢)

(فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)[٤١٩] ولأن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب كثير من العلماء وليس خاصاً بهذه الأمة بل يوصف به كل من دخل في شريعة مقراً بالله وبأنبيائه .

كمال شريعته

ومنها: أن شريعتهم أكمل من جميع شرائع الأمم وهذا لا يحتاج إلى بيان لوضوحه . وانظر إلى شريعة موسى عليه السلام فقد كانت شريعة جلال وقهر أمروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات وحرمت عليهم الغنائم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم .

وعيسى عليه السلام كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل وإحسان وكان لا يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال وهم به عصاة . وابتدعوا تلك الرهبانية من قبل أنفسهم و لم تكتب عليهم .

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله والرأفة والرحمة فشريعته أكمل الشرائع وأمته أكمل الأمم ولذلك تأتي شريعته صلى الله عليه وسلم بالعدل إيجاباً له وفرضاً وبالفضل ندباً إليه واستحباباً وبالشدة في موضع الشدة وباللين في موضع اللين كقوله تعالى:(وجزاء سيئة سيئة مثلها)، هذا عدل: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فهذا فضل (إنه لا يحب الظالمين)[٤٢٠] تحريم الظلم .

وكذلك تحريم ما حرم على هذه الأمة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث وضار وأباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة .

وهداهم لما ضلت عنه الأمم كيوم الجمعة . ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

فهذه الأمة هم المجتبون كما قال إلههم :(هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)[٤٢١]

وجعلهم شهداء على الناس فأقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على أممهم أشار إليه ابن القيم .

---

[٤١٩] سورة الذاريات (٣٦)
[٤٢٠] سورة الشورى (٤٠)
[٤٢١] سورة الحج (٧٨)

فضيلة اجتماعهم وإجماعهم

ومنها: أنهم لا يجتمعون على ضلالة . رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن خيثمة في تاريخه عن أبي بصرة الغفاري مرفوعاً في حديث (سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها) .

ومنها: أن إجماعهم حجة وأن اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذاباً روى البيهقي في المدخل في حديث من رواية سليمان ابن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: واختلاف أصحابي لكم رحمة .

وجويبر: ضعيف جداً والضحاك عن ابن عباس منقطع .

وهو كما قال شيخ الإسلام ابن حجر: حديث مشهور على الألسنة وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ: اختلاف أمتي رحمة .

الإصابة بالطاعون شهادة

ومنها أن الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الأمم عذاباً رواه أحمد والطبراني في الكبير عن حديث أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجال أحمد ثقات ولفظه: (الطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجز على الكافرين) .

الشهادة بالخير توجب الجنة

ومنها أنهم إذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكان الأمم السالفة إذا شهد منهم مائة روى البخاري والنسائي عن عمر مرفوعاً (أيما مسلم شهد له أربعة أدخله الله الجنة قيل: وثلاثة ؟ قال: وثلاثة قيل: واثنان ؟ قال: واثنان ....) والمقصود الثناء عليه بالخير .

قلة العمل وكثرة الأجر

ومنها أنهم أقل الأمم عملاً وأكثرهم أجراً وأقصرهم أعماراً وأوتوا العلم الأول والآخر وآخر الأمم فاقتضت الأمم عندهم و لم يفتضحوا .

وجود الأبدال فيهم

ومنها: أن فيهم أقطاباً وأوتادا ونجباء وأبدالاً . عن أنس مرفوعاً: الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله رجلاً مكانه وإذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة. رواه الخلال في كرامات الأولياء.[٤٢٢]

وكذا يروى كما عند أحمد في المسند والخلال من حديث عبادة ابن الصامت مرفوعاً . لا يزال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله تعالى مكانه رجلاً .

خصائص تتعلق بالحياة الآخرة

- ومنها أنهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم . رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس ولفظه: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها .
- ومنها أنهم اختصوا في الآخرة بأنهم أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم رواه أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر .
- ومنها أنهم يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء . رواه البخاري .
- ومنها أنهم يكونون في الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر مرفوعاً بلفظ: أنا وأمتي على كوم مشرفين على الخلائق ما من أحد إلا ودَ أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه .
- ومنها أن سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال تعالى:(سيماهم في وجوههم من أثر السجود)[٤٢٣]
- ومنها أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم رواه أحمد والبزار .
- ومنها أن نورهم يسعى بين أيديهم . أخرجه أحمد بإسناد صحيح .

---

[٤٢٢] أورده ابن الجوزي في الموضوعات .
[٤٢٣] سورة الفتح (٢٩)

- ومن خصائص هذه الأمة أنهم يدخلون الجنة قبل سائر الأمم .رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً : حرمت الجنة على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي .
- ومنها: أنه يدخل منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في الشعب : إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وإني سألت ربي المزيد فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً . وبالجملة : فقد اختصت هذه الأمة بما لم يعطه غيرها من الأمم تكرمة لنبيها صلى الله عليه وسلم وزيادة في شرفه وتفصيل فضلها وخصائصها يستدعي سفراً بل أسفاراً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

نهاية المجلد الثاني

المجلَّد الثالث

المقصد الخامس: الإسراء والمعراج

الآية العظيمة :

اعلم أن قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق

الأنباء وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه ﷺ بعموم الكرامات .

تحديد نقاط الاختلاف :

أختلف العلماء في الإسراء : هل هو إسراء واحد في ليلة واحدة ؟ يقظة أو مناماً ؟ أو إسراءان كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ، ومرة مناماً ، أو يقظة بروحه وجسده ؟ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

ثم مناماً من المسجد الأقصى إلى العرش ، أو هي أربع إسراءات ؟

رأي الجمهور :

الحق أنه إسراء واحد ، بروحه وجسده يقظة إلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين

وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة . قال الرازي : قال أهل التحقيق : الذي يدل على أنه تعالى أسرى

بروح محمد ﷺ وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر :

أما القرآن : فهو قوله تعالى : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً " [1] ، وتقرير الدليل : أن (العبد) اسم للجسد والروح فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً بجميع الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالى : " أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى " [2] ولا شك أن المراد هنا مجموع الروح والجسد .

واحتجوا أيضاً : بظاهر قوله ﷺ (أسري بي) لأن الأصل في الأفعال أن تحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه وبأن ذلك لو كان مناماً لما كان فيه فتنة للضعفاء ولا استبعده

) ١) سورة الإسراء /١/
) ٢) سورة العلق /٩/

الأغبياء وبأن الدواب لا محمل الأرواح وإنما تحمل الأجسام وقد تواترت الأخبار بأنه أسري به على البراق .

حكمة كون الإسراء ليلاً :

فإن قلت : ما الحكمة في كونه تعالى جعل الإسراء ليلاً ؟

أجيب : بأنه إنما جعله ليلاً تمكيناً للتخصيص بمقام المحبة لأنه تعالى أتخذه ﷺ حبيباً وخليلاً والليل أخص زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل .

قال ابن المنير : ولعل تخصيص الإسراء بالليل ليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على

فتنتهم إذ الليل أخفى حالاً من النهار . وفي ذلك حكمة أخرى ذكرها العلامة ابن مرزوق ، وهي : أنه قيل

لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر قلب الليل فجبر بأنه أسري فيه بمحمد ﷺ . وقيل : لأنه ﷺ سراج والسراج إنما يوقد بالليل .

ليلة الإسراء وليلة القدر :

فإن قلت : أيهما أفضل ، ليلة الإسراء أو ليلة القدر ؟

الجواب كما قاله الشيخ أبو أمامة بن النقاش ، أن ليلة الإسراء أفضل في حق النبي ﷺ وليلة القدر أفضل

في حق الأمة لأنها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم وأما ليلة الإسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي ﷺ ولا عينها أحد من الصحابة بإسناد صحيح

ولا صح إلى الآن فيها شيء.[٤٢٤]

الإسراء خاص به ﷺ :

فإن قلت : هل وقع الإسراء لغيره ﷺ من الأنبياء ؟

[٤٢٤] إلا ما يظهره المسلمون من الفرح بما أكرم الله نبيهم ﷺ

أجاب العارف عبد العزيز المهدوي : بأن مرتبة الإسراء بالجسم إلى تلك الحضرات العلية لم تكن لأحد
من الأنبياء إلا لنبينا محمد ﷺ .

جوانب من تفسير الآية الكريمة :

وإنما قال تعالى : (أسرى بعبده) إشارة إلى أنه تعالى هو المسافر به ليعلم أن الإسراء من عنده عز وجل
هبة إلهية وعناية ربانية سبقت له صلى الله عليه وسلم مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره .
وقرن سبحانه وتعالى " التسبيح " بهذا المسرى لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من
أهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالى من الجهة والحد والمكان ولذا قال : (لنريه من آياتنا)
يعني ما رأى في تلك الليلة من عجائب الآيات كأنه تعالى يقول : ما أسريت به إلا لنريه الآيات وأكده تعالى
بقوله : "ليلاً " مع أن الإسراء لا يكون في اللسان العربي إلا ليلاً ، لا نهاراً ، ليرتفع الإشكال حتى لا يتخيل أنه أسرى بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد أن الإسراء ربما يكون نهاراً .

مراحل المعراج :

والمعاريج ليلة الإسراء عشرة ، سبع إلى السماوات والثامن إلى سدرة المنتهى والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار والعاشر إلى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب والكشف الحقيقي .

رواية الإمام البخاري لحديث الإسراء :

روى البخاري[٤٢٥] عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به ، (بينما أنا نائم في الحطيم مضطجعاً إذ أتاني آت منشق ما بين هذه إلى هذه قال :

فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته . فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض _ فقال له الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : انس نعم _ يضع خطوة عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قال : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، وقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت إذا بيحي وعيسى وهما ابنا الخالة قال : هذا يحي وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ،ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟قال : محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى

[٤٢٥] البخاري برقم (٣٨٨٧) وهو عند مسلم والنسائي

أتى السماء السادسة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟قال : نعم ، قال : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قال : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد السلام ، فقال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها ــ ثمرها ــ مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات . ثم رفع إلي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فاخترت اللبن ، فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك . ثم فرضت علي الصلاة ، خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قال : فقلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وأني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشراً ،فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله ،فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال : مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم ، قال فلما جاوزت ناداني منادٍ : (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي).

حكمة انفراج سقف البيت

فإن قيل : لم فرج سقف بيته ﷺ ونزل منه الملك و لَمَ لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى : " وائتوا البيوت من أبوابها "[٤٢٦]

أجيب : بأن الحكمة من ذلك أن الملك انصب من السماء انصبابة واحدة ، و لم يعرج على شيء سواه ، مبالغة في المفاجأة وتنبيهاً له على أن الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له ﷺ .

شق الصدر قبل الإسراء

وقد أنكر القاضي عياض في " الشفاء " وقوع شق صدره الشريف ليلة الإسراء وقال : إنما كان وهو صبي قبل الوحي في بني سعد . ولا إنكار في ذلك فقد تواترت الروايات به وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكل منها حكمة : فالأول : وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس : فأخرج علقة فقال : هذا حظ الشيطان ، وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سبباً في إسلام قرينه .

وأما شق الصدر عند المبعث ، فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي على أكمل الأحوال من التطهير . وأما شقه عند إرادة العروج إلى السماء فللتهيؤ للترقي إلى الملأ الأعلى والثبوت في المقام الأسنى والتقوي لاستجلاء الأسماء الحسنى . ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ .ثم أن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقة لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شيء من ذلك .

حكمة شق الصدر :

فإن قيل : ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئ إيماناً وحكمة ولَم لم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير أن يفعل ما فعل ؟

[٤٢٦] سورة البقرة /١٨٩/

أجاب العارف ابن أبي جمرة : بأنه ﷺ لما أعطي كثرة الإيمان والحكمة وقوي التصديق إذ ذاك أعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له ﷺ قوة الإيمان من ثلاثة أوجه : بقوة التصديق ، والمشاهدة ، وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له ﷺ بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه .

ولأجل ما أعطيه مما أشرنا إليه كان ﷺ في العالمين أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالاً ومقالاً .

-ففي العلوي : أن جبريل لما وصل معه إلى مقامه قال : ها أنت وربك ، هذا مقامي لا أتعداه فزج فيه – أي في النور – زجة و لم يتوان و لم يلتفت وكان هناك في الحضرة كما أخبر عنه ربه عز وجل بقوله :(ما زاغ البصر وما طغى) و(وما كذب الفؤاد ما رأى) أي أن الرؤية بالبصيرة ومحلها الفؤاد وليس البصر لقوله تعالى: (لا تدركه الأبصار)[٤٢٧]

البراق والمعراج

وأما قوله : (ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوة عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا .) فظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء .

قال العارف ابن أبي جمرة : أفاد ذلك أنهم كانوا يمشون في الهواء وقد جرت العادة بأن البشر لا يمشي في الهواء سيما وقد كان راكباً على دابة من ذوات الأربع ، لكن لما أن شاءت القدرة ذلك كان فكما بسط الله تعالى لهم الأرض يمشون عليها ، كذلك يمشون في الهواء كل ذلك بيد قدرته.[٤٢٨]

وأما المعراج ففي غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في حديث عند ابن إسحاق سيأتي إن شاء الله .

حكمة الإسراء راكباً :

---

[٤٢٧] الأنعام (١٠٣)

[٤٢٨] وهذا لا يستغرب في زمننا فهناك سرعة الضوء والصوت وغيرها وهذا أسرع منه.

وقد قيل : إن الحكمة في الإسراء به راكباً مع القدرة على طي الأرض له ، الإشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة في مقام خرق العادة ، لأن العادة جرت أن الملك : إذا استدعى من يختص به بعث إليه بمركوب يحمله عليه في وفادته إليه .

تسمية البراق وشكله وسرعته

والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض و لم يكن على شكل الفرس إشارة إلى أن الركوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف ، أو لإظهار المعجزة بوقوع الإسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة وذكره بقوله : أبيض باعتبار كونه مركوباً أو عطفاً على لفظ البراق .

واختلف في تسميته بذلك فقيل : من البريق وقال القاضي عياض : لكونه ذا لونين ، يقال : شاة برقاء، إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود وقيل من البرق، لأنه وصف بسرعة السير. ووصف بأنه يضع خطوة عند أقصى طرفه أي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره . وفي حديث ابن مسعود عن أبي يعلى والبزار [إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه] .

وفي رواية معمر عن قتادة عن أنس : أن رسول الله ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به مسرجاً ملجماً ، فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما حملك على هذا ، ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه

قال : فارفض عرقاً أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب .

ما رآه ﷺ ليلة الإسراء

في حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار : أنه ﷺ مر على قوم يزرعون ويحصدون في كل يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟ فقال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، ثم مر على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الضريع والزقوم ورضف

جهنم ن فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم آخر بيء في قدر خبيث ، فجعلوا يأكلون البيء الخبيث، ويدعون النضيج ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح. والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها . ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ،كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد فيه ريحاً طيبة باردة ، وريح مسك ، وسمع صوتاً ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : رب أتني بما وعدتني ، فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي ، وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري ، فأتني بما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، ومن أمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ، ولم يتخذ من دوني أنداداً ، ومن خشيتي فهو آمن ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني أجزيته ، ومن توكل علي كفيته ، إنني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : رضيت ، ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ، ووجد ريحاً منتنة فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : رب أتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وفساقي وعذابي ، وقد بعد قعري واشتد حري ، فأتني بما وعدتني قال : لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة ، وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب، قالت : رضيت، قال : فسار حتى أتى بيت المقدس.[٤٢٩]

[٤٢٩] رواه البيهقي وابن جرير وأبو يعلى

اللقاء بالأنبياء والملائكة

وفي حديث عن أبي هريرة – عند البزار والحاكم – أنه ﷺ صلى ببيت المقدس مع الملائكة وأنه أتي هناك بالأنبياء فأثنوا على الله وفيه قول إبراهيم : لقد فضلكم محمد .

وفي رواية عبد الرحمن بن هشام عن أنس : ثم بعث له آدم فمن دونه فأمهم تلك الليلة .

وفي حديث أبي أمامة –عند الطبراني– : ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً ﷺ .

اختيار الفطرة

وفي رواية ثابت البناني عند أنس عن مسلم قال : فربطته يعني البراق بالحلقة والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس ، قال ﷺ : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، قال جبريل : اخترت الفطرة.[٤٣٠] أي اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة ،وبه نبت اللحم ونشز العظم أو اخترته لأنه الحلال الدائم في دين الإسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر .

قال النووي : المراد بالفطرة هنا ، الإسلام والاستقامة ، قال : وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً سائغاً للشاربين سليم العاقبة ، أما الخمر فإنها أم الخبائث .

وقال القرطبي : يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه أول شيء يدخل جوف المولود ويشق أمعاءه والسر في ميل النبي ﷺ إليه دون غيره لكونه مألوفاً له أولاً .

وفي حديث ابن عباس ــ عن أحمد ــ فلما أتى المسجد الأقصى قام يصلي ، فلما أنصرف جيء بقدحين في أحدهما لبن ، وفي الآخر عسل ، فأخذ اللبن ، وقد كان إتيانه بالأواني مرتين ، مرة عند فراغه من الصلاة ، ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة .

الصلاة بالنبيين

[٤٣٠] رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم / ٢٥٩ /

وفي رواية ابن مسعود : ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم .

وفي رواية ابن أبي حاتم في تفسيره ، عن أنس : فلما بلغ بيت المقدس، فبلغ المكان الذي يقال له: باب محمد أتى إلى الحجر الذي به ، فغمز جبريل بإصبعه فنقبه ثم ربطها ، ثم صعدا ، فلما استويا في سرحة المسجد قال جبريل : يا محمد ، هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ قال : نعم ، قال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، قال : فسلمت عليهن فرددن علي السلام ، فقلت : لمن أنتن ؟ فقلن : خيرات حسان ، نساء قوم أبرار ، نقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال : ثم فانصرفت فلم ألبث إلا يسيراً ، حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال : فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال لي جبريل : أتدري من صلى خلفك ؟ قلت: لا، قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله .

قال القاضي عياض : يحتمل أن يكون ﷺ صلى بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس ثم صعد منهم من ذكر أنه ﷺ رآه في السماوات ، والأظهر أن صلاته بهم في بيت المقدس كانت قبل العروج .

الكلام على هذه الصلاة

وقد اختلف في هذه الصلاة ، هل هي فرض أو نفل ؟ وإذا قلنا إنها فرض فأي صلاة هي ؟ قال بعضهم : الأقرب أنها الصبح ، ويحتمل أن تكون العشاء ، وإنما يتأتى على قول من قال : إنه صلى بهم قبل عروجه إلى السماء وأما على قول من قال : إنه صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح .

صفة المعراج

وفي رواية ابن إسحاق : أنه ﷺ قال : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتي بالمعراج و لم أرقط شيئاً أحسن منه ، وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا أحتضر ، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى إلى باب من أبواب السماء .

وفي رواية أبي سعيد ــ عن البيهقي ــ ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج ، أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء ، فإن ذلك عجبه بالمعراج .

استبشار أهل السماء . وفي رواية شريك ــ عن البخاري ــ ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء الدنيا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا :وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً وأهلاً فيستبشر به أهل السماء .

فتح أبواب السماء

ثم إن في قوله في الحديث " افتح " دلالة على أنه صادف أبواب السماء مغلقة والحكمة من ذلك : التنويه بقدره ﷺ وتحقيق أن السموات لم تفتح أبوابها إلا من أجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحرر أنها فتحت من أجله فلما فتحت له تحقق ﷺ أن المحل مصون وأن فتحه له كرامة وتبجيل.

كيفية رؤيته ﷺ للأنبياء

وقد اختلف في رؤية نبينا ﷺ لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم إلا عيسى ، لما ثبت من رفع جسده وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس ، فيحتمل الأرواح خاصة ، ويحتمل الأجساد بأرواحها . وقيل : يحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى لما أراد بإسراء نبينا ﷺ رفعهم من قبورهم لتلك المواضع إكراماً لنبيه ﷺ وتعظيماً له حتى يحصل له من قبلهم ما أشرنا إليه من الأنس والبشارة . وكل هذه الوجوه محتمل ولا ترجيح لأحدها على الآخر إذ القدرة صالحة لكل ذلك .

الأنهار المشاهدة ليلة الإسراء

وأما قوله في الحديث : (ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : وما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات.)[٤٣١]

[٤٣١] البخاري برقم (٣٦٧٤)

وعن مسلم من حديث أبي هريرة : (أربعة أنهار من الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان) فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والأنهار تخرج من أصلها فيصح أنها من الجنة .

ووقع في حديث شريك كما عند البخاري : أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل : هما النيل والفرات عنصرهما . والجمع بينهما : أنه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة وأراد بـــ " العنصر " عنصر انتشارهما بسماء الدنيا .

سدرة المنتهى

وقد وقع في حديث ثابت عن أنس عن مسلم : (ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها .) وقد جاء في حديث ابن مسعود عن مسلم بيان سبب تسميتها بـــ " سدرة المنتهى " ولفظه : (لما أسري برسول الله ﷺ قال : انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها).

وقال النووي : لأن علم الملائكة ينتهي إليها و لم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ .

البيت المعمور

وأما قوله ﷺ في الحديث : (ثم رفع إلي البيت المعمور فمعناه أنه أري له ، وقد يحتمل أن يكون المراد الرفع والرؤية معاً لأنه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم حتى لا يقدر على إدراكه ، فرفع إليه وأمد بصره وبصيرته حتى رآه . وروى الطبراني من حديث ابن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال : البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون ألف ملك كل يوم إذا خرجوا منه لم يعودوا .

سماع صريف الأقلام

وفي رواية البخاري في الصلاة (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام)

وصريف الأقلام : تصويتها حالة الكتابة ، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى .

وصف الجنة

وقد وقع في رواية أبي ذر عن مسلم وغيره : (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) والجنابذ : هي القباب ويؤيده ما في " التفسير " من البخاري من حديث قتادة عن أنس: (لما عرج به ﷺ قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ) .

وفي حديث أبي سعيد[٤٣٢] : أنه عرضت عليه الجنة ، وأن رمانها كأنه الدلاء وإذا طيرها كأنه البخت ، وأنه عرضت عليه النار فإذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها .

ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن أنس : (بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، وإذا طينه مسك أذخر ، فقال جبريل : هذا الكوثر .

ووقع في حديث أبي سعيد الخدري عن البيهقي : ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا كل ورقة منها تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عين تجري يقال لها : السلسبيل ، فيشق منها نهران ، أحدهما الكوثر ، والآخر يقال له : الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، ثم رفعت إلى الجنة ، فاستقبلتني جارية ، فقلت : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : لزيد بن حارثة وفيه : فإذا رمانها أنه الدلاء عظماً ثم عرضت عليه النار ، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني .

رؤيته ﷺ ربه تعالى

واعلم أنه قد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في رؤيته ﷺ لربه ليلة الإسراء .

رأي أم المؤمنين عائشة

[٤٣٢] عن البيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم

روى البخاري من حديث مسروق قال : (قلت لعائشة : يا أمتاه ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[٤٣٣]

(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)[٤٣٤] . ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)[٤٣٥]. ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)[٤٣٦] . ولكنه (رأى جبريل في صورته مرتين)[٤٣٧]

قال النووي : لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع وغنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة ، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً .و لم ينف أحد رؤية البصيرة بالفؤاد (ما كذب الفؤاد ما رأى) .

رأي ابن عباس

أخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : (رأى محمد ربه ، فقلت : أليس يقول الله : " لا تدركه الأبصار " قال: ويحك ، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين) .

إثبات الرؤية في الآخرة

وقال آخرون من المعتزلة ، بمقتضى ما فهموا من هذه الآية : أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة . فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك ، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله ورسوله ﷺ .

أما الكتاب: فقوله تعالى : "وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة "[٤٣٨] وقوله " كلا إنهم عن ربهم يؤمئذٍ لمحجوبون"[٤٣٩]

---

[٤٣٣] سورة الأنعام /١٠٣/
[٤٣٤] سورة الشورى /٥١/
[٤٣٥] سورة لقمان / ٣٤ /
[٤٣٦] سورة المائدة / ٦٧ /
[٤٣٧] رواه البخاري برقم / ٤٨٥٥ /
[٤٣٨] سورة القيامة /٢٢-٢٣/
[٤٣٩] سورة المطففين /١٥/

وأما السنة : فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ : أن المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات.[٤٤٠]

الآراء في رؤيته ﷺ ربه تعالى

١-ذهبت عائشة وابن مسعود إلى أنه ﷺ لم ير ربه ليلة الإسراء

٢-ذهب إلى إثباتها جماعة منهم : الحسن ، وعروة بن الزبير ، وكعب الأحبار ، والزهري ، وأصحاب ابن عباس ، ومعمر ، والأشعري وغالب أتباعه .

*واختلفوا في الرؤية : هل كانت عينية أم قلبية ؟

١-أخرج مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى : "ما كذب الفؤاد ما رأى "

(ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رآه بفؤاده مرتين (كما ذكرناه سابقاً) .

٢-وفي مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: (نور أنَّى أراه) ومعناه: أن النور منعني من الرؤية (وهذا لا يتعارض مع رؤيته بالفؤاد) .

فرض الصلاة

في الحديث الثابت عند مسلم : عن أنس عن رسول الله ﷺ : (فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم . قال : فرجعت إلى ربي فحط عني خمساً ... فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات في اليوم والليلة ، لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ... فقال موسى : أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقلت : لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

موقف قريش من الإسراء

[٤٤٠] تفسير ابن كثير ١٦٢/٢

-روى الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها : (لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك ، فأرتد ناس كانوا آمنوا ، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا : هل لك إلى صاحبك ، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، قال : وقد قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن قال ذلك لقد صدق ... إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، فلذلك سمي الصديق) .

-وعندما سألوه أن يصف لهم بيت المقدس : في رواية البخاري : (فجلا الله لي بيت المقدس) أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته .

وفي رواية مسلم : (فسألوني عن أشياء لم أثبتها ، فكربت كرباً شديداً لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء غلا أنبأتهم به) .

وفي رواية أحمد عن ابن عباس :(فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعتّه وأنا أنظر إليه)

وفي رواية لابن أبي حاتم ذكرها البيهقي بإسناد صحيح عن أنس : (ثم أتى مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى ، وقال لهم : إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعيركم في مكان كذا وكذا ، وقد أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان ، ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان ، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى إذا كان قريب من نصف النهار أقبلت البعير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه ﷺ .

المقصد السادس

(فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ﷺ ، وصدق نبوته ، وقسمه على تحقيق رسالته ، ووجوب طاعته وإتباع سنته ، والتنويه به في الكتب السابقة ...)

النوع الأول : في الآيات التي تتضمن تعظيم قدره

١-قال تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات"[٤٤١] وهذا القول يعني أن محمداً ﷺ رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه : -بالذات في المعراج ، -وبالسيادة على جميع البشر ، -وبالمعجزات لأنه ﷺ أوتي من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله . وكذلك بينت الآية أن مراتب الرسل متفاوتة خلافاً للمعتزلة .

ويؤيد ذلك :

-ما رواه الترمذي عن أنس : (أنا أكرم ولد آدم يومئذٍ على ربي ولا فخر) .

-وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي). -وقال الترمذي : حسن صحيح .

وينبغي التأكيد هنا على أن النبوة في نفسها لا تتفاضل ، وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب .

٢-قوله تعالى : "ورفعنا لك ذكرك"[٤٤٢]

روى ابن جرير والطبراني وابن حيان من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : أتاني جبريل عليه السلام فقال : (عن ربي وربك يقول : " أتدري كيف رفعت ذكرك ؟ " قلت : الله أعلم ، قال : إذا ذكرتُ ذكرتَ معي) .

قال البيضاوي : وأي رفعة مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة ، وجعل طاعته طاعة له عز وجل ، يشير إلى ذلك قوله تعالى: " من يطع الرسول فقد أطاع الله"[٤٤٣]

ومن ذلك : أنه عز وجل سماه من أسمائه الحسنى بنحو سبعين اسماً ، وصلى عليه في ملائكته ، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه . وكذلك كتبه نبياً وآدم بين الروح والجسد ،

---

[٤٤١] سورة البقرة /٢٥٣/

[٤٤٢] سورة الشرح /٤/

[٤٤٣] سورة النساء /٨٠/

وختم النبوة والرسالة به لقوله ﷺ : (إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ...)[٤٤٤]

٣-" إنا أعطيناك الكوثر "

أي أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها .

واختلف المفسرون في تفسير (الكوثر) على وجوه :

-منها : أنه نهر في الجنة ، وقيل : الكوثر أولاده ، وهي رد على من عابه بعدم الأولاد ، وقيل : هو الخير الكثير ، وقيل النبوة والإسلام ، وقيل : كثرة الأتباع والأشياع .

-وجاء في صحيح مسلم من حديث أنس : (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسماً ، فقلنا : ما يضحكك أضحك الله سنك يا رسول الله ؟ قال : نزلت عليَّ آنفاً سورة : " إنا أعطيناك الكوثر ..... " ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي ، علي خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ...)

٤-تكريمه ﷺ بالخطاب :

جرت عادة الله مع أنبيائه عليهم السلام أنه يناديهم بأسمائهم الأعلام ، وأما نبينا محمد ﷺ فناداه بالوصف الشريف فقال : " يا أيها الرسول ، يا أيها النبي " .

النوع الثاني : أخذ الله الميثاق له على النبيين

قال الله تعالى : " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه " [٤٤٥]

وعن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ ــ وهو حي ــ ليؤمنن به ولينصرنه . وقيل معناه : أن

[٤٤٤] المستدرك للحاكم برقم /٤١٧٥/ وهو عن ابن حبان والطبراني ومسند أحمد

[٤٤٥] سورة آل عمران – الآية /٨١/

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد ﷺ أن يؤمنوا به وأن ينصروه.

وقال السبكي في الآية : إنه ﷺ على تقرير مجيئهم في زمانه يكون مرسلاً إليهم ، فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة .

النوع الثالث : وصف الله له بالشهادة وشهادته له بالرسالة

١-قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة السلام : "ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم "[٤٤٦]

وقد امتن الله تعالى على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم فقال: " لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة"[٤٤٧]. فليس لله منة على المؤمنين أعظم من إرساله محمداً ﷺ إليهم .

٢-قوله تعالى : " هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ..."[٤٤٨]. والمراد بالأميين : العرب ، تنبيهاً لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم ، فمنَّ الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الأمم وأعلمهم .

وفي كونه ﷺ (منهم) فائدتان :

-الأولى : أن هذا الرسول كان أيضاً أمياً كأمية المبعوث فيهم .

-الثانية : التنبيه على أن المبعوث منهم يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته .

٣-قوله تعالى: " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً "[٤٤٩] . أي شاهداً على الوحدانية ، وشاهداً في الدنيا بأحوال الآخرة ، وشاهداً في الآخرة بأحوال الدنيا، وشاهداً على الخلق يوم القيامة.

٤-قوله تعالى: " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله "[٤٥٠].

---

[٤٤٦] سورة البقرة – الآية/١٢٩/

[٤٤٧] سورة آل عمران- الآية/١٦٤/

[٤٤٨] سورة الجمعة_ الآية/٢/

[٤٤٩] سورة الأحزاب – الآية/٤٦/

[٤٥٠] سورة الفتح –الآية /٢٨/

فيظهر ظهورين : ظهوراً بالحجة والبيان ، وظهوراً بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصوراً .

٥-قوله تعالى: " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً "[٤٥١]. ففي الآية دلالة على أنه

مبعوث إلى كافة الثقلين .

٦-قوله تعالى : " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ..."[٤٥٢]

وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة ما بين إرساله ﷺ وعيسى بن مريم عليه السلام . فقال النهدي وقتادة : ستمائة سنة ، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي ، وقال الضحاك : أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ، وذكر ابن عساكر : تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة .

٧-قوله تعالى " " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "[٤٥٣]

قال ابن عباس : رحمة للبر والفاجر ، لأن كل نبي إذ كُذب أهلك الله من كذبه . ومحمد أخرِّ من كذبه إلى الموت أو إلى القيامة . وقيل : لجميع الخلق ، للمؤمن رحمة بالهداية ، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ، ورحمة للكافر بتأخير العذاب .

٨-قوله تعالى : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين "[٤٥٤] . ففي الآية دليل على أنه لا نبي بعده ولا رسول بطريق الأولى .

وفي حديث أنس الذي رواه الترمذي مرفوعاً : (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) .

ولا يقدح في هذا نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعده ، لأنه إذا انزل كان على دين نبينا ﷺ ومنهاجه .

---

[٤٥١] سورة الأعراف– الآية /١٥٨/

[٤٥٢] سورة المائدة – الآية/١٩/

[٤٥٣] سورة الأنبياء الآية/١٠٧/

[٤٥٤] سورة الأحزاب – الآية/٤٠/

النوع الرابع : في التنويه به في الكتب السالفة بأنه صاحب الرسالة

قال الله تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل "[٤٥٥] وقال عز وجل : " يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون "[٤٥٦] .

وقال جل شأنه:"إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي بعدي اسمه أحمد"[٤٥٧] ولكن أهل الكتاب يكتمون الحق ، " ويحرفون الكلم عن مواضعه "[٤٥٨] ، وإلا فهم _ قاتلهم الله _ قد عرفوا محمداً كما عرفوا أبناءهم ، ووجدوه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، لكنهم حرفوهما وبدلوهما .

ويحتمل أنهم كانوا يظنون أنه من بني إسرائيل ، فلما بعثه الله من العرب ، من نسل إسماعيل عظم ذلك عليهم وأظهروا التكذيب ، فلعنة الله على الكافرين .

وفي البخاري : عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال : (أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم بهالملة العوجاء ، بأن قولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)[٤٥٩]

النوع الخامس : في أقسامه عز وجل على مكانة نبيه ﷺ

الفصل الأول : قسمه تعالى على خلقه العظيم :

قال الله تعالى : : ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً عير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم "[٤٦٠] . وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته. ولقد

[٤٥٥] سورة الأعراف _ الاية/٥٧/
[٤٥٦] سورة آل عمران _ الآية/٧١/
[٤٥٧] سورة الصف – الآية/٦/
[٤٥٨] سورة المائدة –الآية /١٣/
[٤٥٩] البخاري برقم /٤٨٣٨/
[٤٦٠] سورة القلم الآية/١-٥/

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن).[٤٦١] ومن ثم قال ابن عباس : أي على دين عظيم ، فكانت أخلاقه ﷺ مقتبسة من القرآن .

الفصل الثاني : قسمه تعالى على ما أنعم به على نبيه ﷺ

قال الله تعالى : " والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى ..."[٤٦٢]

فأقسم الله تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه . وأقسم الله تعالى بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وهما : الليل والنهار ونفى سبحانه أن يكون ودّع نبيه أو قلاه ، أي تركه أو أبغضه .

وقد دلت هذه الآيات بالجملة على أنه تعالى يعطيه ﷺ حتى يرضيه .

الفصل الثالث : قسمه تعالى على تصديق نبيه فيما أتى به من الكتاب والوحي

١-قال الله تعالى : "والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى"[٤٦٣]. فأقسم الله تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغي ، وعى تنزيه نطقه أن يصدر عن هوى ، بل كل ما ينطق به مما يوحى إليه . فإن نطقه بالقرآن والسنة ، وإن كليهما وحي ، قال الله تعالى: " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة "[٤٦٤] ، وهما القرآن والسنة . وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسنةكما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها .

٢-قوله تعالى : " فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ، إنه لقول رسول كريم "[٤٦٥] . فأقسم الله تعالى بالنجوم في طلوعها وجريانها وغروبها ، وبانصرام الليل وإقبال النهار على أن القرآن قول رسول كريم ، وهو هنا جبريل ، وأما الرسول الكريم في سورة الحاقة فهو محمد ﷺ ، فأضافه إلى الرسول الملكي تارة ، وإلى الرسول البشري تارة وهذه الإضافة إضافة تبليغ ، لا إضافة إنشاء من عندهما ، ولفظ الرسول يدل على ذلك ، فالرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله ، فهذا صريح في أنه

---

[٤٦١] رواه مسلم وأحمد وأبو داود

[٤٦٢] سورة الضحى _ الآية/٢/

[٤٦٣] سورة النجم – الآية/١-٤/

[٤٦٤] سورة النساء –الآية /١١٣/

[٤٦٥] سورة التكوير – الآية /١٥/

كلام من أرسل جبريل ومحمداً ﷺ فجبريل تلقاه عن الله ، ومحمد ﷺ تلقاه عن جبريل .

الفصل الرابع : قسمه تعالى بعمره وبله وعصره ﷺ :

١-قال الله تعالى : " لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون "[٤٦٦] . روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما خلق الله ، وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره (مستدلاً بهذه الآية) .

٢-قوله تعالى : " لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد "[٤٦٧]. فأقسم الله تعالى بالبلد الأمين وهي مكة بلده ﷺ ، وقيده بحلوله ﷺ فيه إظهاراً لمزيد فضله ، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله .

٣-قوله تعالى : " والعصر إن الإنسان لفي خسر "[٤٦٨]. فالعصر هو عصره ﷺ الذي هو فيه أي زمانه . وعلى هذا يكون سبحانه وتعالى قد أقسم بزمانه وبمكانه وبعمره ، وذلك كله كالظرف له فإذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف ، قال : ووجه القسم كأنه تعالى قال : ما أعظم خسرانهم إذا أعرضوا عنك .

النوع السادس : وصفه تعالى له بالنور والسراج المنير :

قال الله تعالى : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين "[٤٦٩].

وقال تعالى : " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً "[٤٧٠].

والمراد كونه هادياً مبيناً كالسراج الذي يري الطريق ويبين الهدى والرشاد فبيانه أقوى وأتم وأنفع من نور الشمس ، فكما أن الشمس في عالم الأجسام تفيد النور لغيرها ، فكذا نفس النبي ﷺ تفيد الأنوار العقلية لسائر الأنفس البشرية .

النوع السابع : آيات تتضمن وجوب طاعة وإتباع سنته :

---

[٤٦٦] سورة الحجر – الآية/٧٢/

[٤٦٧] سورة البلد _ الآية/١-٢/

[٤٦٨] سورة العصر _ الآية//

[٤٦٩] سورة المائدة – الآية/١٥/

[٤٧٠] سورة الأحزاب –الآية /٤٦/

١-قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله "[٤٧١].

وقال تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله "[٤٧٢].

قال القاضي عياض : فجعل طاعته طاعة لرسوله ، وقرن طاعته بطاعته ، ووعد على ذلك بجزيل الثواب ، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب . فمن أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً إلى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله .

*وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم في جميع الأوامر والنواهي ، وفي كل ما يبلغه عن الله ، لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى .

٢-قال الله تعالى : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ".[٤٧٣] فجعل سبحانه إتباع رسوله ﷺ مشروطاً بمحبتهم لله ، وشرطاً لمحبة الله لهم ، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة .

٣-وقال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ".[٤٧٤] فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في جميع أموره ، ويرضى بجميع ما حكم به ، وينقاد له ظاهراً وباطناً ، سواء كان الحكم موافقاً لأهوائه أو يخالفها . وبين الله تعالى أنه لا يكمل إيمانه إلا بعد ألا يلتفت إلى ذلك الحرج ويسلم إلى النص تسليماً كلياً .

النوع الثامن : فيما يتضمن الأدب معه :

١-عدم التقدم بين يديه _ قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله"[٤٧٥]

---

[٤٧١] سورة الأنفال – الآية/٢٠/

[٤٧٢] سورة النساء _ الآية/٨٠/

[٤٧٣] سورة آل عمران _ الآية/٣١/

[٤٧٤] سورة النساء – الآية/٦٥/

[٤٧٥] سورة الحجرات –الآية /١/

فمن الأدب ألا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن امتثالاً لأمر الله في هذه الآية . وهذا باق إلى يوم القيامة ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته .

٢-عدم رفع الصوت عنده _ قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض "[٤٧٦].

روى البخاري : (كاد الخيران أن يهلكا _ أبو بكر وعمر _ رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأنزل الله : " يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم " قال ابن الزبير : فكان عمر لا يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه)[٤٧٧].

وقد روي أن أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله عز وجل أدّب قوماً فقال : " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي " ومدح قوماً فقال : " إن الذين يغضون أصواتهم " . وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان أبو جعفر .

٣-الأدب في دعائه _ قال تعالى : " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً "[٤٧٨]. وفي الآية قولان : الأول : لا تدعوه باسمه ، بل قولوا : يا رسول الله مع التوقير والتواضع .

الثاني : المبادرة لإجابته وعدم مراجعته بغير إذنه .

٤-استئذانه – قال تعالى : " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ".[٤٧٩] فمن الأدب معه : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد في حاجة له حتى يستأذنه .

ومن باب أولى إذا كان الأمر يتعلق بتفاصيل الدين أصوله وفروعه فهل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه ؟ " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "[٤٨٠].

٥-التسليم والانقياد له : وهذا من الأدب معه بتلقي خبره بالقبول والتصديق دون معارضة أو شك أو شبهة.

---

[٤٧٦] سورة الحجرات - الآية/٢/

[٤٧٧] البخاري

[٤٧٨] سورة النور _ الآية /٦٣/

[٤٧٩] سورة النور _ الآية /٦٢/

[٤٨٠] سورة النحل _ الآية /٤٣/

النوع التاسع : رد الله تعالى على عدو نبيه ﷺ :

١-لما قال المشركون : " يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون "[٤٨١].

رد الله عليهم بقوله : " ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون "[٤٨٢].

٢-لما وقف العاص بن وائل السهمي مع النبي ﷺ وحدثه قال أناس من صناديد قريش للعاص من الذي كنت تحدث معه ؟ قال : ذلك الأبتر ، فرد الله عليه بقوله : "إن شانئك هو الأبتر"[٤٨٣] أي : عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير .

٣-ولما قالوا : " لست مرسلاً "[٤٨٤]. أجاب الله عنه بقوله : " يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين "[٤٨٥]

٤-ولما قالوا : " أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون "[٤٨٦] . رد الله عليهم بقوله : " وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين "[٤٨٧].

٥-ولما قال الوليد بن المغيرة : " إن هذا إلا سحر يؤثر "[٤٨٨]. رد الله عليه بقوله : " كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون "[٤٨٩].

٦-ولما قالوا : " ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق "[٤٩٠] . قال الله تعالى : " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق "[٤٩١]. فما أجل هذه الكرامة لنبينا ﷺ ، وقد كانت الأنبياء إنما يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم ، كقول نوح عليه السلام : " يا قوم ليس بي ضلالة "[٤٩٢]، وقول هود : " ليس بي سفاهة "[٤٩٣]، وأشباه ذلك .

---

[٤٨١] سورة الحجر _ الآية /٦/
[٤٨٢] سورة القلم _ الآية /١-٢/
[٤٨٣] سورة الكوثر - الآية/٣/
[٤٨٤] سورة الرعد – الآية/٤٣/
[٤٨٥] سورة يس _ الآية /١-٣/
[٤٨٦] سورة الطور _ الآية /٣٠/
[٤٨٧] سورة يس – الآية/٦٩/
[٤٨٨] سورة المدثر _ الآية /٢٤/
[٤٨٩] سورة الذاريات _ الآية /٥٢/
[٤٩٠] سورة الفرقان _ الآية /٧/
[٤٩١] سورة الفرقان – الآية/٢٠/
[٤٩٢] سورة الأعراف – الآية/٦١/
[٤٩٣] سورة الأعراف – الآية/٦٧/

النوع العاشر : في إزالة الشبهات عن آيات وردت في حقه ﷺ :

١-"ووجدك ضالاً فهدى "[٤٩٤] واختلف في تفسير (ضالاً) :

أ-وجدك ضالاً عن معالم النبوة ، وهو قول ابن عباس والحسن والضحاك ، ويؤيده قوله تعالى : " ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان "[٤٩٥].

ب-ما ذكره الإمام فخر الدين مرفوعاً : أنه ﷺ قال : ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله .

ج-محباً لمعرفتي،والضال: المحب،وهو مروي عن ابن عطاء،كما قال تعالى : " إنك لفي ضلالك القديم "[٤٩٦] أي محبتك القديمة .

د-وجدك ناسياً فذكرك ، وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة ، فهداه الله إلى كيفية الثناء حتى قال : لا أحصي ثناء عليك . وقد اتفق العلماء على أنه ﷺ ما ضلّ لحظة واحدة قط لأن الأنبياء معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته ، والتشكك في شيء من ذلك . وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر ، فلو جوّزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم .

٢-" ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك "[٤٩٧]، وقد اختلف في الآية :

أ-أنها مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ من أقداره (مقادير ما كلفه) .

ب-المراد : تخفيف أعباء النبوة التي يثقل الظهر القيام بأمرها ، فحط الله عنه ثقلها بأن يسرها عليه .

ج-معناه : عصمناك من الوزر الذي أنقض ظهرك لو كان حاصلاً ، ومن ذلك ما ورد في الحديث من حضوره لوليمة عرس فيها مزامير قبل البعثة ، فضرب الله على أذنه فما أيقظه إلا حر الشمس من الغد .

د-إنها ذنوب أمته صارت كالوزر عليه ، فأمنه الله من عذابهم في العاجل ، ووعده الشفاعة في الآجل .

٣-" ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر "[٤٩٨]، اختلف العلماء فيها :

---

[٤٩٤] سورة الضحى – الآية/٧-٨)

[٤٩٥] سورة الشورى – الآية/٥٢/

[٤٩٦] سورة يوسف – الآية/٩٥/

[٤٩٧] سورة الشرح – الآية/٢-٣/

[٤٩٨] سورة الفتح _ الآية/٢/

أ-ابن عباس : إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان .

ب-غفران ما وقع وما لم يقع .

ج-الطبري : ما كان عن سهو وغفلة وتأويل .

د-ابن عطاء : ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك .

هـ-المراد بالذنب : ترك الأوْلى ، وهو ليس بذنب .

*والأرجح قول السبكي : هو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب ، ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم الأخروية من الله على عباده .

٤-" يا أيها النبي اتق الله "[٤٩٩]. ولا مرية أنه ﷺ أتقى الخلق ،وإنما أمره الله بتقوى توجب استدامة الحضور.

-وقيل : المراد دم على التقوى

-وقيل : الخطاب مع النبي والمراد أمته .

٥-" فلا تكونن من الممترين "[٥٠٠]

المراد : قل لمن امترى يا محمد : لا تكونن من الممترين ، فليس الخطاب له ، وأنه ﷺ يخاطب به غيره

٦-" ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين "[٥٠١]

قال القاضي عياض : أمره الله تعالى بالتزام الصبر على إعراض قومه ، ولا يخرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر .

٧-" وإن كنت من قبله لمن الغافلين "[٥٠٢].

المعنى : لمن الغافلين عن قصة يوسف ، إذ لم تخطر ببالك ، فلم تعلمها إلا بوحينا .

٨-" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته "[٥٠٣].

فالمراد بالتمني هنا : التلاوة ، وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل الوهم عليه والنسيان فيما تلاه .

٩-" عبس وتولى أن جاءه الأعمى "[٥٠٤].

---

[٤٩٩] سورة الأحزاب _ الآية/١/

[٥٠٠] سورة الأنعام – الآية/١١٤/

[٥٠١] سورة الأنعام –الآية /٣٥/

[٥٠٢] سورة يوسف – الآية/٣/

[٥٠٣] سورة الحج _ الآية/٥٢/

ليس فيها إثبات ذنب له ﷺ ، بل إعلام الله له أن ذلك المتصدي له فمن لا يتزكى ، ولو كشف له حال الرجلين لاختار الإقبال على الأعمى ، وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغاً عنه واستئلافاً له ، فلا معصية لله ولا مخالفة له .

١٠-" عفا الله عنك لم أذنت لهم "[٥٠٥].

قال عمرو بن ميمون : اثنتان فعلهما الرسول ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء : إذنه للمنافقين ، وأخذه الفداء من الأسرى ، فاعلم أنا لا نسلم أن قوله تعالى : " عفا الله عنك " يوجب ذنباً ، و لم لا يقال إن ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه ، وليس (عفا) هنا بمعنى (غفر) ، بل كما قال ﷺ : (عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق) و لم تجب عليهم قط ، أي لم يلزمكم ذلك .

١١-" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم "[٥٠٦].

فالمعنى : لولا أن ثبتناك لقاربت أن تميل إلى إتباع مرادهم ، لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب فضلاً عن أن تركن إليهم ، وهو صريح في أنه ﷺ ما همَّ بإجابتهم مع قوة الدواعي إليها .

١٢-" ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه اليمين "[٥٠٧] .

فالمعنى: لو افترى علينا بشيء من عنده لأخذنا منه اليمين ولأهلكناه، وقد أعاذه الله من التقول عليه. فإن من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره، اقتضت حالته من حفظ مرتبة القرب والاختصاص أن تراعى مرتبته عن أدنى مشوش ، فهو إذا غفل أو أخل بمقتضى مرتبته نبّه بما لم ينبه عليه البعيد.

---

[٥٠٤] سورة عبس _ الآية/١-٢/
[٥٠٥] سورة التوبة – الآية/٤٣/
[٥٠٦] سورة الإسراء –الآية /٧٤/
[٥٠٧] سورة الحاقة – الآية/٤٦/

المقصد السابع

في وجوب محبته وإتباع سنته ومحبة آله والصلاة عليه

الفصل الأول : في وجوب محبته وإتباع سنته

محبته ﷺ :

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)[٥٠٨]. وزاد في رواية أنس (والناس أجمعين) .

قال القاضي عياض : وذلك شرط في صحة الإيمان ، لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال

وفي حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ : لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال النبي ﷺ : (لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) ، فقال عمر:والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي، فقال له : (الآن يا عمر)[٥٠٩]

*** حب الله تعالى :**

وإذا كان هذا شأن نبينا محمد ﷺ في وجوب تقديم محبتنا له على محبة أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين ، فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ؟ فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه .

*** نماذج من حب الصحابة له ﷺ :**

١-روى ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ ، فقالت : ما فعل رسول الله ؟ قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . (يعني صغيرة)[٥١٠].

٢-وقال عمرو بن العاص : ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ[٥١١].

---

[٥٠٨] البخاري _ / ١٥ /

[٥٠٩] البخاري _ /٦٢٥٧/

[٥١٠] القاضي عياض (الشفا)

[٥١١] أخرجه مسلم

٣-وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ .

٤-وذكر القاضي عياض : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من أهلي ومالي ، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك ، وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وأني إن دخلتها لا أراك ، فأنزل الله تعالى : " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ..."[٥١٢]. فدعا به فقرأها عليه .

محبة الله ورسوله

ذكر الإمام القشيري في رسالته عن أبي سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك ، فقال لي : يا مبارك من أحب الله فقد أحبني .

وكذلك كل حب في الله ولله ، كما في الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[٥١٣].

قال النووي : ومعنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ، ويؤثر ذلك على أعراض الدنيا ، ومحبة العبد لله تعالى تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول .

وتشهد أحوال الصحابة والسلف الصالح بأنهم وجدوا الحلاوة محسوسة . فمن ذلك : حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضاء إكراهاً على الكفر ، وهو يقول : أحد أحد ، فخرج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان .

وكذلك أيضاً عند موته ، كان أهله يقولون : واكرباه، وهو يقول: واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه ، فخرج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الإيمان المتولدة من محبة الله ورسوله .

حكم محبة الله

---

[٥١٢] رواه الطبراني في الصغير عن عائشة ، وابن مردويه عن ابن عباس ، والبقوبي في تفسيره عن ثوبان

[٥١٣] أخرجه البخاري ومسلم

واعلم أن محبة الله على قسمين : فرض وندب .

فالفرض : هي المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصي والرضا بالقدر .

والندب : أن يواظب على النوافل ويتجنب الشبهات .

ففي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال : (ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقربإلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ...)[٥١٤].

والمعنى : أنه لا يسمع إلا ذكري ، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ، ورجله كذلك .

علامات محبة الرسول ﷺ

١-الاقتداء به : قال الله تعالى : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله "[٥١٥].

فجعل تعالى متابعة رسوله آية محبة العبد ربه، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى إياه.

وفي الترمذي عن أنس مرفوعاً: (ومن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة)

٢-الرضى بما شرعه : قال الله تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً "[٥١٦].

قال ابن عطاء : في هذه الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكَّم الله ورسوله على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً .

٣-نصر دينه : وذلك بالقول والفعل ، والذب عن شريعته والتخلف بأخلاقه .

٤-التسلي عن المصائب : فإن المحب يجد في هذه المحبة ما ينسيه المصائب ، ولا يجد في مسها ما يجد غيره ، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب .

---

[٥١٤] البخاري – كتاب الرقائق – برقم /٦٥٠٢/

[٥١٥] سورة آل عمران – الآية/٣١/

[٥١٦] سورة النساء _ الآية/٦٥/

٥-كثرة ذكره : فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، والمحبة دوام الذكر للمحبوب ، وللمحب ثلاث علامات :

-أن يكون كلامه ذكر المحبوب ، -وصمته فكراً فيه ، وعمله طاعة له .

قال المحاسبي : فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلاً ، ولا يبغون عنه حولاً ، ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم ، وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذّ من ذكر المحبوب .

٦-تعظيمه عند ذكره : كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا ما قشعرت جلودهم وبكوا ، وكذلك كان الكثير من التابعين . فكان عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع . وكان جعفر بن محمد (الصادق) كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر النبي ﷺ أصفر لونه .

٧-الشوق إلى لقائه : فكان الصحابة رضي الله عنهم إذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله ﷺ واشتفوا بمشاهدته ، وتلذذوا بالجلوس معه ، والنظر إليه ، والتبرك به .

عن زيد بن أسلم : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة فرأى مصباحاً في بيت فإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول :

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواماً بكاء بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ﷺ ، فجلس عمر يبكي ، ثم قال إلى باب خيمتها فقال : السلام عليكم ثلاث مرات ، ثم قال : أعيدي علي قولك ، فأعادته بصوت حزين ، فبكى وقال لها : وعمر لا تنسينه يرحمك الله ، فقالت : وعمر فاغفر له يا غفار .

٨-محبة القرآن : وهو من علامات محبته ﷺ لأنه الذي أتى بالقرآن ، وإذا أردت أن تعرف ما عندك من محبة الله ورسوله فأنظر محبة القرآن من قلبك ، والتذاذك بسماعه .

روى البخاري : أن النبي ﷺ قال لابن مسعود : أقرأ عليّ ، قال : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟

فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ : " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً "[٥١٧]. قال : حسبك ، فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله تذرفان من البكاء.

٩-محبة سنته : وذلك لأن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى ، أو من حديث رسوله ﷺ تشربتها روحه وقلبه ونفسه ، فحينئذ يستنير قلبه ، ويشرق سره .

١٠-محبة ذكره : بأن يلتذ محبة بذكره الشريف ، ويطرب عند سماع اسمه المنيف ، وقد يوجب له ذلك سكراً يستغرق قلبه وروحه . ومرد هذا السكر اللذة المتولدة عن إدراك المحبوب ﷺ .

اجتماع الحب والمعصية

لا تنافي بيت ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب ، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله . بدليل قوله ﷺ للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم : (لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)[٥١٨]. وفي هذا رد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر .

درجة المحبة ودرجة الخلة

اختلف العلماء أيهما أرفع ؟

فجعلها بعضهم سواء ، وبعضهم جعل درجة الخلة أرفع احتجاجاً بقوله ﷺ : (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر)[٥١٩] ، وأطلق المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة رضي الله عنهم .

ويدلنا على أن درجة المحبة أرفع ما روي في قصة المعراج في مناجاته ﷺ لربه حيث قال له تعالى : يا محمد سل ، فقال يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، فقال له تعالى : ألم أعطك خيراً من هذا ... إلى قوله : واتخذتك حبيباً (أو فيما معناه)[٥٢٠].

---

[٥١٧] سورة النساء – الآية/٤١/

[٥١٨] رواه البخاري

[٥١٩] رواه البخاري ومسلم

[٥٢٠] رواه البيهقي

الفصل الثاني : في الصلاة عليه والتسليم

معنى الصلاة

قال الله تعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً"[٥٢١].

ومعنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء . عن ابن عباس : أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة . وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار . وحكى القاضي عياض عن القشيري أنه قال: الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريف وزيادة تكرمة ، وعلى من دون النبي رحمة .

* حكم الصلاة عليه

اختلف في حكمها على أقوال :

١-تجب في الجملة بغير حصر ، وأقلها مرة .

٢-يجب الإكثار منها دون تقييد بعدد . [القاضي عياض]

٣-تجب كلما ذكر ، لحديث : (رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل عليّ)[٥٢٢]. [الطحاوي]

٤-في كل مجلس مرة ، ولو تكرر ذكره مراراً .

٥-في كل دعاء . [الزمخشري]

٦-من المستحبات . [الطبري]

٧-تجب في العمر مرة في الصلاة أو غيرها : ككلمة التوحيد . [أبو بكر الرازي]

٨-تجب في الصلاة من غير تعيين المحل . [أبو جعفر الباقر]

٩-تجب في التشهد . [الشعبي]

١٠-تجب في العقود آخر الصلاة . (الشافعي مستدلاً بحديث أبي مسعود البدري : أنهم قالوا يا رسول الله : أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ... الحديث)[٥٢٣]

---

[٥٢١] سورة الأحزاب– الآية/٥٦/

[٥٢٢] رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم

١١-مندوبة ، والإكثار منها لحديث (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً) وحديث (أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة ...) وغيرها

صفة الصلاة عليه

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ إن النبي ﷺ خرج علينا ، فقلنا يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ...)[٥٢٤]

فإن قلت : ما موقع التشبيه في قوله (كما صليت على إبراهيم) مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به ؟

فقد أجاب العلماء بعدة أجوبة منها :

١-أنه قال ذلك تواضعاً ، وشرعه لأمته ليكتسبوا الفضيلة .

٢-إن التشبيه لأصل الصلاة لا للقدر .

٣-إن صلاة الله على إبراهيم وآله أن بارك الله فيهم وجعلهم مقيمي الصلاة وجعل فيهم النبوة ، والمصطفى ﷺ لا نبي بعده فهي دعاء لآله بالبركة والصلاح .

من صيغ الصلاة عليه

١-صلاة علي رضي الله عند المروية عن سلامة الكندي أن علياً كان يعلم الناس الدعاء فيقول : (اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات أجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ،والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل ،فاضطلع بأمرك بطاعتك ،مستوفزاً في مرضاتك ،واعياً لوحيك ،حافظاً لعهدك ،ماضياً على نفاذ أمرك ،حتى أورى قبساً لقابس آلاء الله ،اللهم أعل على بناء الناس بناءه ،وأكرم مثواه لديك ونزله ،وأتمم له نوره ،واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ،ومرضي المقالة ،ذا منطق عدل ،وخطة فصل ،وبرهان عظيم .)[٥٢٥]

---

[٥٢٣] رواه الترمذي وابن خزيمة والحاكم

[٥٢٤] رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي

[٥٢٥] رواه الطبراني ، وقال ابن كثير في سنده نظر

٢-صيغة صلاة ابن مسعود : ٠ عن عبد الله بن مسعود قال : إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه ، فقالوا له : علّمنا ، قال : قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون ...)[٥٢٦].

٣-عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد .[٥٢٧]

مواطن الصلاة عليه

١-التشهد الأخير : وهي واجبة فيه .

٢-خطبة الجمعة : فلا تصح إلا بها .

٣-عقب إجابة المؤذن : لقوله ﷺ : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)[٥٢٨].

٤-عقب دعاء القنوت .

٥-أثناء تكبيرات العيدين .

٦-عند دخول المسجد والخروج منه : (عن فاطمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صل على محمد ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج صل على محمد ، ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك)[٥٢٩].

٧-في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية .

٨-عند التلبية .

٩-عند الصفا والمروة .

---

[٥٢٦] رواه ابن ماجه

[٥٢٧] رواه أبو داود

[٥٢٨] رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأخرجه مسلم من حديث كعب بن علقمة

[٥٢٩] أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي

١٠-عند الاجتماع والتفرق : (عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه و لم يصلوا على نبيه إلا كان عليهم ترة)[٥٣٠].

١١-عند الصباح والمساء : لما رواه أبو الدرداء مرفوعاً : (من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة)[٥٣١] .

١٢-عند زيارة قبره الشريف : (لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام)[٥٣٢].

١٣-يوم الجمعة وليلتها : عن أوس بن أوس الثقفي قال رسول الله ﷺ : (من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق الله آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي ...)[٥٣٣].

فضيلة الصلاة عليه

١-أخرج مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : (من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً)

٢-وروى الطبراني من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً : (إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك من أمتك .

واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، ورفعه عشر درجات (قال الترمذي : حديث حسن صحيح) .

٣-وروى الترمذي أن أبي بن كعب قال: يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال : ما شئت ، قلت : الربع ؟ قال : ما شئت وإن زدت فهو خير لك ، قلت : فالنصف ؟ قال : ما شئت وإن زدت خير لك ، قلت : فالثلثين ؟ قال : ما شئت وإن زدت فهو خير لك ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ، قال : إذن تكفى همك ، ويغفر ذنبك . (قال الترمذي:حديث حسن)

حكم الصلاة على غير النبي ﷺ

الصلاة على بقية الأنبياء جائزة ، وهناك أحاديث تحث عليها لكنها ضعيفة .

---

[٥٣٠] رواه الترمذي
[٥٣١] رواه الطبراني
[٥٣٢] رواه أبو داود
[٥٣٣] رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه ابن حيان

أما الصلاة على غير الأنبياء فجائزة بالتبعية (اللهم صل على محمد وآل محمد) أما إفرادهم بالصلاة عليهم : فأجازه بعض العلماء مستدلين بآيات منها : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم "[٥٣٤]

ومنعه الجمهور من العلماء معللين ذلك بأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم ، وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولكن المنع ليس من باب التحريم بل كراهة تنزيه .

الفصل الثالث : حب آل البيت والقرابة والصحابة

اعلم أن الله تعالى لما اصطفى نبيه ﷺ على جميع من سواه ، أعلى ببركته من انتمى إليه نسباً ونسبة ، وألزم مودة قرباه كافة ، وفرض محبة جملة أهل بيته وذريته ، فقال تعالى : " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى "[٥٣٥]. وروى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده ، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه _ أو قال كساءه _ ثم تلا هذه الآية : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً "[٥٣٦] ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحق .

-(وعن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه ، وإني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور ، فتمسكوا بكتاب الله عز وجل ...ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد : من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى ، إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قيل : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس ...)[٥٣٧].

---

[٥٣٤] سورة التوبة _ الآية /١٠٣/
[٥٣٥] سورة الشورى – الآية /٢٣/
[٥٣٦] سورة الأحزاب – الآية /٣٣/
[٥٣٧] رواه مسلم

حب آل البيت

-أخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ : (إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا بماذا تخلفوني فيهما) .

-وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : (يا أيها الناس ارقبوا محمداً في أهل بيته)[٥٣٨]. وقال رضي الله عنه أيضاً : (لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من أصل قرابتي)[٥٣٩].

*وقد أثبت النبي ﷺ لأقاربه ما أثبت لنفسه فقال : (من أحبهم فبحبي أحبهم)[٥٤٠]. وقال عليه الصلاة والسلام : (أحبوا الله لما يغذوكم به ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي)[٥٤١].

*والمراد بقرابة رسول الله ﷺ من ينتسب إلى جده الأقرب عبد المطلب ممن صحب النبي أو رآه من ذكر وأنثى وهم : علي وأولاده من فاطمة (الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم) ، وجعفر بن أبي طالب وأربعة من أولاده ، وعقيل بن أبي طالب وابنه مسلم ، وحمزة بن عبد المطلب وأولاده الثلاث ، والعباس بن عبد المطلب وابناؤه العشرة وأخته ضباعة ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وولداه المغيرة والحارث ، وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب .

مكانة علي رضي الله عنه

-عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعلي:(أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[٥٤٢]. وأما ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فإن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته ، لا بعد موته ، لأنه مات قبل موسى باتفاق .

---

[٥٣٨] رواه البخاري
[٥٣٩] رواه البخاري
[٥٤٠] عمدة القاري ١٥٢/١
[٥٤١] رواه الترمذي وقال (حسن غريب)
[٥٤٢] رواه البخاري

أما حديث الترمذي والنسائي (من كنت مولاه فعلي مولاه) فقال الشافعي : يعني بذلك ولاء الإسلام ، كقوله تعالى : " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم "[٥٤٣].

(وليس في هذا خصوصية، بل لأن محبته رضي الله عنه علامة للإيمان وبراءة من النفاق .)

*** مكانة فاطمة رضي الله عنها**

-قالت عائشة رضي الله عنها:(كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله ﷺوزوجها أحب الرجال إليه)[٥٤٤]

-وحديث (إن فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني)[٥٤٥].

*** مكانة الحسن والحسين رضي الله عنهما**

-روى أسامة بن زيد أنه ﷺ قال في حسن وحسين : (اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)[٥٤٦]

-وفي حديث أنس أنه ﷺ كان يشمهما ويضمهما إليه ، ويقول : (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في الجنة)[٥٤٧].وفي رواية أحمد : (كان معي في درجتي يوم القيامة). وليس المراد بالمعية هنا من حيث المقام ، بل من حيث رفع الحجاب .

-وفي البخاري : (هما ريحانتاي من الدنيا) .

ذكر من أشبه النبي ﷺ

-عن علي قال:(الحسن أشبه رسول الله ما بين الرأس والصدر،والحسين أشبه النبي ما كان أسفل من ذلك)[٥٤٨]

-وممن أشبهه ﷺ : جعفر بن أبي طالب ، وقال له ﷺ : (أشبهت خلقي وخلقي)[٥٤٩] ، وكذلك ابنه عبد الله .

-ومنهم : قثم بن العباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب ، والسائب بن يزيد المطلبي ، وعبد الله بن عامر بن كريز ، وكابس بن ربيعة .

---

[٥٤٣] سورة محمد – الآية/١١/
[٥٤٤] رواه الترمذي
[٥٤٥] رواه البخاري
[٥٤٦] رواه الترمذي
[٥٤٧] رواه الترمذي
[٥٤٨] رواه الترمذي وابن حبان
[٥٤٩] رواه الترمذي ، وقال : حسن غريب

-وكذلك ابنته فاطمة وإبراهيم ولده ، وإبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويحي بن القاسم (ويقال له الشبيه وكانت له شامة تشبه خاتم النبوة) والمراد في الشبه في البعض ، وإلا فتمام حسنه ﷺ لا مثيل له .

منزلة العباس

-قال رسول الله ﷺ للعباس : (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ، ثم قال : أيها الناس ، من آذى عمي فقد آذاني ، فإنما عم الرجل صنو أبيه)[٥٥٠].

-وجلّله ﷺ وبنيه بكساء ثم قال : (اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً ، اللهم احفظه في ولده)[٥٥١].

حب الصحابة

- الصحابي : من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين ولو ساعة من نهار .

-وقد أثنى الله على الصحابة بقوله:"محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ...الآية"[٥٥٢]

وبعد أن وصفهم بالشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين ، أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام فيها ، ثم وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم .

-وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين ، لحديث: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٥٥٣]

-وكان آخر من مات منهم هو: عامر بن واثلة الليثي، وكان موته سنة مائة على الصحيح

أفضل الصحابة

-عند أهل السنة إجماعاً أفضلهم (أبو بكر) ثم (عمر) لحديث ابن عمر : (كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان)[٥٥٤].

---

[٥٥٠] رواه الترمذي وقال : حسن صحيح
[٥٥١] سورة الفتح – الآية /٢٩/
[٥٥٢] رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح
[٥٥٣] رواه البخاري
[٥٥٤] رواه البخاري

-وعند أهل السنة على أن علياً بعد عثمان ، وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان وهو رأي سفيان الثوري .

-وعن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : (عشرة في الجنة ، أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص ، وسكت عن العاشر،فقال له القوم ننشدك الله من العاشر؟فقال: (نشدتموني بالله ، سعيد بن زيد في الجنة)[٥٥٥].

وروى أبو موسى الأشعري قصة بشارة النبي ﷺ لأبي بكر وعمر وعثمان بالجنة في حديث (بئر أريس) الذي رواه البخاري[٥٥٦].

علامات محبة الصحابة

-فمحبة من أحبه الرسول ﷺ كآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله ﷺ

وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم .

-ومن محبتهم وجوب توقيرهم ، والاقتداء بهم بالسير على سنتهم وآدابهم والعمل بأقوالهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم لقول عائشة رضي الله عنها : (أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم)[٥٥٧].

-ويجب الإمساك عما شجر بينهم ، أي وقع بينهم من الاختلاف .

لأن ما وقع بينهم من المنازعات فله محامل وتأويلات ، فلا يجوز سبهم والطعن فيهم ، ولذلك قال النبي ﷺ : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ...)[٥٥٨].

---

[٥٥٥] رواه الترمذي

[٥٥٦] رواه البخاري _ / ٣٦٧٤/

[٥٥٧] رواه مسلم

[٥٥٨] رواه الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل

المقصد الثامن

في طبه وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالمغيبات

الفصل الأول : في طبه لذوي الأمراض والعاهات

عيادة المريض

-قد ثبت أنه ﷺ كان يعود من مرض من أصحابه ، فعاد غلاماً كان يخدمه من أهل الكتاب كما رواه أنس : (أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فعاده رسول الله فقعد عند رأسه ، فقال : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال : أطع أبا القاسم فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار)[٥٥٩].

-وفي حديث أبي موسى مرفوعاً : (أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العاني)[٥٦٠].

-وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً : (من عاد مريضاً ناداه منادٍ من السماء : طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً)[٥٦١].

-وكان ﷺ يسأل المريض عن شكواه ، وكيف يجد ، وعما يشتهيه ، فإن اشتهى شيئاً وعلم أنه لا يضره أمر له به ، ويضع يده على جبهته ، وربما وضعها بين ثدييه ، ويدعو له ، ويصف له ما ينفعه في علته . قالت عائشة رضي الله عنها : (كان ﷺ إذا عاد مريضاً يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول : بسم الله)[٥٦٢] .

*** الحث على التداوي**

-عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء)[٥٦٣] .

-وفي حديث أنس : (إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا)[٥٦٤] .

-وهذه الأحاديث فيها الإشارة إلى إثبات الأسباب،وأن ذلك لا ينافي التوكل . قال ابن القيم في (زاد المعاد):

---

[٥٥٩] رواه البخاري وأبو داود
[٥٦٠] رواه البخاري
[٥٦١] رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه
[٥٦٢] رواه أبو يعلى بإسناد حسن
[٥٦٣] متفق عليه
[٥٦٤] مسند أحمد

وفي قوله ﷺ : (لكل داء دواء) تقوية لنفس المريض والطبيب ، وحث على طلب ذلك الدواء ، والتفتيش

عليه ، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء .

النوع الأول : في طبه ﷺ بالأدوية الإلهية :

الاستشفاء بالقرآن :

-قال الله تعالى : " ونترل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين "[٥٦٥] . فالقرآن شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء من الأمراض الجسمانية .

-ونقل عن الشيخ القشيري أن ولده مرض مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت فأشتد عليه الأمر ، قال : فرأيت النبي ﷺ في المنام فشكوت إليه ما بولدي فقال : أين أنت من آيات الشفاء ؟ فانتبهت ففكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي : " ويشف صدور قوم مؤمنين "[٥٦٦] — " وشفاء لما في الصدور "[٥٦٧] — " يخرج من بطوها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس "[٥٦٨] — " ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين "[٥٦٩] — " وإذا مرضت فهو يشفين "[٥٧٠] — " قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء "[٥٧١] قال : فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال .

-وثبت عنه ﷺ قوله في بعض أدعيته: (وأن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وشفاء صدري)[٥٧٢] .

-وقد نبه ابن القيم على أن الآيات والأذكار والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعي قبول المحل ، وقوة همة الفاعل وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل ، أو لعدم قبول .

الاستشفاء بالدعاء

---

[٥٦٥] سورة الإسراء –الآية/٨٢/

[٥٦٦] سورة التوبة –الآية/١٤/

[٥٦٧] سورة يونس –الآية/٧٧/

[٥٦٨] سورة النحل –الآية/٦٠/

[٥٦٩] سورة الإسراء –الآية/٨٢/

[٥٧٠] سورة الشعراء –الآية/٨٠/

[٥٧١] سورة فصلت –الآية/٤٤/

[٥٧٢] رواه الإمام أحمد

ومن أنفع الأدوية الدعاء ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن . وإذا جمع من الدعاء حضور القلب ، وصادف وقت إجابة ، مع الخضوع والتضرع ،

والطهارة واستقبال القبلة ، بعد التوبة والاستغفار والصدقة ، فإنه لا يرد بإذن الله لا سيما إن دعاه بالأدعية التي أخبر عنها ﷺ أنها مظنة الإجابة .

*** الاستشفاء بالرقى**

-عن عائشة رضي الله عنها : أنه ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي : الفلق والناس والإخلاص.[٥٧٣] وكذلك ما ورد في التعويذ في القرآن ، كقوله تعالى : " وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين "[٥٧٤]

رقية الذي يصاب بالعين

-عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)[٥٧٥].

-قال ابن القيم عن العلاج النبوي لهذه العلة : (الإكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي ، أعوذ بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامّة ، ومن كل عين لامة . أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما خلق وذرأ وبرأ ... ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمان)[٥٧٦] .

-ومما يدفع به إصابة العين قول : (ما شاء الله ولا قوة إلا بالله)[٥٧٧]

-ومنها رقية جبريل للنبي ﷺ : (بسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك ، ومن شر كل ذي نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك)[٥٧٨].

-وإذا كان يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله : اللهم بارك عليه ، كما قال ﷺ لعامر بن ربيعة لما عاين سهل بن حنيف (ألا برّكت عليه)[٥٧٩].

رقية النبي ﷺ التي كان يرقي بها

---

[٥٧٣] رواه البخاري
[٥٧٤] سورة المؤمنون –الآية/٩٧/
[٥٧٥] صحيح مسلم /برقم : ٢١٨٨/
[٥٧٦] زاد المعاد – ابن القيم – (١٦٨/٤/
[٥٧٧] رواه البزار وابن النس عن أنس
[٥٧٨] رواه مسلم
[٥٧٩] رواه أحمد والنسائي

-عن مسروق عن عائشة أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله ويمسح بيده اليمنى ويقول : (اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً)[٥٨٠].

-عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم ، فقال النبي ﷺ :(ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[٥٨١].

طبه من الأرق

عن بريدة قال : شكا خالد إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق ، فقال ﷺ : (إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليّ أحد منهم أو يبغي علي ، عزّ جارك ، وجلّ ثناؤك ، ولا إله غيرك)[٥٨٢].

*** طبه من المصيبة**

روى الإمام أحمد في مسنده مرفوعاً : (ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها)[٥٨٣].

وهذه الكلمات تتضمن أصلين عظيمين تسلي العبد عن المصيبة :

-أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله ، وكل ما بيد العبد عارية عنده .

-الثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله .

طبه من الهم والكرب

-عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش الكريم)[٥٨٤].

---

[٥٨٠] رواه البخاري
[٥٨١] صحيح مسلم
[٥٨٢] رواه الترمذي (٢١١/٤)
[٥٨٣] رواه مسلم وأحمد ومالك
[٥٨٤] رواه البخاري /٦٣٤٥-٦٣٤٦/

-وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أهمه أمر رفع طرفه إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم .[٥٨٥]

-وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلفي إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت .[٥٨٦]

-وعن أبي سعيد الخدري قال : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة ، فقال : يا أبا أمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة ؟ فقال : هموم لزمتني وديون يا رسول الله ، فقال : ألا أعلمك كلاماً إذا انت قلته أذهب الله عز وجل همك ، وقضى دينك ، قال : قلت بلى يا رسول الله ، قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . قال : ففعلت ذلك فأذهب الله همي ، وقضى ديني .[٥٨٧]

-وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيف مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب)[٥٨٨].

طبه من داء الفقر

-عن ابن عمر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن الدنيا أدبرت عني وتولت ، فقال له : فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون ؟ قل عند طلوع الفجر : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم، أستغفر الله مائة مرة تأتيك الدنيا صاغرة ...)[٥٨٩]

*** طبه من داء الصرع**

-جاء في الصحيحين أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله لي ، فقال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك . فقالت : أصبر ، قالت : فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها .[٥٩٠]

---

[٥٨٥] رواه الترمذي
[٥٨٦] رواه أبو داود
[٥٨٧] سنن أبي داود
[٥٨٨] سنن أبي داود والنسائي والحاكم
[٥٨٩] رواه الخطيب في (رواة مالك)
[٥٩٠] رواه البخاري برقم /٢٢٤٢/ ومسلم برقم /٢٥٧٦/

-وأورد ابن القيم في حديثه عن علاج الصرع : وقد كان النبي ﷺ يقول : أخرج عدو الله أنا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك بآية الكرسي ويأمر بكثرة قراءتها للمصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين .

*** دواؤه من داء السحر**

-قال النووي : السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع .

-وقال النووي : والصحيح أن له حقيقة ، وبه قطع الجمهور ، وعليه عامة العلماء ، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة .

-وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ سُحِر ، حتى إن كان ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات ليلة عند عائشة فدعا ودعا ، ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته ؟ أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر ، قال : وأين هو ؟ قال : في بئر ذروان ، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه ، فقال : يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء ، فقلت يا رسول الله ﷺ أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافاني الله ، فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً ، فأمر بها فدفنت .[٥٩١]

رقيته من الصداع

-روى ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الصداع ويقول : (بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الكبير ، وأعوذ بالله العظيم من كل عرق نعار ومن شر حر النار).

-وأصاب أسماء بنت أبي بكر ورم في رأسها فوضع رسول الله ﷺ يده على ذلك وقال : (بسم الله أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك ، بسم الله) صنع ذلك ثلاث مرات ن وأمرها أن تقول ذلك [٥٩٢].

رقيته من وجع الضرس

---

[٥٩١] رواه البخاري برقم /١٤٩٩/ ومسلم برقم /٢١٨٩/

[٥٩٢] رواه البيهقي وابن النعمان بسنده

-روى البيهقي أن عبد الله بن رواحة شكا إلى النبي ﷺ وجع ضرسه ، فوضع ﷺ يده على خده الذي فيه وقال : (اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه ، بدعوة نبيك المكين المبارك عندك)[٥٩٣] سبع مرات ، فشفاه الله .

رقيه للحمى

عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ على عائشة وهي موعوكة ، وهي تسب الحمى ، فقال : لا تسبيها فإنها مأمورة ، ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله عنك ، قالت: علمني، قال: قولي (اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق ، يا أم ملدم[٥٩٤] إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ، ولا تنتني الفم ، ولا تأكلي اللحم ، ولا تشربي الدم ، وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلهاً آخر . فقالتها فذهبت عنها[٥٩٥].

ذكر ما يقي من كل بلاء

عن أبان بن عثمان عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي ...[٥٩٦]

النوع الثاني : طبه ﷺ بالأدوية الطبيعية :

ما كان يعالج به الصداع والشقيقة

-في الصحيح أنه ﷺ قال في مرض موته : (وارأساه) ، وأنه خطب وقد عصب رأسه . فعصب الرأس ينفع في الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس .

-وفي البخاري من حديث ابن عباس : احتجم ﷺ وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به .

-وفي تاريخ البخاري وسنن أبي داود : أن رسول الله ﷺ ما شكا إليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال له : احتجم وجعاً في رجليه غلا قال له اختضب بالحناء .[٥٩٧]

---

[٥٩٣] رواه البيهقي
[٥٩٤] كنية الحمى
[٥٩٥] رواه البيهقي
[٥٩٦] رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
[٥٩٧] سنن أبي داود

طبه للرمد

عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين)[٥٩٨]

طبه من العُذْرة

وهي وجع في الحلق يعتري الصبيان غالباً .

-في حديث أم قيس بنت محصن الأسدية أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها قد علقت عليه من العذرة ، فقال النبي ﷺ : (علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق ؟ عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب)[٥٩٩]. والدغر : غمز الحلق .

طبه لاستطلاق البطن (الإسهال)

-عن أبي سعيد الحذري أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إن أخي يشتكي بطنه-وفي رواية : استطلق بطنه- فقال : اسقه عسلاً ، فسقاه ، فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً ، فقال : صدق الله وكذب بطن أخيك .[٦٠٠]

طبه من يبس الطبيعة (الإمساك)

-عن أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله ﷺ : بماذا كنت تستمشين ؟ قالت : بالشبرم ، قال : حار حار (ضار ضار) ثم قالت : استمشيت بالسنا ، فقال : لو أن شيئاً فيه شفاء من الموت لكان في السنا .[٦٠١]

(تستمشين ك تطلبين إخراج ما في بطنك) .

والشبرم : قشر عرق شجرة حار يابس ومنع الأطباء استعماله لخطره .

والسنا : بنت حجازي وأفضله المكي ، وهو دواء مأمون الفائلة .

طبه للمفؤود

عن سعد قال : مرضت مرضاً فأتاني رسول الله ﷺ يعودني ، فوضع يده بين ثدييّ حتى وجدت بردها على فؤادي ، وقال لي : إنك رجل مفؤود ، فائت الحارث بن كلدة من

---

[٥٩٨] صحيح البخاري برقم /١٩٦٣/ ومسلم برقم /٢٠٤٩/

[٥٩٩] رواه البخاري ومسلم

[٦٠٠] رواه البخاري ومسلم

[٦٠١] رواه الترمذي وقال حديث غريب ، ورواه ابن ماجه في سننه

ثقيف فإنه رجل متطبب ، فليأخذ سبع ثمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلد بهن الفؤاد .[٦٠٢]

طبه لذات الجنب

(وهو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأعضاء)

-في البخاري مرفوعاً : (عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية ، منها ذات الجنب)[٦٠٣]

-وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : (تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت)[٦٠٤] .

طبه من داء عرق النسا

(وهو عرق ممتد من مفصل الورك إلى آخر القدم وراء الكعب)

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : (دواء عرق النسا ألية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثم يشرب على الريق في كل يوم جزءاً)[٦٠٥] .

طبه بقطع العروق والكي

-عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً ، فقطع له عرقاً وكواه عليه .[٦٠٦]

-وعن جابر: لما رمي سعد بن معاذ في أكحله حسمه النبي ﷺ [٦٠٧] (أي قطع دمه بالكي).

-ويستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تحسم مادته إلا به ، ولهذا وصفه النبي ﷺ ثم نهى عنه،

---

[٦٠٢] رواه أبو داود
[٦٠٣] رواه البخاري ومسلم
[٦٠٤] رواه الترمذي
[٦٠٥] رواه ابن ماجه
[٦٠٦] رواه البخاري ومسلم
[٦٠٧] رواه مسلم

وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد ، فعن عمران : نهى رسول الله ﷺ عن الكي ، فاكتونيا فما أفلحنا ولا أنجحنا [٦٠٨]. والحديث الذي رواه البخاري مرفوعاً : (الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنهى أمتي عن الكي)[٦٠٩] .

طبه من الطاعون

-عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل،وعلى من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه .[٦١٠] وقال ابن القيم : جمع ﷺ للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها ، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه ، فإن في الدخول إلى الأرض التي هو فيها تعرضاً للبلاء وهذا مخالف للشرع والعقل ، وتجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله إليها ، وهي حمية من الأمكنة والأهوية المؤذية[٦١١].

طبه من الحمى

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء البارد)[٦١٢]

وفي رواية أبي جمرة (بماء زمزم) .

طبه من حكة الجسد

عن قتادة أن أنساً حدثهم أن النبي ﷺ رخّص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما[٦١٣]. وهذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي على جواز لبس الحرير للرجل عند الضرورة .

*** طبه من السم**

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت للنبي ﷺ شاة مصلية بخيبر ، فقال : ما هذه ؟ قالت : هدية ، فأكل النبي ﷺ وأكل أصحابه، ثم قال : أمسكوا ، ثم

---

[٦٠٨] رواه أحمد والترمذي وأبو داود
[٦٠٩] البخاري برقم /٥٦٨٠/
[٦١٠] رواه البخاري ومسلم
[٦١١] زاد المعاد لابن القيم (٤٢/٤)
[٦١٢] رواه البخاري ومسلم
[٦١٣] رواه البخاري

قال للمرأة : هل سميت هذه الشاة ؟ قالت : من أخبرك ؟ قال : هذا العظم ، قالت : نعم ، قال : لم ؟ قالت : أردت إن كنت كاذباً أن يستريح منك الناس ، وإن كنت نبياً لم يضرك . قال : فاحتجم النبي ﷺ ثلاثاً على كاهله .[٦١٤]

واحتجم النبي ﷺ على الكاهل ، لأنه أقرب إلى القلب ، فخرجت المادة السمية مع الدم .

النوع الثالث : طبه ﷺ بالأدوية المركبة من الإلهية والطبيعية :

طبه من القرحة والجرح وكل شكوى

عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول للمريض: (بسم الله تربة أرضنا،وريقة بعضنا،يشفى سقيمنا)[٦١٥]

وفي رواية لمسلم : (كان إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بإصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : بسم الله ...)

قال النووي : معنى الحديث (أنه أخذ من ريق نفسه ، على إصبعه السبابة ، ثم وضعها على التراب فعلق بها شيء منه ، ثم مسح به على الموضع العليل أو الجرح قائلاً الكلام المذكور في حالة المسح .

طبه من لدغة العقرب

عن عبد الله بن مسعود قال : بينا رسول الله ﷺ يصلي إذ سجد فلدغته عقرب في إصبعه ، فانصرف رسول الله ﷺ وقال : (لعن الله العقرب ، ما تدع نبياً ولا غيره) ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ (قل هو الله أحد) والمعوذتين حتى سكنت.[٦١٦]

طبه من النملة

وهي : قروح تخرج في الجنب ، فيحس صاحبها كأن نملة تدب عليه وتعضه .

-عن أنس أنه ﷺ رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة .[٦١٧]

---

[٦١٤] رواه عبد الرزاق
[٦١٥] رواه البخاري
[٦١٦] مسند ابن أبي شيبة
[٦١٧] رواه مسلم

-وروى الخلال أن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة ، فلما هاجرت إلى النبي ﷺ وكانت بايعته بمكة قالت : يا رسول الله إني كنت أرقي في الجاهلية من النملة ، وأريد أن أعرضها عليك ، فعرضتها فقالت : بسم الله ضلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحداً ، اللهم اكشف الباس رب الناس. قال : ترقى بها على عود سبع مرات ، وتقصد به نكاناً نظيفاً وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة .[٦١٨]

طبه من البثرة

روى النسائي عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال : عندك ذريرة ؟ قلت : نعم ، فدعا بها فوضعها على بثرة بين إصبعين من أصابع رجله ، ثم قال : اللهم مطفئ الكبير ، ومكبر الصغير ، أطفئها عني ، فطفئت .

طبه بالحمية

الأصل في الحمية قوله تعالى : " وإن كنتم مرضى أو على سفر ... فتيمموا صعيداً طيباً ".[٦١٩]

فحمى المريض من استعمال الماء لأنه يضره . فالفاكهة تضر الناقه من المرض ، عن صهيب قال : قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبر وتمر ، فقال : ادن وكل ، فأخذت تمراً فأكلت ، فقال : أتأكل تمراً وبك رمد ؟ فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله[٦٢٠].

وعن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليٌ وهو ناقه من مرض ، ولنا دوال معلقة (أشجار عنب) ، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها ، وقام علي يأكل منها ، فطفق النبي يقول لعلي : إنك ناقه ، حتى كفّ قالت : وصنعت شعيراً وسلقاً فجئت به فقال ﷺ لعلي : من هذا أصب فإنه أنفع لك .[٦٢١]

-وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ قال : إذا أحب الله العبد حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه بالماء .[٦٢٢]

---

[٦١٨] أخرجه أبو نعيم
[٦١٩] سورة النساء –الآية/٤٣/
[٦٢٠] سنن ابن ماجه
[٦٢١] سنن ابن ماجه
[٦٢٢] سنن الترمذي

-وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا تغتسلوا بالماء المشمس فإنه يورث البرص [٦٢٣].

-وعن يونس بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه رآه مضطجعاً في الشمس، قال يونس فنهاني وقال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال : إنها تورث الكسل وتثير الداء الدفين .[٦٢٤]

-وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يجامعن أحدكم وبه حقن خلاء فإنه يكون منه البواسير)[٦٢٥].

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء .)[٦٢٦]

-وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (غطوا الإناء وأوكوا السقاء ،فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء .)[٦٢٧]

-وعن أنس مرفوعاً : (أصل كل داء البردة .)[٦٢٨]

فالحمية من البرد وردت فيها عدة أخبار تحذر من أضرار البرد ، واشتهر على الألسنة : اتقوا البرد فإنه قتل أبا الدرداء .

الفصل الثاني : في تعبيره ﷺ الرؤيا

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)[٦٢٩] . والمعنى : أنها جزء من علم النبوة ، لأن النبوة وإن انقطعت فعلمها باقٍ .

-وعن ابن عباس أنه ﷺ كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه ، والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : (يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ،أو ترى له)[٦٣٠]

---

[٦٢٣] رواه الدارقطني بإسناد صحيح
[٦٢٤] رواه أبو داود في المراسيل
[٦٢٥] رواه أحمد والحاكم
[٦٢٦] رواه البخاري
[٦٢٧] صحيح مسلم
[٦٢٨] رواه أبو نعيم والمستغفري والدارقطني
[٦٢٩] رواه البخاري

-وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : (أصدق الرؤيا بالأسحار)[٦٣١].

-وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا اقترب الزمان لم تدرك رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً .)[٦٣٢]

آداب الرؤيا

-عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليتحدث بها، ،إذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها ، فإنها لا تضره .)[٦٣٣] . وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء : أن يحمد الله عليها ، وأن يبشر بها ، وأن يتحدث بها لمن يحب .

وفي رواية لمسلم : (ورؤيا السوء من الشيطان ، فمن رأى رؤيا وكره منها شيئاً فلينفث عن يساره ، وليتعوذ بالله من الشيطان ، ولا يخبر بها أحداً ...)[٦٣٤]

ففيه آداب الرؤيا المكروهة:التعوذ من شرها، ومن شر الشيطان، ويتفل حين يقوم ، ولا يذكرها لأحد أصلاً .

-وعن أبي هريرة مرفوعاً : (فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم وفليصل .)[٦٣٥]

-وهن جابر مرفوعاً أيضاً : (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه .)[٦٣٦]

الرؤيا والعابر

-عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت : كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : إن زوجي غائب ، وتركني حاملاً ، فرأيت في منامي أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاماً أعور ، فقال : خير ، يرجع زوجك إن شاء الله تعالى صالحاً ، وتلدين غلاماً براً ، فذكرت ذلك ثلاثاً ، فجاءت

---

[٦٣٠] رواه مسلم وأبو داود
[٦٣١] رواه الترمذي والدارمي
[٦٣٢] رواه مسلم
[٦٣٣] رواه البخاري
[٦٣٤] صحيح مسلم
[٦٣٥] صحيح البخاري
[٦٣٦] صحيح مسلم

ورسول الله ﷺ غائب ، فسألتها فأخبرتني بالمنام ، فقلت لها : لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك ، وتلدين غلاماً فاجراً ، فقعدت تبكي ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : (مه يا عائشة ، إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير ، فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها .)[٦٣٧]

-وأورد البخاري في باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح : ثبت أنه ﷺ كان إذا صلى الغداة يقول: (هل رأى أحد الليلة رؤيا ، فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ، ويعبر لهم ما يقصون .)[٦٣٨]

من مرائيه ﷺ

١-شرب اللبن : عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه ، حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي (يعني عمر) قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : العلم .[٦٣٩]

وفي الحديث دليل على أن علم النبي ﷺ لا يبلغ أحد درجته فيه ، لأنه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه . وأما إعطاؤه فضله لعمر ، ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا تأخذه في الله لومة لائم .

٢-القميص : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومرّ عليّ عمر وعليه قميص يجره ، قالوا : ما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين .[٦٤٠]

ووجه تعبير القميص بالدين : أن القميص يستر العورة في الدنيا ، والدين يسترها في الآخرة ، والأصل فيه قوله تعالى : " ولباس التقوى ذلك خير "[٦٤١]

٣-سواران من ذهب : عن عبيد الله بن عبد الله قال: سألت ابن عباس عن رؤيا النبي ﷺ فقال: ذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : (بينا أنا نائم إذ رأيت أنه وضع في يديَّ سواران

---

[٦٣٧] رواه الدارمي بإسناد صحيح
[٦٣٨] صحيح البخاري
[٦٣٩] رواه البخاري
[٦٤٠] رواه البخاري
[٦٤١] سورة الأعراف -الآية/٢٦/

من ذهب فقطعتهما وكرهتهما، ﷺ فأذن لي فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان . فقال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر مسيلمة .[٦٤٢]

٤- المرأة السوداء : عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : (رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس ، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة – الجحفة – فأولت أن وباء المدينة نقل إليها .[٦٤٣]

٥- درع حصينة وبقر تنحر : عن جابر أن النبي ﷺ قال : (رأيت كأني في درع حصينة ، ورأيت بقراً تنحر ، فأولت الدرع الحصينة بالمدينة ، والبقر بقْراً)[٦٤٤].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي (ظني) إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب ، ورأيت فيها بقراً ، والله خير ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد ، وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر.)[٦٤٥]

٦-الرطب : عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (رأيت الله فيما يرى النائم كأني في دار عقبة بن رافع وأتيت برطب من رطب ابن طاب ، فأولته بأن الرفعة لنا في الدنيا ، والعاقبة في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب .)[٦٤٦]

٧-سيفاً يهزه : وقد ورد في حديث أبي موسى السابق ذكره عند الشيخين أنه ﷺ قال: (ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فأنقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان . فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين .[٦٤٧]

٨-رؤيته أنه على قليب : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (بينا أنا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين (دلواً)وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم استحالت غرباً (دلواً

---

[٦٤٢] رواه البخاري
[٦٤٣] رواه البخاري
[٦٤٤] رواه الإمام أحمد
[٦٤٥] رواه البخاري مسلم
[٦٤٦] رواه مسلم
[٦٤٧] رواه الشيخان

عظيماً) فأخذها عمر ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس يترع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن .[٦٤٨]

تعبيره ﷺ ما رآه أصحابه

-فقد كان ﷺ إذا انتقل من صلاة الصبح أقبل على الصحابة فيقول : من رأى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي أعبرها له ، فيقص الناس عليه مرائيهم .

ثم ترك رسول الله ﷺ السؤال ، فكان يعبر لمن قصَّ متبرعاً . وقيل سبب ذلك ما ورد في حديث أبي بكرة أنه ﷺ قال ذات يوم : (من رأى منكم رؤيا ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله ، رأيت كان ميزاناً نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان . فرأينا الكراهة في وجه رسول الله . قالوا : فمن حينئذ لم يسأل رسول الله ﷺ أحداً عن رؤيا .[٦٤٩]

رؤيا ابن سلام :

عن قيس بن عباد قال : كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر ، فمرّ عبد الله بن سلام فقالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، فقلت له : إنهم قالوا كذا وكذا ، قال : سبحان الله ، ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم ، إنما رأيت كأنما عمود وضع في روضة خضراء ، فنصب منها ، وفي رأسها عروة ، وفي أسفلها منصف (خادم) فقال : ارقه ، فرقيته حتى أخذت بالعروة ، فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال : يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى.[٦٥٠]

-رؤيا أم العلاء الأنصارية : عن أم العلاء – وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله – قالت : وأريت لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم عيناً تجري ، فجئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال : ذاك عمله يجري له .[٦٥١]

---

[٦٤٨] رواه البخاري

[٦٤٩] رواه الترمذي وأبو داود

[٦٥٠] رواه البخاري ومسلم

[٦٥١] رواه البخاري

الفصل الثالث : في إنبائه ﷺ بالمغيبات

الغيب يختص به الله تعالى ، وما وقع منه على لسان رسوله ﷺ فمن الله تعالى إما بوحي أو إلهام ، بدليل قوله تعالى: " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ..."[٦٥٢]

أولاً : ما أخبر به ﷺ مما نطق به القرآن ، فمن ذلك :

١-قوله تعالى : " وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . "[٦٥٣]

فقد كان لقريش قافلتان: إحداهما ذات غنيمة دون الأخرى ، فأخبر الله عما في ضمائرهم وأنجز ما وعد .

٢-قوله تعالى : " سيهزم الجمع ويولون الدبر ."[٦٥٤] وهذا إخبار عن المستقبل ، ويعني كفار قريش يوم بدر ، فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل أبطالهم واغتنام أموالهم .

٣-قوله تعالى: " ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين "[٦٥٥]

---

[٦٥٢] سورة الجن –الآية/٢٧/

[٦٥٣] سورة الأنفال – الآية/٧/

[٦٥٤] سورة القمر –الآية/٤٥/

[٦٥٥] سورة الروم –الآية/١-٤/

فأخبر الله بأن الروم بعد أن غلبوا سيغلبون في بضع سنين ، فغلبت الروم أهل فارس يوم الحديبية وأخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين .

٤-قوله تعالى : " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ..."[٦٥٦]

وهذا وعد من الله لرسوله بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض وأئمة الناس وتخضع لهم البلاد والعباد ، وقد أنجز الله وعده ، فلم يمت رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن ، وامتدت الفتوحات بعد وفاته ﷺ إلى بلاد فارس والشام ومصر .

٥-قوله تعالى : " إذا جاء نصر الله والفتح ."[٦٥٧]

فكان كما أخبر ، ودخل الناس في الإسلام أفواجاً بعد فتح مكة .

ثانياً : ما أخبر به ﷺ من الغيوب (وقد تحقق في حياته أو بعد مماته) ، فمن ذلك :

١-عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله قد رفع لي الدنيا ، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن منها إلى يوم القيامة ، كأنما أنظر إلى كفي هذه .)[٦٥٨]

٢- عن أبي هريرة (أن النبي ﷺ نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات)[٦٥٩].

٣- عن أنس أن رسول الله ﷺ صعد أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم ، فضربه برجله ، وقال له : (اثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان .)[٦٦٠] فكان كما أخبر به.

٤-قوله ﷺ لسراقة عندما لحق به يوم الهجرة : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ وقد وقع ذلك في خلافة عمر ، فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال : الحمد الله الذي سلبها كسرى وألبسهما سراقة .

---

[٦٥٦] سورة النور -الآية/٣٣/

[٦٥٧] سورة النصر

[٦٥٨] أخرجه الطبراني

[٦٥٩] رواه الشيخان

[٦٦٠] رواه البخاري وأحمد

٥-إخباره ﷺ بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل ، بعد أن كتمه ، فقال العباس : ما علمه غيري وغيرها ، وأسلم .

٦-إخباره ﷺ بشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة .

٧-عن أسماء بنت عميس قالت : دخل رسول الله ﷺ صبحية اليوم الذي قتل فيه جعفر وأصحابه فقال : يا أسماء ، أين بنو جعفر ؟ فجئت بهم ، فضمهم وشمهم ، ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى ، فقلت : يا رسول الله ، أبلغك عن جعفر شيء ثم قال : نعم قتل اليوم [٦٦١].

٨-إعلان قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم ، وأن الأرضة فيها اسم الله ، فوجدوها كما قال ﷺ .

٩-قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه : (إنك أول أهلي لحوقاً بي)[٦٦٢] فعاشت بعده ثمانية أشهر وقيل ستة وهو الأصح .

١٠-قوله ﷺ لنسائه : (أسرعكن بي لحوقاً أطولكن يداً .)[٦٦٣] فكانت زينب بنت جحش لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

١١-قوله ﷺ : (يقتل هذا مظلوماً) وأشار إلى عثمان رضي الله عنه.[٦٦٤] فكان كما قال ﷺ : فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف .

١٢-عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمرَّ رجل فقال : يقتل فيها هذا يومئذ ظلماً،

قال : فنظرت فإذا هو عثمان .[٦٦٥]

١٣- عن أم سلمة قالت : ذكر رسول الله ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشة فقال : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ، ثم التفت إلى علي فقال له : إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها .[٦٦٦] وهذا ما حدث يوم وقعة الجمل .

---

[٦٦١] رواه الاسفاييني وابن إسحاق والبغوي

[٦٦٢] رواه الشيخان

[٦٦٣] رواه مسلم والنسائي

[٦٦٤] خرجه البغوي والترمذي وأحمد

[٦٦٥] أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح

[٦٦٦] أخرجه الحاكم والبيهقي صححه

١٤-قوله ﷺ في الحسن بن علي : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.)[٦٦٧] فكان كما قال ﷺ : إذ تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين ،

واشترط عليه أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه ،

فاصطلحا على ذلك .

١٥-قوله ﷺ لعمار : (تقتلك الفئة الباغية .)[٦٦٨]

١٦-حديث سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك)[٦٦٩] وفعلاً امتدت خلافة الراشدين ثلاثين عاماً ، وبعدهم ملوك بني أمية .

١٧-عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلم يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة .)[٦٧٠] قال سفيان بن عينية : نرى هذا العالم مالك بن أنس ، وقال عبد الرزاق : لم يعرف بهذا الاسم غيره .

١٨-وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً .)[٦٧١]

قال الإمام أحمد : هذا العالم هو الشافعي ، لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم قرشي ما انتشر من علم الشافعي .

١٩-إخباره بالخوارج ، في حديث أبي سعيد الخدري : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنقه ، فقال ﷺ: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يخرجون على حين فرقة من

---

[٦٦٧] رواه البخاري
[٦٦٨] رواه البخاري
[٦٦٩] سنن الترمذي وأبي داود
[٦٧٠] أخرجه الحاكم وصححه ، والترمذي وحسنه
[٦٧١] رواه الطيالسي ،والبيهقي

الناس . قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه .[٦٧٢]

٢٠-وأخبر عن الرافضة في حديث علي قال : قال رسول الله ﷺ : (يكون في أمتي قوم يسمون الرافضة ، يرفضون الإسلام)[٦٧٣]

٢١-وأخبر عن القدرية والمرجئة في حديث أنس وقال : (هم مجوس هذه الأمة .)[٦٧٤]

٢٢-إخباره ﷺ بأشياء بين موته وبين الساعة في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج (القتل) ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم الرجل من يقبل صدقته ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ...)[٦٧٥]

وقد أظهر أكثر هذه العلامات و لم يبق منها إلا اليسير .

٢٣-حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى .)[٦٧٦] وقد خرجت هذه النار على قرب مرحلة من المدينة وذلك سنة (٦٥٤) للهجرة .

نهاية المجلد الثالث

---

[٦٧٢] رواه الشيخان
[٦٧٣] أخرجه البيهقي
[٦٧٤] رواه الطبراني في الأوسط
[٦٧٥] رواه البخاري
[٦٧٦] رواه الشيخان

في ذكر نبذة من أدعيته وأذكاره وقراءته

[كيفية الدعاء]

أرشد **صلى الله عليه وسلم** أمته لكيفية الدعاء فقال:إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ،وليصل على النبي **صلى الله عليه وسلم** ،ثم ليدع بما شاء،رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد .وقال **صلى الله عليه وسلم** في رجل يدعو:أوجب إن ختم بآمين .رواه أبو داود .

قال ابن عيينة:لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم من نفسه،يعني التقصير ،فإن الله قد استجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال:(أنظرني إلى يوم يبعثون)[٦٧٧]

[نماذج من دعائه]

كان أكثر دعائه **صلى الله عليه وسلم**((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار))رواه الشيخان من حديث أنس .

وأيضاً:((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)).رواه الترمذي من حديث أم سلمة.

وكان **صلى الله عليه وسلم** يتعوذ فيقول:((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ،والجبن والهرم والبخل ،وأعوذ بك من عذاب القبر،وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات))رواه الشيخان من حديث أنس. وكان يتعوذ من عين الجن والإنس،فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك .رواه النسائي .

[أدعية لمناسبات خاصة]

كان يعوذ الحسن والحسين ويقول_إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق_أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة،ومن كل عين لامة ، رواه البخاري والترمذي

[٦٧٧] سورة الأعراف،الآية١٤

.وقد استشكل صدور هذه الأدعية ونحوها من النبي **صلى الله عليه وسلم** مع قوله تعالى :((ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)) [٦٧٨]

الجواب:أنه **صلى الله عليه وسلم** امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة في قوله تعالى:((إذا جاء نصر الله والفتح))[٦٧٩].

وقال صلى الله عليه وسلم :ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال:يا محمد قل:توكلت على الحي الذي لا يموت،والحمد لله لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك ،و لم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً .

رواه الطبراني عن أبي هريرة .

[رفع اليدين ومسح الوجه]

وكان **صلى الله عليه وسلم** يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه أبو داود عن أنس.[٦٨٠]

لكن في حديث أنس((لم يكن النبي **صلى الله عليه وسلم** يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء))[٦٨١] والجمع بين الحديثين :بأن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره .وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء،وروى الإمام أحمد والحاكم وأبو داود أنه **صلى الله عليه وسلم** كان يرفع يديه إذا دعا حذو منكبيه .وهذا يقتضي أن تكونا متفرقتين مبسوطتين ،لا كهيئة الاغتراف ...و لم يثبت أن النبي **صلى الله عليه وسلم** مسح وجهه بيديه بعد الدعاء لا في الصلاة ولا خارجها إلا في خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم في الدعاء خارج الصلاة

[دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأنس]

وقد دعا النبي **صلى الله عليه وسلم** لأنس فقال:((اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته))رواه البخاري .وأخرج ابن سعد عن أنس قال:دعا لي النبي **صلى الله عليه**

---

[٦٧٨] سورة الفتح ،الآية ٢.

[٦٧٩] سورة النصر،الآية ١

٦٨٠ بباطن كفيه إن دعا بنحو تحصيل شيء،وبظاهرهما إلى السماء إن دعا بدفع بلاء .

٦٨١ متفق عليه .

وسلم :اللهم أكثر ماله وولده،وأطل عمره،واغفر له ،فقد دفنت من صلبي مائة واثنين،وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين،ولقد بقيت حتى سئمت الحياة،وأرجو الرابعة.

[دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة ولغيرهم]

أرسل النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى علي يوم خيبر،وكان أرمد،فتفل في عينيه وقال:اللهم أذهب عنه الحر والبرد،قال:فما وجدت حراً ولا برداً منذ ذلك اليوم،ولا رمدت عيناي.[٦٨٢]

وبعث علياً إلى اليمن قاضياً ،فقال:يا رسول الله لا علم لي بالقضاء،فقال:ادن مني،فدنا منه،فضرب يده

على صدره،وقال:اللهم اهد قلبه وثبت لسانه،قال علي:فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين،رواه أبو داود وغيره .ودعا **صلى الله عليه وسلم** لابن عباس:اللهم فقه في الدين ،اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل.رواه البغوي وابن سعد .وفي البخاري:((اللهم علمه الكتاب))فكان عالماً بالكتاب حبر الأمة ،بحر العلم،ترجمان القرآن. ودعا **صلى الله عليه وسلم** لعروة بن الجعد البارقي فقال: اللهم بارك في صفقة يمينه،قال فما اشتريت شيئاً قط إلا وربحت فيه[٦٨٣].وقال لجرير:وكان لا يثبت على الخيل،وضرب في صدره:اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً .قال:فما وقعت عن فرسي بعد[٦٨٤] .

[لكل نبي دعوة مستجابة]

قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**:((لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ،وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة))[٦٨٥] رواه البخاري،إن ظاهر الحديث يدل :أن لكل نبي دعوة مجابة فقط،وحياة النبي عليه السلام تثبت العكس ،فيكون معنى ((لكل نبي دعوة)) أي لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته،إما بإهلاكهم ،وإما بنجاتهم،وأما الدعوات الخاصة:فمنها ما يستجاب ،ومنها ما لا يستجاب.وفي هذا الحديث بيان فضله **صلى الله عليه وسلم** على سائر الأنبياء ،حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته

---

٦٨٢ رواه الطبراني.وقد مر هذا الحديث في غزوة خيبر.

٦٨٣ رواه البخاري وغيره.

٦٨٤ الحديث في الصحيح.

٦٨٥ رواه البخاري برقم ٦٣٠٤ وهو عند مسلم أيضاً وغيره

المجابة،و لم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع مع غيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم ،وهو أخر الدعاء والشفاعة ليوم القيامة ،فذلك اليوم يدعو ويشفع .

[أذكاره صلى الله عليه وسلم]

أمر الله النبي **صلى الله عليه وسلم** بالترقي في مراتب التوحيد بقوله ((فاعلم أنه لا إله إلا الله))[٦٨٦].

وهو عالم بذلك،فتعين أن يكون الأمر للترقي في مقاماته،فالشأن كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله،وقد قال تعالى له **صلى الله عليه وسلم**: ((واذكر اسم ربك))[٦٨٧]

وقال:((واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة))[٦٨٨]

فلا بد في أول السلوك من الذكر باللسان مدة ،ثم يزول الاسم ويبقى المسمى .

[استغفاره صلى الله عليه وسلم]

كان **صلى الله عليه وسلم** يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة .كما رواه أبو هريرة عند البخاري .ظاهر الحديث اللفظ بعينه وهو طلب المغفرة،أو العدد بعينه.

ولكن أخرج النسائي من طريق عطاء عن أبي هريرة:أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** جمع الناس فقال:((أيها الناس توبوا إلى الله ،فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة)).واستغفاره صلى الله عليه وسلم تشريع لأمته ،أو من ذنوبهم وقيل غير ذلك.

[قراءته صلى الله عليه وسلم القرآن]

روى البخاري عن أنس :أن قراءته **صلى الله عليه وسلم** وصفتها ،فكانت مداً،يمد بسم الله،ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم. رواه البخاري عن أنس.[٦٨٩]

فقد كانت قراءته **صلى الله عليه وسلم** ترتيلاً، لا عجلة،بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، وكان يقطع قراءته آية آية،وكان يمد عند حروف المد، وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها أحياناً كما رجع يوم الفتح في قراءة (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وحكى عبد الله بن

---

٦٨٦ سورة محمد،الآية ١٩

٦٨٧ سورة المز مل،الآية ٨

٦٨٨ سورة الأعراف،الآية ٢٠٥ .

٦٨٩ رواه البخاري برقم ٥٠٤٦

المغفل ترجيعه: أثلاث مرات،ذكره البخاري، وأضف إليه الحديث (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)[٦٩٠] لذا يقال:إن التطريب والتغني على وجهين:

١ ــما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم،بل إذا خلا فذلك طبعه،كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم: لم علمت أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً ،وهذا الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه،وهو التغني المحمود،وهو الذي يتأثر به التالي والسامع.

٢ــما كان من ذلك صناعة من الصنائع،ليس في الطبائع السماحة به،بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع.

وقال **صلى الله عليه وسلم** (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)[٦٩١] ليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم، ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى.

وروى ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعاً: تعلموا القرآن وتغنوا به واكتبوه الحديث والله أعلم .

وقد صح أنه **صلى الله عليه وسلم** سمع أبا موسى الأشعري يقرأ فقال: لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود.[٦٩٢]

---

٦٩٠ رواه البخاري وأحمد وأبو داود وغيرهم .

٦٩١ ورواه أحمد برجال الصحيح .

٦٩٢ الحديث في الصحيحين وغيرهما .

المقصد الأخير

أولا: إتمامه تعالى نعمته على رسوله صلى الله عليه وسلم بوفاته ونقله لديه

[نزول سورة النصر]

أول ما أعلم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة(إذا جاء نصر الله والفتح)(**١**)[٦٩٣]وفي حديث ابن عباس عند الدارمي:لما نزلتك(إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فاطمة،وقال:نعيت إلي نفسي فبكت،قال:لا تبكي ، فإنك أول أهلي لحوقاً بي ،فضحكت

وقالت أم سلمة:كان **صلى الله عليه وسلم** في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال:سبحان الله وبحمده،أستغفر الله وأتوب إليه،فقلت له :إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم، فقال:إن ربي أخبرني أني سأرى علماً[٦٩٤] في أمتي ،وأني إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره،ثم تلا هذه السورة.رواه ابن جرير وابن خزيمة.

[وداع الأحياء والأموات]

روى الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال :صلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء وللأموات ، ثم طلع المنبر فقال:إني بين يديكم فرط[٦٩٥] ،وأنا عليكم شهيد .

وعن أبي سعيد الخدري:أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** جلس على المنبر فقال:إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء الله وبين ما عنده فاختار ما عنده،فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال:يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا ،قال:فعجبنا[له].

ولما خطب الناس في حجة الوداع قال:((خذوا عني مناسككم،فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)) وطفق يودع الناس ،فقالوا هذه حجة الوداع .

٦٩٣سورة النصر،الآية ١ .

٦٩٤ أي دليلاً

٦٩٥ أي :أنا سابقكم إلى الحوض .

[فضل أبي بكر]

قال **صلى الله عليه وسلم** :إن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبي بكر_رضي الله عنه_ثم قال **صلى الله**

عليه وسلم:لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً،ولكن أخوة الإسلام ولا يبقى في المسجد خوخة سدت إلا خوخة أبي بكر ،إشارة إلى أن أبا بكر هو الإمام بعده .ثم عند مرضه صلى الله عليه وسلم قال :مروا أبا بكر فليصل بالناس .

[ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم]

كان ابتداء مرض الرسول **صلى الله عليه وسلم** في بيت ميمونة،كما ثبت في رواية معمر عن الزهري[٦٩٦] واختلف في مدة مرضه،فالأكثر ثلاثة عشر يوماً ،وقيل عشرة أيام ،أخرجه البيهقي بإسناد صحيح .

[في بيت عائشة]

في البخاري:قالت عائشة:لما ثقل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة فأذنّ له،فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر .قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس:هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟قلت :لا ،قال ابن عباس:هو علي بن أبي طالب .الحديث .

وفي رواية ابن أبي مليكة عن عائشة أن دخوله **صلى الله عليه وسلم** بيتها كان يوم الاثنين ،وموته يوم الاثنين الذي يليه .

وفي البخاري عن عائشة قالت :وارأساه فقال **صلى الله عليه وسلم** ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك ،فقالت عائشة:واثكلياه،والله لأظنك تحب موتي،فلو كان ذلك لظللت آخر يوماً معرساً ببعض أزواجك،فقال:**صلى الله عليه وسلم**:بل أنا وارأساه،لقد

---

٦٩٦ في الصحيحين.

هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه عبد الله فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون،ثم قلت:يأبى الله ويدفع المؤمنون،أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.[٦٩٧]

جزم جماعة من الشافعية أن تأوه المريض مكروه ،لأن كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين . وقد تبين أن أول مرضه **صلى الله عليه وسلم** كن صداع الرأس ،والظاهر أنه كان مع حمى ،فإن الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس في مِخضَب[٦٩٨] ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن[٦٩٩] يتبرد بذلك.

وفي حديث عائشة:أنه **صلى الله عليه وسلم** كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء ،فجعل يدخل يديه في الماء ،فيمسح بهما وجهه ويقول:(لا لإله إلا الله إن للموت سكرات)الحديث رواه الشيخان.

وروي أيضاً عن عروة أنه **صلى الله عليه وسلم** قال: ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر،فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم.[٧٠٠] وقد كان ابن مسعود وغيره يرون أنه **صلى الله عليه وسلم** مات شهيداً من السم .

وعند البخاري أيضاً قالت:إن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده ،فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه،طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه .وعنها أيضاً:دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي **صلى الله عليه وسلم** وأنا مسندته إلى صدري،ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به ،فأبده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره، فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته،ثم دفعته إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** فاستن به ،فما رأيته استن استناناً قط أحسن منه .الحديث .ويروى انه كان عنده **صلى الله عليه وسلم** في مرضه سبعة دنانير،فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه ،فيشتغلون بوجعه ،فدعا بها فوضعها في كفه فقال:ما ظن محمد بربه لو لقي ربه وعنده هذه؟ ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي .

---

٦٩٧ رقمه في البخاري ٧٢١٧

٦٩٨ إناء يغتسل فيه .

٦٩٩ الوكاء:رباط القربة وغيرها،

٧٠٠ أي البخاري تعليقاً

[مساررته صلى الله عليه وسلم لفاطمة]

في البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت:دعا النبي **صلى الله عليه وسلم** فاطمة في شكواه الذي قبض فيه ،فسارَّها بشيء فبكت،ثم دعاها فسارَّها فضحكت،فسألناها عن ذلك فقالت:سارَّني النبي **صلى الله عليه وسلم** أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت،ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.[٧٠١]

[نهيه صلى الله عليه وسلم عن إعطائه الدواء]

وقد كان **صلى الله عليه وسلم** من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق ،وأغمي عليه مرة فظنوا أن وجعه ذات الجنب فلدوه ،فجعل يشير إليهم أن لا يلدوه ،فقالوا:كراهية للدواء،فلما أفاق قال:ألم أنهكم أم تلدوني؟فقالوا:كراهية المريض للدواء،فقال:لا يبقى أحد في البيت إلا لدَّ وأنا أنظر ،إلا العباس فإنه لم يشهدكم .رواه البخاري، وإنما كره اللدود مع أنه كان يتداوى ،لأنه تحقق إنه يموت في مرضه ،ومن تحقق ذلك كره له التداوي .أو لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه با يلائمها ،و لم يكن فيه ذلك .

[كتاب لم يكتب]

في حديث ابن عباس عند البخاري[٧٠٢] :لما حُضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال،فقال قد غلبه الوجع ،وعندكم القرآن ،حسبنا كتاب الله،فاختلف أهل البيت واختصموا،فمنهم من يقول :قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده،ومنهم من يقول غير ذلك،فلما أكثروا اللغو والاختلاف ،قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قوموا.قال عبيد الله :فكان/ ابن عباس يقول:الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله **صلى الله** عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم .

أراد عمر بقوله((حسبنا كتاب الله))أن لا يسد باب الاجتهاد على العلماء ،وفي تركه **صلى الله عليه وسلم** الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه .

---

٧٠١ وكذا رواه مسلم والنسائي .

٧٠٢ رواه البخاري برقم ٤٤٣٢ .

[صلاة أبي بكر بالناس]

ولما اشتد به **صلى الله عليه وسلم** وجعه قال:مروا أبا بكر فليصل بالناس ،فقالت له عائشة:يارسول الله ،إن أبا بكر رجل رقيق،إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء،قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته بمثل مقالتها،فقال:إنكن صويحبات يوسف ،مروا أبا بكر فليصل بالناس .رواه الشيخان وأبو حاتم واللفظ له .

[الوصية بالأنصار]

في حديث أنس عند البخاري:قال :مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون،فقال:ما يبكيكم؟فقالوا:ذكرنا مجلس النبي **صلى الله عليه وسلم** منا ،فدخل أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ،فخرج النبي **صلى الله عليه وسلم** وقد عصب على رأسه حاسية برد،فصعد المنبر ــ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ــ فحمد الله وأثنى عليه،ثم قال:أوصيكم بالأنصار ،فإنهم كرشي وعيبتي،وقد قضوا الذي عليهم،وبقي الذي لهم ،فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

[اللهم الرفيق الأعلى]

في البخاري من حديث عروة عن عائشة قالت:كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ــ وهو صحيح ــ يقول:إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة،ثم يُحيَّا أو يخير،فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه،فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى .

[إن للموت لسكرات]

ولما احتضر **صلى الله عليه وسلم** ،اشتد به الأمر ،قالت عائشة ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي **صلى الله عليه وسلم** ،وكان عنده قدح من ماء ،فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: اللهم أعني سكرات الموت .

ولما تغشاه الكرب، قالت فاطمة رضي الله عنها :واكرب أبتاه،فقال لها :لا كرب على أبيك بعد اليوم .رواه البخاري المراد بالكرب ما كان يجده **صلى الله عليه وسلم** من شدة الموت ،وكان **صلى الله عليه وسلم** فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر .

[نظرة وداع أثناء صلاتهم]

وعن أنس أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة ،كشف رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ستر الحجرة، فنظرنا إليه وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ضاحكاً.الحديث رواه مسلم .

[وفاته صلى الله عليه وسلم]

وقالت عائشة: توفي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في بيتي، في يومي، وبين سحري ونحري، وفي رواية:بين حاقنتي وذاقنتي. رواه البخاري .

وقالت عائشة: أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فبصر برسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى وقال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. رواه البخاري.

أراد أنه لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره ،إذ يحيا ليسأل ثم يموت.

وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول:ما مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين.قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال:أيها الرجل، إن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قد مات، ألم تسمع الله تعالى يقول: "إنك ميت وإنهم ميتون"[٧٠٣] وقال: "وما جعلنا لرجل من قبلك الخلد"[٧٠٤] ثم أتى المنبر .الحديث

وعند ابن أبي شيبة عن ابن عمر:فوضع فاه على جبين رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فجعل يقبله ويبكي ويقول:بأبي أنت وأمي،طبت حياً وميتاً .

[رثاء]

ولما توفي **صلى الله عليه وسلم** قالت فاطمة:يا أبتاه :أجاب رباً دعاه ،يا أبتاه،من جنة الفردوس مأواه ،يا أبتاه إلى جبريل ننعاه .رواه البخاري[٧٠٥]

[٧٠٣] سورة الزمر (٣٠)
[٧٠٤] سورة الأنبياء (٣٤)
[٧٠٥] رواه البخاري برقم ٤٤٦٢

وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده **صلى الله عليه وسلم** ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة ،وحق لها ذلك .

وأخرج أبو نعيم عن علي قال:لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكياً إلى السماء،والذي بعثه بالحق [نبياً] لقد سمعت صوتاً من السماء ينادي:وامحمداه .الحديث .

وروي أن بلالاً لما كان يؤذن بعد وفاته **صلى الله عليه وسلم** وقيل دفنه ،فإذا قال:أشهد أن محمداً رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب .فلما دفن ترك بلال الأذان .وقد كانت وفاته **صلى الله عليه وسلم** يوم الإثنين بلا خلاف، وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء، فعند ابن سعد في الطبقات،عن علي : توفي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يوم الإثنين، ودفن يوم الثلاثاء .ورثاه حسان بقوله:

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

[تغسيله صلى الله عليه وسلم]

ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة أنهم لما أرادوا غسل النبي **صلى الله عليه وسلم** قالوا :لا ندري، أنجرد النبي **صلى الله عليه وسلم** من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه،فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت، لا يدرون من هو، اغسلوا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وعليه ثيابه، فقاموا وغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص.رواه البيهقي في دلائل النبوة

وغسل **صلى الله عليه وسلم** ثلاث غسلات، الأولى بالماء القراح،والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور، وغسله علي، والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران مولاه **صلى الله عليه وسلم** يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر .لحديث علي:لا يغسلني إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه .رواه البزار البيهقي .

قيل :وجعل علي على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه ،وحنطوا مساجده[٧٠٦] ومفاصله،ووضؤوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً ونداً .

[أكفانه صلى الله عليه وسلم]

وفي حديث عروة عن عائشة قالت:كفن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في ثلاثة أثواب سحولية بيض ،أخرجه النسائي من ورواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة .واتفق عليه الأئمة الستة من طريق هشام عن أبيه عن عائشة بزيادة :من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة.وليس قوله ((من كرسف)) عند الترمذي ولا ابن ماجه .وقال الترمذي:روي في كفن النبي **صلى الله عليه وسلم** روايات مختلفة،وحديث عائشة أصح الأحاديث في ذلك ،والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة .

اخُتلِفَ في الكفن ؟فقال مالك والشافعي وأحمد:يستحب أن تكون الثلاثة لفائف،ليس فيها قميص ولا عمامة ،وقال الحنفية:الأثواب الثلاثة،إزار وقميص ولفافة .وقد أجمع المسلمون على وجوبه ،وهو فرض

كفاية فيجب في ماله ،فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته .

وفي هذا الحديث دلالة أيضاً على أن القميص الذي غسل فيه النبي **صلى الله عليه وسلم** نزع عنه عند تكفينه.قال النووي في شرح مسلم:وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره،لأنه لو بقي مع رطوبته لأفسد الأكفان .

[الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ودفنه]

وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه:لما فرغوا من جهازه **صلى الله عليه وسلم** يوم الثلاثاء ،وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه **صلى الله عليه وسلم** أرسالاً يصلون عليه ،حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان،ولم يؤم الناس على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أحد .

وقد اخُتلف فيمن أدخل قبره ،وأصح ما روي:أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس،وكان آخر الناس عهداً برسول الله **صلى الله عليه وسلم** قثم

---

٧٠٦ أي أماكن السجود من جسمه صلى الله عليه وسلم .

بن العباس . قال:رزين:ورش قبره **صلى الله عليه وسلم** ،رشه بلال بن رباح بقربة،بدأ من قبل رأسه.حكاه ابن عساكر .

وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء.ورفع قبره من الأرض قدر شبر .

[صفة قبره صلى الله عليه وسلم]

وفي حديث عائشة عند البخاري قالت:قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في مرضه الذي لم يقم منه: ((لعن الله اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) لولا ذلك لأبرز قبره،غير أنه خشي أو خُشي أن يُتخذ مسجداً .

وفي البخاري أيضاً من حديث أبي بكر بن عياش عن سفيان التمار:انه حدثه أنه رأى قبر النبي **صلى الله عليه وسلم** مسنماً أي مرتفعاً .

وزاد أبو نعيم في((المستخرج))وقبر أبي بكر وعمر كذلك. واستدل به على أن المستحب تسنيم القبور،وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد والمزني وكثير من الشافعية ،وقول سفيان التمار لا حجة فيه، كما قال البيهقي لاحتمال أن قبره صلى الله عليه وسلم في الأول لم يكن مسنماً .

فقد روى أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : دخلت على عائشة فقلت : يا أمه ، اكشفي لي عن قبر النبي **صلى الله عليه وسلم** فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء .زاد الحاكم فرأيت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مقدماً وأبو بكر رأسه بين كتفي النبي **صلى الله عليه وسلم** ، وعمر رأسه عند رجلي النبي **صلى الله عليه وسلم** . وهذا كان في خلافة معاوية . فكأنها كانت في الأول مسطحة ، ثم لما بني جدار القبور في إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة .

وعن هشام بن عروة عن أبيه :لما سقط عليهم الحائط ،يعني حائط حجرة النبي **صلى الله عليه وسلم** في زمان الوليد بن عبد الملك ،أخذوا في بنائه،فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي **صلى الله عليه وسلم**،فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي **صلى الله عليه وسلم**،والله ما هي إلا قدم عمر. رواه البخاري أيضاً .

[تأخير دفنه صلى الله عليه وسلم]

أُخِر دفن الرسول **صلى الله عليه وسلم** لأنهم اشتغلوا بالخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار في البيعة، فنظروا فيها حتى استقر الأمر في الخلافة ونظامها،فبايعوا أبا بكر،ثم بايعوه بالغد بيعة أخرى على ملأ منهم ،وكشف الله به الكربة من أهل الردة ،ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي **صلى الله عليه وسلم**،فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه [دفنوه] .

ثانياً_زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف :

[الترغيب في زيارته صلى الله عليه وسلم]

روى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: من زار قبري وجبت له شفا عتي ،ورواه عبد الحق في أحكامه الوسطى،وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته.[٧٠٧]

وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور،كما حكاه النووي،وأوجبها الظاهرية ،فزيارته **صلى الله عليه وسلم** مطلوبة بالعموم والخصوص، ولأن زيارة القبور تعظيم وتعظيمه **صلى الله عليه وسلم** واجب. ولهذا قال بعض العلماء:لا فرق في زيارته بين الرجال والنساء،وإن كان الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف، والأشهر على مذهب الشافعي الكراهة .

قال ابن حبيب من المالكية: ولا تدع زيارة قبره **صلى الله عليه وسلم** والصلاة في مسجده ،فإن فيه من الرغبة مالا غنى بك ولا بأحد عنه .

[زيارة المساجد الثلاثة]

وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف ،والصلاة فيه ،لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ،وهو أفضلها عند مالك .

[حكم نذر الزيارة]

وقد صح عند البيهقي في الشعب أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي **صلى الله عليه وسلم** فالسفر إليه قربة لعموم الأدلة .ومن نذر الزيارة وجبت عليه ،ولو

---

٧٠٧ ضعفه البيهقي ،وقال الذهبي:طرقه كلها لينة .

نذر إتيان المسجد الأقصى للصلاة لزمه ذلك في الأصح،وبه قال:المالكية والحنابلة/لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام .وصحح النووي أيضاً أنه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة.قال:ونص عليه الشافعي في البويطي،وبه قال الحنفية والحنابلة .

[أشواق]

وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه،وليغتسل ويلبس النظيف من الثياب. وليترجل ماشياً باكياً ،ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ،وسارعوا إليه ،و لم ينكر عليهم ذلك صلوات الله وسلامه عليه

[من آداب الزيارة]

ويستحب صلاة ركعتين [تحية المسجد] قبل الزيارة،،قال ابن حبيب في أول كتابه الصلاة:حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:قدمت من سفر ،فجئت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أسلم عليه وهو بفناء المسجد ،فقال:أدخلت المسجد فصليت فيه ؟قلت:لا، قال:اذهب فادخل المسجد وصلِّ فيه،ثم ائت فسلم عليَّ.

قال :ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة .انتهى كلام ابن حبيب .

وينبغي للزائر أن يستحضر الخشوع ما أمكنه ،وليكن مقتصداً بين الجهر والإسرار،وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه قال:لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً .وينبغي للزائر أن يأتي القبر من جهة القبلة ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه **صلى الله عليه وسلم** بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير المعلق اليوم ،لأن هناك عدة قناديل .

[صيغة السلام عليه صلى الله عليه وسلم]

عن نافع عن ابن عمر ،أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ،ثم أتى القبر فقال:السلام عليك يارسول الله،السلام عليك يا أبا بكر ،السلام عليك يا أبتاه .

وفي ((**تحفة الزائر**)) **لا بن عساكر**: عن مالك بن أنس ،إمام دار الهجرة ،وناهيك به خبرة بهذا الشأن من رواية ابن وهب عنه ،يقول:السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع فإنه قد يؤدي إلى الإخلال بالخشوع .فإن أوصاه أحد بإبلاغ السلام إلى النبي فليقل:السلام عليك يا رسول الله من فلان .ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر لأن رأسه بحذاء منكب رسول الله **صلى الله عليه وسلم على** ما جزم به رزين وغيره ،وعليه الأكثر ،ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه سيدنا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ،فيحمد الله ويمجده ويكثر من الدعاء والصلاة والسلام على رسوله .

[رده صلى الله عليه وسلم السلام]

وقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة :أنه صلى الله عليه وسلم قال:ما من مسلم يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام. ولا ريب أن حاله **صلى الله عليه وسلم** أفضل وأكمل حالاً من الملائكة . وقد روى البيهقي وغيره :من حديث أنس أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون.وفي رواية :أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة،ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور .وله شواهد في صحيح مسلم منها:قوله **صلى الله عليه وسلم** : مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره . وفي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة المعراج أنه لقي الأنبياء في السماوات وكلموه وكلمهم .

وقد قال ابن شهاب :بلغنا أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء واليوم الأزهر[٧٠٨] ،فإنهما يؤديان عنكم ،وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء رواه أبو داود وابن ماجه .

[مكان الوقوف للدعاء والزيارة]

اختلف في محل الوقوف للدعاء .فعند الشافعية أنه قبالة وجهه ،وقال ابن فرحون من المالكية :اختلف أصحابنا في محل الوقوف للدعاء ،قال مالك في رواية ابن وهب :إذا سلم

٧٠٨ يعني ليلة الجمعة ويومها

على النبي **صلى الله عليه وسلم** يقف للدعاء ووجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة،وقال مالك في ((المبسوط)): لا أرى أن يقف عند القبر يدعو ،ولكن يسلم ويمضي .لا تناقض في الرأي فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة ،وأكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها ،فلذلك أمرهم مالك بالسلام والانصراف.

[طيب تربة المدينة]

ولما كانت أحوال القبر من الأمور الأخروية ،ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الإسلام أن قبره صلى لله عليه وسلم روضة من رياض الجنة ،بل أفضلها ،وإذا كان القبر وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام هو أطيب الطيب ،فلا مرية أنه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس .

وقال ابن بطال في قوله صلى الله عليه وسلم ((المدينة ينصع طيِّبها))[٧٠٩] فالمؤمن الذي باع نفسه والتزم سكن المدينة ولقربه من رسوله ،ينصع إيمانه كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد عبقاً على سائر البلاد ،وتلك خصوصية خص الله بها بلدة رسوله **صلى الله عليه وسلم** الذي اختار تربتها المباشرة جسده الطيب المطهر ،وقد جاء في الحديث((أن المؤمن يقبر في التربة التي خلق منها))فكانت بهذا تربة المدينة أفضل الترب ،كما أنه هو **صلى الله عليه وسلم** أفضل البشر ،فلهذا والله أعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان ،انتهى .

[بحث في التوسل]وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم ،فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه .

[وصح أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ،قال الله تعالى:يا آدم ،وكيف عرفت محمداً و لم أخلقه،قال :يارب،إنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك،رفعت رأسي فرأيت قوائم العرش مكتوباً عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لا تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك .فقال الله تعالى:صدقت يا آدم ،إنه لأحب الخلق إلي ،وإذا سألتني بحقه فقد

٧٠٩ الحديث ((المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها))والنصوع هو الخلوص الظاهر البين

غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك .ذكره الطبري وزاد فيه :وهو آخر الأنبياء من ذريتك [٧١٠]

وأما التوسل بعد خلقه في مدة حياته، فمن ذلك الاستغاثة به **صلى الله عليه وسلم** عند القحط وعدم الأمطار، وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك، وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف ،أن رجلاً ضرير أتاه صلى الله عليه وسلم فقال:ادع الله أن يعافيني ،قال:فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوؤه ويدعو بهذا الدعاء ::اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ،يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي لتقضى ،اللهم شفعه فيَّ،وصححه البيهقي ، وزاد:فقام وقد أبصر .

وأما التوسل به بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء وفي كتاب ((مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام)) للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك .

وأما التوسل به في عرصات القيامة ،فمما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة. **[بحث في الروضة الشريفة]**

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم ،خصوصاً بالروضة التي ثبت أنها روضة من رياض الجنة .كما رواه البخاري

والمعنى على وجهين: احتمال كونها تنقل إلى الجنة، وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة ،ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس .

هاهنا بحث:هل هي روضة من رياض الجنة تعبداً أم لحكمة ؟ والأظهر أنه لحكمة :وهي أن الله تعالى فضل محمداً **صلى الله عليه وسلم** على سائر المخلوقات ،وما كان من فضله وبركاته ،حيث مشى وحيث وضع يده المباركة ظهر ذلك كله من الخيرات والبركات حساً ومعنى ،كما هو منقول معروف. فكيف مع كثرة ترداده **صلى الله عليه وسلم** على تلك البقعة الواحدة مراراً في اليوم الواحد طول عمره ،من وقت هجرته إلى حين وفاته ./فلم يبق من الترفيع بالنسبة إلى عالمها مما وصفناه،وهو أنها كانت من الجنة ،وتعود إليها ،وهي الآن منها ،وللعامل فيها مثلها.

---

٧١٠ أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٢٢٨) والبيهقي في دلائل النبوة (٤٨٩/٥)

قال الخطابي :المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة ،وأن من لازم ذكر الله في مسجدها آل به إلى روضة [من رياض] الجنة وسقي يوم القيامة من الحوض انتهى .

[أيهما أفضل مكة أم المدينة]

عند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ،أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

فأيهما أفضل ؟

١ــمذهب سفيان بن عيينة والشافعي وأحمد –في أصح الروايتين عنه–وابن وهب ومطرف وابن حبيب–الثلاثة من المالكية_وجماهير العلماء من الصحابة والتابعين أن مكة أفضل من المدينة ،وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة لأن الأمكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها لأن معنى الحديث عندهم:إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجدي .

٢ــوقال مالك: المدينة ومسجدها أفضل.لأن المعنى عندهم :إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف .

٣ــمذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر المدنيين ــكما قاله القاضي عياض_أن المدينة أفضل،وهو أحد الروايتين عن أحمد.وأجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الأرض، وقد قال **صلى الله عليه وسلم**((اللهم إن إبراهيم دعاك لمكة،وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة ومثله معه))[٧١١] ولا ريب أن دعاء النبي **صلى الله عليه وسلم** أفضل من دعاء إبراهيم،لأن فضل الدعاء على قدر الداعي وقد صح أنه **صلى الله عليه وسلم** قال:((اللهم حبب إلينا المدينة ،كحبنا مكة أو أشد))[٧١٢] وفي رواية ((بل أشد)).وقد عوضت المدينة عن العمرة ،ما صح في إتيان مسجد قباء،وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة [النبوية] والمسجد،والإقامة بعد النبوة بالمدينة وإن كانت أقل من مكة على القول به وقد قيل لمالك:أيما أحب إليك المقام هنا ــيعني المدينة_أو مكة؟فقال:هنا،وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ،وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة ؟!

---

٧١١ أخرجه مسلم والموطأ وغيرهما .

٧١٢ رواه الشيخان وغيرهما .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة،قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** (أمرت بقرية تأكل القرى،يقولون يثرب وهي المدينة،تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد)أي أمرني بالهجرة إليها،إن كان قاله صلى الله عليه وسلم بمكة،أو سكناها إن كان قالها بالمدينة.

[رأي المصنف]

استنبط العارف بالله ابن أبي جمرة من قوله **صلى الله عليه وسلم** المروي في البخاري (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة) قال:وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل، فمكة مسقطه والمدينة مدفنه.

[الترغيب في سكنى المدينة]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال (لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً) .تكون ((أو))للتقسيم ويكون شهيداً لبعض أهل المدينة وشفيعاً لباقيهم ،إما شفيعاًللعاصين وشهيداً للمطيعين،وإما شهيداً لمن مات في حياته،وشفيعاً لمن مات بعده،أو غير ذلك .

وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:(إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)أي ينقبض وينضم ويلتجيء ،مع أنها أصل انتشاره،فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه في ساكنها **صلى الله عيه وسلم** .فأكرم بساكنها ولوقيل في بعضهم ما قيل ،فقد ثبت لهم حق الجوار وإن عظمت إساءتهم .

وفي البخاري من حديث أي هريرة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال(لا يدخل المدينة الدجال ولا الطاعون). وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ولها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان)[٧١٣] أي لا يد خلها من الطاعون مثل ما دخل غيرها .

ومن خصائص المدينة أن غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد ،زاد حديث ابن عمر :وعجوتها شفاء من السم .....وذكر ابن النجار تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها قالت :كل البلاد افتتحت

٧١٣ رقم الحديث في البخاري ١٨٧٩

بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن. ولذا لبركة المدينة امتنع مالك من ركوب دابة في المدينة وقال:لا أطأ بحافر دابة في عراص[٧١٤] **كان صلى الله عليه وسلم** يمشي فيها بقدميه **صلى الله عليه وسلم** .

[زيارة مسجد قباء وبقية المزارات]

ينبغي أن يأتي قباء للصلاة فيه،لحديث رواه أحمد وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بلفظ:من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة وصححه الحاكم .

وينبغي أيضاً بعد زيارته **صلى الله عليه وسلم** أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة ،والبقيع ،فإن أكثر الصحابة ممن توفي في المدينة في حياته **صلى الله عليه وسلم** وبعد وفاته مدفون في البقيع ،وكذلك سادات أهل البيت والتابعين ،وروي عن مالك أن من مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف،وكذلك أمهات المؤمنين سوى خديجة فإنها بمكة ،وميمونة فإنها بسرف ،وقد كان **صلى الله عليه وسلم** يخرج آخر الليل إلى البقيع فيقول :السلام عليكم دار قوم مؤمنين .رواه مسلم .وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر: أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:أنا أول من تنشق عنه الأرض ،ثم أبو بكر ثم عمر،ثم آتي البقيع فيحشرون معي،ثم انتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين.[٧١٥]

ثالثاً [في أمور الآخرة]

يبعث **صلى الله عليه وسلم** راكباً،ومعه لواء الحمد ،تحته آدم فما دونه من الأنبياء ،وسجوده أمام العرش ويكلمه الله تعالى:يا محمد ،ارفع رأسك ،وقل تسمع ،وسل تعط ،واشفع تشفع ،ولا كرامة فوق هذا إلا النظر إليه تعالى .وهو صاحب الشفاعة ،والحوض ،وصاحب الوسيلة وهي أعلى منزلة في الجنة ،إلى غير ذلك مما يزيد ه الله تعالى به على رؤوس العالمين إجلالاً له وتكريماً صلوات ربي وسلامه عليه .

[أول من تنشق الأرض عنه صلى الله عليه وسلم]

روى مسلم من حديث أبي هريرة قال:قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** :(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)

٧١٤ جمع عرصة:أرض لا بناء فيها والمراد هنا مطلق الأرض .

٧١٥ ورواه الترمذي وقال:حسن صحيح .

قال تعالى: (ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)[٧١٦]
من الذي يصعق؟ قيل: هم الأحياء، أما الموتى فهم في الاستثناء في قوله (إلا من شاء الله) أي إلا من سبق له الموت فإنه لا يصعق. واختلف في المستثنى من هو على عشرة أقوال:فقيل الملائكة،وقيل الأنبياء،وقيل الشهداء،وقيل هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت،وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة. وقال أبو العباس القرطبي :الصحيح أنه لم يأت في تعيينهم خبر صحيح،والكل محتمل .وتعقبه تلميذه في ((التذكرة))فقال:قد ورد في حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو صحيح .وعن أبي هريرة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** سأل جبريل عن هذه الآية:من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا؟قال:هم شهداء الله. وصححه الحاكم .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر ،رفعه :ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتا،ورفع لِيتا،ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ،ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ((الليت))صفحة العنق.

[أول من يكسى يوم القيامة]

عن أبي هريرة عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال:فأكسى حلة من حلل الجنة ،ثم أقوم عن يمين العرش ،ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري .رواه الترمذي .

وفي البخاري من حديث ابن عباس عنه **صلى الله عليه وسلم** :تحشرون حفاة عراة غرلاً[٧١٧]، (كما بدأنا أول خلق نعيده) وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم على ظاهر الخبر يكسى إبراهيم أولاً ،ثم يكسى نبينا،عليهما الصلاة والسلام ،لكن حلة نبينا أعلى وأكمل .فتجبر بنفاستها ما فات من الأولية **[لواء الحمد]**

وفي حديث أبي سعيد _عند الترمذي بسند حسن_قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: أنا سيد ولد آدم ولا فخر،وبيدي لواء الحمد ولا فخر،وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي .الحديث أضاف اللواء إلى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو أهله،لأن ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الأنبياء .

---

٧١٦ سورة النمل الآية ٨٧

٧١٧ غير مختونين.

[صفة الحشر]

في البخاري من حديث أبي هريرة، قال:قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين،واثنان على بعير ،وثلاثة على بعير وأربعة على بعير ،وعشرة على بعير ،ويحشر بقيتَهم النار، تَقيل معهم حيث قالوا،وتبيت معهم حيث باتوا ،وتصبح معهم حيث أصبحوا،وتمسي معهم حيث أمسوا)رواه الشيخان.[٧١٨] وفي حديث سهل بن سعد مرفوعاً: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء،كقرصة النقى[٧١٩] ليس فيها علم لأحد) رواه الشيخان .

وأخرج أبو يعلى ،وصححه ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال :مقداره نصف يوم من خمسين ألف سنة ،فيهون على المؤمنين كتدلي الشمس إلى أن تغرب.وأخرج أحمد وابن حبان نحوه من حديث أبي سعيد وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ،ويلجمهم العرق حتى يبلغ آذانهم .

[الحوض الشريف]

في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ،عند الشيخين(حوضي مسيرة شهر،ماؤه أبيض من اللبن ،ورائحته أطيب من المسك ،وكيزانه كنجوم السماء،من شرب منه شربة لا يظمأ أبداً)وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم:(أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة)وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة ليصب فيه الماء من النهر الذي داخلها .

والشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار ،لأن ظاهر من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار وفي حديث ابن مسعود عند أحمد:ثم أوتى بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقاماً لا يقومه أحد،فيغبطني به الأولون والآخرون .قال:ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض .الحديث ووردت عدة أحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف في الطول والعرض :كما بين الكعبة وبيت المقدس،أو كما بين صنعاء إلى بصرى ،أو عرضه من المدينة إلى عمَّان ،وهذه المسافات كلها متقاربة،وظن بعضهم أنه وقع اضطراب في ذلك ،وليس كذلك . فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أخبر أولاً بالمسافة اليسيرة ثم أُعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بما كان

٧١٨ قدم في بدء الحديث أنه من رواية البخاري ،وقال هنا :رواه الشيخان،والمقصود أن اللفظ للبخاري ،وقد رواه برقم ٦٥٢٢ .

٧١٩ أي كخبز الدقيق النقي .

الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء ،فيكون الاعتماد على أطولها مسافة .وقد اختص الله تعالى نبينا محمداً بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي.

[الشفاعة والمقام المحمود]

وأما تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى:(عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)[٧٢٠] وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال:

١ـالشفاعة:قال الواحدي :أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة،كما قال **صلى الله عليه وسلم** في هذه الآية :هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي .والشفاعة هنا هو إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة ٢ـالحمد:لأن سعيه في الشفاعة يفيد إقدام الناس على حمده،فيصير محموداً.

٣ـمقام تحمد عاقبته وهو ضعيف

٤ـإجلاسه **صلى الله عليه وسلم** على العرش وهذا قول رذل مردود ونص الكتاب ينادي بفساده. والشفاعةهي العامة في فصل القضاء ،والشفاعة في إخراج المذنبين من النار ،فتكون شفاعة عظمى عامة . وقد أنكر بعض المعتزلة هذه الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى:(فما تنفعهم شفاعة الشافعين).[٧٢١]

ومذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً)[٧٢٢].

وعن أم حبيبة قالت:قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**:أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض ،وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يؤتيني [فيهم])شفاعة يوم القيامة ففعل.[٧٢٣]

وفي حديث النضر بن أنس عن أبيه،حدثني نبي الله **صلى الله عليه وسلم** قال :إني لقائم انتظر أمتي عند الصراط ،إذ جاء عيسى فقال:يا محمد ،هذه الأنبياء قد جاءتك يسألونك لتدعو الله أن يفرق جمع الأمم إلى حيث شاء ،لعظم ما هم فيه . فتكون شفاعته **صلى**

---

٧٢٠ سورة الإسراء ،الآية ٧٩

٧٢١ سورة المدثر،الآية ٤٨ .

٧٢٢ سورة طه ،الآية ١٠٩.

٧٢٣ أخرجه الحاكم البيهقي وصححاه .

الله عليه وسلم لجميع الخلائق بطلب الأنبياء لإراحة الناس من كرب الموقف،ثم تجيء الشفاعة في الإخراج .

[ذكر ترتيب ما يحدث في الموقف]

وقد وقع في حديث أبي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف :الأمر بإتباع كل أمة ما كانت تعبد ،ثم تمييز المنافقين من المؤمنين،ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه ،فكأن الأمر بإتباع ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء ،والإراحة من كرب الموقف ،وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها

[أنواع شفاعته]

١ــالإراحة من هول الموقف ،وقد مر ذكره.

٢ــإدخال قوم الجنة بغير حساب .لقوله((يارب أمتي ،يا رب أمتي،فيقال:أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة)).

٣ــإدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا .حديث حذيفة عند مسلم :(ونبيكم على الصراط يقول :يارب سلم ،سلم).

٤ــإخراج من أدخل النار من العصاة .عند البخاري عن عمران بن حصين مرفوعاً(يخرج قوم من النار بشفاعة محمد **صلى الله عليه وسلم** ويسمون الجهنميين.

[الحساب والجزاء]

وعن ابن عباس أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال:نحن آخر الأمم وأول من يحاسب،يقال :أين الأمة ونبيها ،فنحن الآخرون الأولون،رواه ابن ماجه .وقد صح أن أول ما يقضى بين الناس في الدماء .رواه البخاري .وللنسائي مرفوعاً:أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ،وأول ما يقضى بين الناس في الدماء .وفي البخاري من حديث عائشة،أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال:(من نوقش الحساب عذب) .وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال:قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** :ليختصمن كل شيء يوم القيامة ،حتى الشاتان فيما انتطحتا .

وبعد انقضاء الحساب يكون وزن الأعمال،لأن الوزن للجزاء،وتوضع الجنة عن يمين العرش،والنار عن يسار العرش،ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى،فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة ،وكفة السيئات مقابل النار .ذكره الترمذي في ((نوادر الأصول)) . وتوزن الأعمال وإن كانت أعراضاً إلا أنها تجسم فتوزن ،وقيل صحائف الأعمال ،ويدل له حديث البطاقة المشهور ،وقد رواه الترمذي[٧٢٤]،وقد سئل **صلى الله عليه وسلم** عن لا إله إلا الله ،أمن الحسنات هي، قال من أعظم الحسنات رواه البيهقي وغيره ،ويجوز أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا،كما في حديث معاذ :قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[٧٢٥]وقد روى حذيفة أن صاحب الميزان يوم القيامة هو جبريل عليه السلام ،وهو الذي يزن الأعمال يوم القيامة[٧٢٦]، والراجح أن الموزون في الآخرة يصعد ،عكس ما في الدنيا،لقوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب).[٧٢٧]وهل توزن الأعمال كلها أو خواتيمها؟حكي عن وهب بن منبه أنه قال:يوزن من الأعمال خواتيمها ،واستدل بقوله **صلى الله عليه وسلم**: إنما الأعمال بخواتيمها.[٧٢٨]

[الجواز على الصراط]

في حديث أبي هريرة عنه **صلى الله عليه وسلم** :ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ،أكون أنا وأمتي أول من يجوز عليه،ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ،ودعوى الرسل يومئذ:اللهم سلم سلم ،وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم عظمها إلا الله تعالى،فتخطف الناس بأعمالهم،فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو،الحديث رواه البخاري.[٧٢٩]وفي حديث ابن مسعود:فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم ،فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم،يسعى بين أيديهم ،الحديث[٧٣٠]وروى مسلم :قال:أبو سعيد،بلغني أن الصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة .وقد ذهب

٧٢٤ وقال :حسن غريب،ورواه ابن ماجه وابن حبان،والحاكم وصححه البيهقي .

٧٢٥ رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه.

٧٢٦ رواه ابن جرير في تفسيره،وهو موقوف .

٧٢٧ سورة فاطر،الآية ١٠ .

٧٢٨ رواه البخاري برقم ٦٦٠٧ .

٧٢٩ رواه البخاري في مواطن منها رقم ٦٥٧٣ ،وكذا رواه مسلم .

٧٣٠ موقوف على ابن مسعود.

بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها)[٧٣١] الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار .

وقيل الورود الدخول ،كما قال جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقول:الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين،كما كانت على إبراهيم. وقد روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال:قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** :(يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ،فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا،حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ،والذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى في الجنة بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا) .

[النبي أول من يدخل الجنة]

ورد من حديث أنس قال **صلى الله عليه وسلم**:(آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟فأقول محمد،فيقول:بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك).وروى أبو هريرة مرفوعاً:أنا أول من يفتح له باب الجنة،إلا أن امرأة تبادرني فأقول لها مالك ؟وما أنت؟ فتقول:أنا امرأة قعدت على يتامى .رواه أبو يعلى ،ورواته لا بأس بهم .قال المنذري :إسناده حسن .

[تفضيله صلى الله عليه وسلم بالكوثر]

روى أحمد عن أنس:أن رجلاً قال :يا رسول الله ،ما الكوثر؟قال:نهر في الجنة أعطانيه ربي،لهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل .

وعن أبي عبيدة عن عائشة قال:سألتها عن قوله تعالى:(إن أعطيناك الكوثر) قالت :نهر أعطيه نبيكم شاطئاه عليه در مجوف،آنيته كعدد النجوم.رواه البخاري . قال الحافظ ابن كثير:قد تواترت_يعني أحاديث الكوثر _من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث،وكذلك أحاديث الحوض أن الحوض نهر في الجنة .

---

٧٣١ سورة مريم،الآية ٧١ .

[تفضيله صلى الله عليه وسلم بالوسيلة]

روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ،أن رسول الله **صلى الله عليه** وسلم قال:(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول :ثم صلوا عليَّ،فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً،ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ،وأرجو أن أكون أنا هو،فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة). قال الحافظ بن كثير:الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة،وهي منزلة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش أما الفضيلة ،فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلق .

[خاتمة]

ذكر البغوي في ((معالم التنزيل))نزلت الآية:(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)[٧٣٢] في ثوبان مولى رسول الله **صلى الله عليه وسلم**،وكان شديد الحب لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ،قيل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه،يعرف الحزن في وجهه،فقال له رسول الله **صلى الله عليه وسلم**:ما غير لونك؟فقال:يا رسول الله ،ما بي وجع ولا مرض،غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك،ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك،لأنك ترفع مع النبيين،وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك،وإن لم أدخل لا أراك أبداً،فنزلت هذه الآية . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس ،أن رجلاً قال:يا رسول الله متى الساعة؟قال:ما أعددت لها؟ قال:لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله،قال:أنت مع من أحببت،قال انس :فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي **صلى الله عليه وسلم** :أنت مع من أحببت،قال أنس :فأنا أحب النبي **صلى الله عليه وسلم** وأبا بكر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم .

وفي الحديث الإلهي الذي رواه حذيفة _كما عند الطبراني بسند غريب_أنه تعالى قال:ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه،ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى

---

٧٣٢ سورة النساء الآية٦٩

أحبه.الحديث . وأعظم نعيم الجنة هو التمتع بالنظر إلى وجه الله تعالى ،ورسوله **صلى الله عليه وسلم** ،وقرة العين بالقرب منهما مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي أكبر من الجنان ،كما قال تعالى:(ورضوان من الله أكبر)[٧٣٣]

وجميع العبادات تزول في الجنة إلا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل.والذي يدل عليه الحديث الصحيح،عند مسلم من حديث جابر:أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:(يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يمتخطون ولا يبولون ،ويكون طعامهم جشاء ورشحاً كريح المسك ،يلهمون التسبيح والحمد ،كما يلهمون النفَس ،يعني أن تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس ،فليس عن تكليف والتزام.

قال تعالى:(وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)[٧٣٤] وقوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)[٧٣٥] [وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً].

قال مؤلفه وجامعه أحمد بن الخطيب القسطلاني_عامله الله بما يليق بكرمه_:

فهذا آخر ما جرى به قلم المدد،من هذه المواهب اللدنية،وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية ،وإلى الله أضرع أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ،وأن ينفع به جيلاً بعد جيل .

قال المؤلف رحمه الله :وقد انتهت كتابة النسخة المنقول منها النسخة المباركة النافعة إن شاء الله تعالى في الخامس عشر من شهر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة،والابتداء ثاني يوم من قدومي مكة المشرفة،صحبة الحاج في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة،والحمد لله وحده،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .آمين .

---

٧٣٣ سورة التوبة ٧٢ .

٧٣٤ سورة الزمر الآية ٧٤ .

٧٣٥ سورة يونس ،الآية ١٠ .